المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الخامس والسبعين

١ يوليو سنة ١٩٣٠ — ٢٤ محرم سنة ١٣٤٨

خطبة مطولة

للدكتور صروف

الله والعالم

ان في العالم او بالحري في الارض وما بلغ اليهِ الانسان من الاجرام السماوية كائنات لا يحصيها احدٌ ولا تقع تحت الحصر . ولكن العلماء قد فحصوا كل ما وصلوا اليهِ منها وتدبَّروهُ جيداً فرأوهُ يندرج كلهُ في ثلاثة اقسام قسمٌ يحيا ويتحرك حركة ارادية كالانسان والطير والسمك وهو المسمَّى بالحيوان . وقسمٌ يحيا ولا يتحرك حركة ارادية كالارز والورد والبقل وهو المسمَّى بالنبات . وقسمٌ لا يحيا ولا يتحرك حركة ارادية كالتراب والماء والهواء وهو المسمَّى بالجماد . وقد وجدوا لدى الفحص الكيماوي المدقق ان اجسام الحيوان والنبات والجماد تشترك في كونها مركبة من مواد جامدة لا تحيا ولا تتحرك لذاتها ولا يمكن حلها بالوسائط الكيماوية المعروفة الى الآن وهي ما يسمَّى بالعناصر وهذا لا يناقض قولي الآن ان النبات يحيا ولا يتحرك حركة ارادية لان الحياة والحركة الارادية ليستا خاصة لازمة للعناصر بل عرَض مفارق يطرأ عليها ويفارقها فان في حياة الحنطة مثلاً اصلاً حيًّا فحين تزرع في الارض وتناسبها الاحوال ينتبه هذا الاصل الحيّ ويمتص بعض العناصر من التراب والماء والهواء وتستطرق حياتهُ الى كل الحبة فتنمو وتصير فرخاً ثم سنبلاً الخ . واما اذا سُلقت فمات اصلها الحيّ ثم زُرعت في الارض وامتصَّت منها شيئاً بالقوة التي نسميها بالجاذبية الثمرية فلا تكسب ما تمتصهُ حياةً لانهُ

لا حياة فيها . وكذا اذا ادفئت البيضة الجديدة مدة معلومة نمت الجرثومة الحية التي فيها واشركت المح والبياض معها في الحياة فيصير الكل فرخاً حيًّا متحركاً ذا لحم وعظم وريش ولا يلبث طويلا حتى يخرج من حبسه ويقفو اثر والديه. لكن اذا سلقت البيضة وماتت هذه الجرثومة الحية لم تصر فرخاً مهما استعمل لها من الوسائط . فما هو سرّ هذه الحياة وكيف يستطيع الجسم الحيّ ان يشرك الجماد معهُ في الحياة ؟

سرُّ الحياة

هنا مسألة اشكل حلها . هنا يقف العقل مندهشاً وهو يراجع مقدماته العقلية ومعارفهُ النقلية فيراها عقيمة لا تنتج لهُ نتيجة ولا تأتي به الى حقيقة فيرجع القهقرى ويستغيث بالادوات العلمية والوسائط العملية املَّ هنالك ما يوصلهُ الى هذه الغاية ويكشف عن محياها ستار الاستتار فيأتي بالوسائط الكيماوية ويحلل بها الاجسام الحية فتنحلّ كلها الى عناصرها البسيطة ولكنها تمسي خالية من الحياة . واذا اراد تركيبها ثانية كما كانت تعذّر عليه ذلك بل استحال. اما الحياة التي كانت فيها وفقدت حال حلّها فلا يشعر لها برائحة ولا طعم ولا وزن ولا يرى لها عيناً ولا اثراً ولا يعلم كيف كانت قائمة في الجسم ولا الى اين ذهبت فيطرح الوسائط الكيماوية ويلتجئ الى غيرها فلا يرى امامهُ افضل من المكرسكوب اي الآلة المكبرة المفتاح الذي فتح به المتأخرون مغاليق الطبيعة واطلعوا على شيء من اسرارها وغوامضها وهو آلة بصرية ترى بها الاجسام الصغيرة كبيرة . ومن هذه الآلة ما هو متقن جدًّا حتى انك ترى به الجسم اكبر مما هو باكثر من الف الف مرة . فلا بدَّ للحكماء من ان يلتجئوا الى هذه الآلة عساها ان تكشف لهم اسرار الحياة وقد فعلوا ولكن غاية ما توصلوا اليه بواسطة الآلة المكبرة ان في الاجسام الحية جراثيم صغيرة شفافة لزجة خالية من اللون قوامها كقوام البيض النيء

وقد راقبها العلماء طويلا وفحصوها باقوى ما عندهم من المكبرات فلم يروا لها اعضاء ولا آلات ولا وجدوا شكلها واحداً في كل انواع النبات والحيوان من الفطير الدنيء الى دماغ الانسان ووجدوا انها تتحرك دائماً بحيث لا تبقى على حالة واحدة ولو لحظة من الزمان ولا تزال تتناول المواد غير الحية مما جاورها وتحييها حالاً بطريقة عجيبة لم يكتشفها العلم ثم تكوّن منها خيوطاً عصبية او شريانية او عظمية او عضلية او نحو ذلك. وتنسج هذه الخيوط اعصاباً وشرايين وعظاماً وعضلات . فان كانت مما يكوّن عظماً لا يمكن ان تكوّن عصباً مهما استعمل لها من الوسائط . وكذا ما يكوّن منها ورقاً لا يمكن ان يكوّن ثمراً وما

يكوّن زهراً لا يكوّن خشباً وقس على ذلك . هذا مع أن جراثيم الورق والزهر والثمر واللحم والعظم والشرايين والاوردة هي بحسب ما يُعلم واحدة ابداً ودائماً في كل انواع النبات والحيوان وفي كل ادوار الحياة وكثيراً ما تكون مواد غذائها واحدة ايضاً ولكنها لا تغلط ولا تخل في عملها . ثم انها اذا كوّنت هذه الاعضاء لا تتركها بل هي نفسها تكون قد تجزّأت اجزاء كثيرة وانتشرت في ما كوّنته لحماً او عظماً او ورقاً او ثمراً الخ حتى انك تراها منتشرة في كل النسجة الجسد بحيث لا تجد فسحة قطرها جزء من خمسمائة جزء من البوصة خالية من هذه الجراثيم . ومقدارها في الجسد الحيّ نحو خمسة جرماً.

كان الاستاذ ملكان العالم الاميركي المشهور يلقي خطبة في موضوع علمي طبيعي فاستعمل فيها لفظة « روح » مراراً فقام احد الحاضرين وطلب الى الخاطر في جلاء تحديد ما يريده بلفظة « روح » فبدهه الخطيب اذ رد عليه قائلا احدد لنا ما تريد بلفظة « مادة » اولا . وقد ذاق حديثاً الاستاذ ادنتون استاذ الفلك في جامعة كمبردج خطبة موضوعها « المعرفة والايمان » يحط فيها الادلة على الاتجاه الجديد في العلم فقال ان العلماء يعترفون الآن بوجود اسرار محجبة لا يقوون على ازاحة الستار عن محياها فعادوا بذلك عن السبيل الذي سلكه هيكل اذ قال انه يستطيع ان يعلل كل شيء . وعنده ان هذه الدعة التي يتصف بها العلماء المحدثون في البحث عن الحق والكشف عن اسرار الوجود انما هي خطوة خطاها العلم الى الامام وليست خذلاناً كما يريد البعض . لذلك يسرنا ان نقف على قراء المقتطف هذه الخطبة الفريدة في بابها التي انشأها المرحوم الدكتور صروف لتلقى في مجتمع علمي ادبي بسوريا . ولا نعلم هل تليت فيه او لا . ولكننا على كل حال لم نقف قبلا . وقد بعث الينا بها الاستاذ ديمتري فندلفت نقلا عن النسخة الاصلية المحفوظة عنده

ومن المؤكد ان هذه الجراثيم لا تكوّن الا من جراثيم حيّة فان قيل انني اتت حياة الجرثومة الاولى وكيف تأتى ان تعطي الحياة لما جاورها من المواد غير الحية ؟ وكيف تستطيع ان تنقسم الى اقسام كثيرة جداً ولكل قسم خواص الجرثومة الاولى تماماً ؟ وكيف تتمم اعمالها دائماً على غاية الدقة ؟ قلنا : هنا طأطأ كل العلماء رؤوسهم وقالوا لا نعلم ولم يكشف لنا عنها هي الحياة ولا يمكن ان تكون خاصة من خواص المادة للتناقض الظاهر بينها وبين الاستمرار بل هي عرض خارجيّ يؤتى به اليها ويذهب به عنها والآتي بها الى هذه الجراثيم شخص قدير قدرته بالغة الى كل الموجودات الحية وقابضة على زمام الطبيعة

ألا يبين من هذا ان الحياة محور دولاب الكون وروح العالم الحيّ تصرّح بوجود الهٍ حي قدير حكيم جرياً على القول الحق ان لكل معلولٍ علة ولكل عملٍ عامل

مقارنة

الذين ذهبوا الى معرض باريس رأوا هنالك آلات مختلفة الاشكال والصفات . رأوا آلة تطحن القمح وتعجنهُ وتخبزهُ وأخرى تبلّ التبغ وتقرمهُ وتنسقهُ وأخرى تطبع الورق وتطويه وتخيطهُ الى غير ذلك فذهلوا عن انفسهم وقالوا ما أحكم الانسان وما اعجب ما وصل اليهِ . ولو حاولت اقناعهم بأن هذه الآلات وجدت من نفسها اي ان دقائق الحديد ودقائق الخشب تجمّعت وتركبت فصار بعضها عوارض وبعضها مخارز وبعضها دواليب وبعضها اساطين الى غير ذلك من الاجزاء المختلفة الاقدار والهيآت ثم تركبت على اوضاع خاصة فتألفت منها تلك الآلات العجيبة ، ثم ان هذه الآلات جذبت اليها القحم من طبقات الارض واضرمت فيهِ النار وملأت جوفها من مياه الينابيع فسخن الماء بحرارة النار فصار بخاراً ورفع الاساطين التي فوقهُ فارتفعت وادارت الدواليب الكثيرة وحركت الادوات المختلفة فتسبب عنها طحن القمح وعجن الطحين وخبز العجين وطبع الورق وبلّ التبغ الخ وقد جرى كل ذلك ولم تدخل فيهِ يد الانسان — لو صرحت لهم بهذه النتيجة — لعدّوك مجنوناً اوهاذراً . بل من تراهُ يسلم بذلك وايُّ عقل يعتقد بهِ سخيفاً كان او تقيفاً . أيمكن ان توجد هذه الآلات من نفسها ؟ أيمكن ان تختار هذه الاوضاع بلا صانع قادر على صنعها ؟ كذلك العقل والنقل لا يسلمان بذلك . العقل والنقل برغمانهِ واني لأرى التصديق انَّ واحداً وواحداً سبعة أيسر من ان المطبعة وجدت من نشء الطبيعة والتصديق ان واحداً وواحداً سبعون اقرب من التصديق بأن الآلة البخارية التي تسيّر السفن الكبيرة وتقضي اكثر مصالح الانسان وجدت من نفسها

لكن ما هذه الآلات بالنسبة الى اصغر الحيوانات التي لصغرها لا تراها العين التي لو جمع الف حيوان منها معاً ما بلغ جرمها كلها جرم الخردلة الصغيرة ؟ . ما هذه الآلات بالنسبة الى الفطن الذي تراهُ مذوراً كالرماد الاخضر ؟ واذا نظرنا اليهِ بالمكرسكوب رأيناهُ غابات من الاشجار وكلها تحيا وتنمو على صورة قصرت عقول البشر عن ادراك كنهها؟ من يتجاسر فيقول ان هذه الحيوانات وهذه النباتات وجدت هكذا من نشء الطبيعة ؟ لكن ما هذا بالنسبة الى الحيوانات الكبيرة ذات الايدي والارجل والعيون والآذان ؟ أين آلات البشر من جسد الانسان ؟ من عينيهِ ذات الطبقات العديدة والتراكيب العجيبة

فلو جمعت كل آلات البشر شرقاً وغرباً ما ساوت كلها عيناً واحدة في الاتقان والغرابة . ولو اجتمع كل علماء الارض وصنّاعها وارادوا ان يصنعوا عيناً باصرة كعين البعوضة وصرفوا عمرهم كلهُ في هذا العمل الى ان حانت منيتهم لحقتهم في آخر حياتهم وقد رموا آلاتهم في النار وقالوا كلهم عجزنا عجزنا

ايها السادة والسيّدات : ليس في ذلك شيء من المبالغة لان سبيل الحياة والنمو لم يخطُ فيهِ الانسان في ما مضى ولا يؤمل انهُ سيخطو فيهِ في ما يأتي . وايسر على الانسان ان يصدّق باقامة سلم تصل من الارض الى الشمس من ان يصدق بامكان عمل عين باصرة او اذن سامعة او جرثومة نامية وان كان لا يمكن للآلات البسيطة التي يعملها الانسان ان تتكوّن من نفسها بل لا بدَّ لها من صنع قادر على عملها وهي دون الآلات الموجودة الحية عما لا يقدّر فمن يصدق ان هذا العالم العظيم مع ما فيهِ من الاجسام الحية التي لا تنفع تحت الحصر وجد من نفسهِ ؟

قال الكتاب العزيز « العلم ينفع » وما اصدق هذا القول على بعض علماء هذا الزمان. قلت البعض لان جمهور العلماء المدققين كاون ودانا وسيفارت وكراي ودوصن وكربنتر واكثر مشاهير العلماء الجرمانيين والفرنساويين والانكليز والاميركانيين متفقون على ان الحياة من الخالق القدير سبحانهُ وتعالى والذين يزعمون انها فعل ميكانيكي في عناصر الجراثيم هم شرذمة صغيرة ولا يجزمون بذلك بل يجعلونهُ من باب الاحتمال وحيث وجد الاحتمال بطل الاستدلال كما لا يخفى

وخلاصة ما تقدم ان الكائنات الحية بأسرها تصرح بوجود خالق قدير خلقها واحياها . وليس هذا قولاً جرى على لسان الخلق كما يزعم بعض المتفلسفين بل هو حقيقة وقف العلماء عندها وحكم اذعن لهُ مشاهير الباحثين . وهذا ليس كل ما اريد تقريرهُ امامكم أيها السادة لاني اظنهُ مقرراً في عقول الاكثرين حتى ان زيادة تفصيله من باب تحصيل الحاصل بل مرادي ان اقرر امراً آخر ربما لم يكن المرتابون فيهِ قلائل . وهو ان هذا الخالق الحكيم ما خلق هذه الخلائق وتركها بل يعتني بها كل لحظة من الزمان في كل ادوار حياتها . ولو اهملها يوماً واحداً لخرب نظام الكون ومات كل حيّ وتبدّدت العناصر بدادَ بدادَ . وهذا لا بدَّ من تقريره بالبرهان فارجوكم ان تسمعوني بالتأني

قلتُ سابقاً ان جميع الاجسام الحية مؤلفة من جراثيم زلالية شفافة وان تركيبها واحد في جميع انواع النبات والحيوان. اما هذه الجراثيم فمركبة كيماويًّا من اربعة عناصر بسيطة وهي الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون . وقد تقدم ذكر هذه

العناصر مراراً كثيرة ولكني لا اظن انكم رأيتموها وعرفتم كل خواصها فلا بدَّ لي من شرحها قليلاً قبل ان ابين لحضرتكم عظم العناية في المحافظة عليها

الفحمة والكبريت

الكربون عنصر بسيط لهُ اشكال كثيرة ومن أشهرها الفحم الاعتيادي وهو معروف وكلهُ يحترق في الاكسجين ويصير وايهُ غازاً سامًّا . وهذه قطعة فحم وهي جامدة سوداء كما لا يخفى (قال الخطيب هذا ماسكاً قطعة فحم كانت امامهُ) . والاكسجين غاز شفاف كالهواء . وهذه زجاجة مملوءة بالاكسجين وهي لا تفرق عن هذه الزجاجة المملوءة هواء حسب الظاهر (قال هذا ماسكاً بيده زجاجتين) ولكن خواص الاكسجين هي غير خواص الهواء كما سترون من هذه الامتحانات (هنا اشعل الخطيب شمعةً ووضعها على سلك دقيق وادخلها في الزجاجة المملوءة هواء فقلَّ ضوءها ثم انطفأت وشرح ذلك شرحاً وجيزاً ثم اضاء الشمعة وادخلها في الزجاجة المملوءة اكسجيناً فاشتدَّ التهابها وسطع نورها كثيراً . ثم حاول اشعال قطعة الفحم من مصباح امامهُ فاشتعل طرفها قليلاً ولما ابعدها عن المصباح كادت تنطفئ فوضعها حينئذٍ في لفافة من حديد وادخلها في زجاجة اخرى ملآنة اكسجيناً فزاد اشتعالها كثيراً واضاءت بنور باهر . ثم وضع قطعة كبريت صغيرة في هذه متصلة بقضيب معدنيّ واشعلها قليلاً وادخلها في زجاجة ثالثة ملآنة اكسجيناً فسطع نورها كثيراً حتى كاد يذهب بالبصر ثم وضع قشة مشتعلة في طرف سلك من حديد ملتف على نفسهِ وادخلهُ في زجاجة اكسجين رابعة فاشتعل بنور باهر وبعد ان شرح هذه الاعمال شرحاً وجيزاً قال :

فيتضح من هذه الاعمال ان في الاكسجين خاصة لتقوية اشتعال الاجسام المشتعلة ولو سمح لي المقام لابنت لكم انهُ يشعل اكثر الاجسام وان كانت باردة . والهيدروجين غاز شفاف كالاكسجين ولكنهُ اخف منهُ كثيراً واخف من كل العناصر المعروفة ومن جملة خواصهِ انهُ يتحد بالاكسجين فيتكوَّن منهما ماء . وكل المياه التي على الارض وفي البحر وفي السحاب مركبة من الاكسجين والهيدروجين . والنيتروجين غاز شفاف كالاكسجين ولكن خواصهُ تخالف خواص الاكسجين والهيدروجين وهو يتحد بالاكسجين فيتكوَّن من اتحادهما حوامض شديدة اشهر اسمها الحامض النتريك أي ماء الفضة الذي يذيب الفضة واكثر المعادن وبمثل الانسجة الحيوانية والنباتية كما لا يخفى

قلت ان الجراثيم الحية مركبة من هذه العناصر الاربعة فلو اتحد الاكسجين

بالهيدروجين عند اول اتصالها لحدث من ذلك ماء فقط وبقي النتروجين والكربون معلقان ولو اتحد الاكسجين بالكربون لتكوّن من ذلك غاز سامّ. ولو اتحد الاكسجين بالنتروجين لتكوّن منهما حامضٌ اكّال. ولو اتحد الهيدروجين بالكربون لتكوّن منهما غاز قابل الاشتعال. ولو جمعت هذه العناصر الاربعة وتركّبت ما أمكن ان يتركب منها الا هذه المركبات وكلها غير حيّة واكثرها مضرّة بالحياة. فمن يخالف نواميس العالم ويركّب هذه العناصر ويجعل منها اصلاً حيًّا ويبقي بها داعًا حتى لا تحلّ ولا تتركّب بخلاف ذلك؟ ومن يعطي هذه الجراثيم قوة حتى تكوّن في النبات نباتاً وفي السمك سمكاً وفي الطير طيراً وفي الانسان انساناً ويحكم عليها ويبقي بها في كل ادوار حياتها حتى لا تغلط أبداً؟. لانهُ لا يُعهد عن جرثومة نبات كوّنت حيواناً ولا عن جرثومة سمك كوّنت انساناً مع ان الجراثيم واحدة داعًا وتركيبها غير متغير في كل انواع النبات والحيوان وفي كل ادوار الحياة. قل لنا من يرتاب في العناية الالهية؟ لو بطلت العناية حقيقة اما كان اكسجين الهواء يحرق جسدك كما حرق الحديد؟ أما كان اكسجين جسدك يعد بهيدروجينه فيصير ثلاثة ارباعك ماء؟. اما كان اكسجين جسدك يعد بنتروجينه فيصيرا حامضاً أكّالاً ويأكل بدنك؟. قل لنا يا من تنكر العناية — لو انتفت العناية كما تزعم فمن كان يمنع جراثيم جسدك عن ان تكوّن لحماً فقط فتصير كلك لحماً لا عظم فيه او ان تكون عظماً فقط فتصير كلك قطعة من عظم او ان تكون دماً فقط فتصير بركة دم تتن عما قليل وتهب رائحتك الخبيثة في الاقطار؟

عناية الله شاملة

ومن الناس من يقولون ان الله معتنٍ بالامور الكبيرة ولكنهُ لا يلتفت الى الصغيرة فلو صحّ زعمهم وترك صغار الاشياء لترك الجراثيم فنسها لانها من اصغر ما يوجد. ولو تركها سنة واحدة لخرب نظام العالم وصار الانسان يزرع ارضهُ قمحاً فتنبت لهُ عقارب وينصب كرمهُ عنباً فيخرج لهُ حيات ويتزوج بامرأة فتلد لهُ جنادب ويركب على فرس فيستحيل تحتهُ ضفدعاً. ولا تظنوا ايها السادة اني خرجت من معرض الجد الى معرض الهزل حاشا لي ان اقرر لديكم الا الحق فانهُ لو بطلت العناية لحظة من الزمان لتعذّر علينا ان نعرف مصير هذه الجراثيم. اما الذين ارادوا ان ينكروا العناية فقد بذلوا جهدهم في جمع شواذ الكون لاثبات دعواهم. ولما وجدوها شيئاً لا يذكر بالنسبة الى امور القياسية اخذوا يبحثون عن سبب في المادة يجعلها تسير على سنن واحد والى الآن ما وجدوا.

انكروا العناية الالهية وتألوا الله (تعالى الله علواً كبيراً)عن عرش العالم واخذوا يفتشون عن غيره والى الآن ما وجدوا — ولن يجدوا حداً للحكم الدائم الاعلى فندعهم في خوضهم الى ان يعلن الله ذاته ويبينهم عن غيبهم . اما ما تقدم فكاف لاقناع غير المكابر بان حياة الاجسام الحية تستلزم وجود اله محيٍ واتمامها وظائفها بلا خلل يستلزم كون هذا الاله ناظراً اليها ومعتنياً بها

الى هنا اطلقت الكلام على النبات والحيوان . اما الآن فأريد ان احصر كلامي في الانسان فاقول : قد ظهر من الابحاث المدققة ان الانسان قد اعتقد في كل اين وآن بوجود اله وبوجوب العبادة له ولا يخلو هذا الاعتقاد ان يكون غريزة في فطرة البشر او استنتاجاً اتصلوا اليه بالدليل او اعلاناً جاءهم بوحيٍ من هذا الاله . فان كان غريزة في فطرتهم فالذي فطرهم عليه هو خالقهم وهو خيرُ شاهدٍ لنفسه وان كان استنتاجاً فلا بدَّ من انهم استنتجوهُ مما في الطبيعة من الشواهد على وجود الله وعنايته كما قدرأينا هذه الليلة وانعم ما فعلوا وان كان الله سبحانهُ قد اعلن لهم ذاتهُ بطريقة ما فاعتقادهم في محله وهو عين الصواب. وعلى كلٍّ فوجود هذا الاعتقاد بين كل البشر دليل على ان آداب الانسان تثبت وجود الله وعنايتهُ . فالعالم الادبيّ يعلن وجود الله ويثبت كونهُ معتنياً بخلائقه دائماً مثل العالم المادّي

ويترتب على ذلك امر جوهريٌّ جدًّا . وهو ان الله ناظر الى كل فرد من افراد البشر دائماً وابداً فاذا كان الله ناظراً الينا دائماً فايّ اناس يجب ان نكون ؟

يا دعاة الحق يا من يغارون على خير بلادهم يا من يقصدون اصلاح العالم يا من يضحون بمصالحهم في خدمة وطنهم يا من يسفكون دمهم في طلب الراحة والحرية وانقاذ المظلومين ورفع لواء العدل والانصاف انا اريكم طريقاً للوغ امانيكم . اذهبوا وعلّموا الناس ان الله ناظر اليهم دائماً اذهبوا واطبعوا في عقول الناس ان عيني الله عليهم دائماً . اطبعوا في عقل القاضي ان عيني الله عليه ينتقد كل ظلم من حكمه . اطبعوا في عقل التاجر ان عيني الله عليه ينتقد كل خداع من متاجرته . اطبعوا في عقل العامل ان عيني الله عليه ينتقد كل غش من عمله . اطبعوا في عقول الجميع ان عيني الله عليهم يرعى الناس في بحبوحة الامن والراحة والحرية والسعادة . يا رجال سوريا — ويا رجال الشرق كافة — فتشوا عن كل الوسائط التي يمكن استخدامها لترقية شأن بلادكم تجدوا ان هذه هي الواسطة الفضلى وان لم يمكنا ان نغير عقول كل اهل الجيل الحاضر فلنسعَ في تغيير عقول الجيل المقبل . وفقنا الله الى الصواب

لا تزال الاحياء تتحوّل وتتنوّع

هل نستطيع مشاهدة النشوء

يتلخص مذهب النشوء والارتقاء في ان الحيوانات والنباتات تتحوّل وتتطوّر فينشأ من تحوّلها وتطوّرها انواع جديدة من الحيوان والنبات . حدث ذلك في العصور الماضية ولا يزال يحدث الآن . فهو مذهب يتناول مسائل واقعة كجري جدول او نموّ شجرة لا اموراً من وراء العقل والطبيعة . فالنشوء العضوي اذاً فعل فسيولوجي كعمل الهضم . وهو فعل لا يحدّهُ زمن من الازمنة كان يجري في الماضي وهو جارٍ الآن وينتظر ان يظلّ جارياً الى ما شاء الله . فاذا كان في امكانك ايها القارئ ان تعيش زمناً طويلاً اتيح لك ان ترى الاحياء تبدأ حياتها بسيطة التركيب قليلة الانواع فتغير اشكالها وتتحول صفاتها على مرّ الزمن حتى تصير معقدة التركيب كثيرة الانواع — اي انك تستطيع ان تشاهد الاميبا وهي ابسط الحيوانات وادناها في سلّم النشوء تتحول الى احياء اخرى أثبت شكلاً واعقد تركيباً . وان تشاهد الهاريون يصبح فرساً . وحيواناً شبيهاً بالقرد يصير انساناً

بطء النشوء

ولكن ما من احد يطمع في ان يعمّر حتى تتاح لهُ مشاهدة هذه الاشياء . لان فعل التطور بطيء كلّ البطء . وما يحدث منهُ في مدى حياة رجل او حياة عدة رجال يتبع احدهم الآخر سوى نزر قليل . على ان الباحثين والعلماء تمكنوا من ان يكشفوا عن افعال طبيعية بطيئة وان يقيسوها . فكلّ من قطبي الارض يدور في دائرة صغيرة من الفضاء دورة بطيئة تستغرق خمساً وعشرين سنة حتى يتمها مرّة . ولكن العلماء كشفوا عن هذه الحقيقة وقاسوا سرعة هذا الدوران . والنجوم الثوابت ليست ثابتة حقاً فاذا نُظر اليها في مجموعها وجد انّ تغيراً طفيفاً يحدث في مواقعها قد لا يستطاع الكشف عنهُ لدقته الاّ في قرن او قرنين . ولكن علماء الهيئة كشفوا عن ذلك وقاسوهُ . وهناك عناصر تعرف بالعناصر المشعّة تتحلّل بانطلاق ذرات دقيقة منها في شكل امواج فاذا انقضى عليها الوف من السنين وهي تتحلّل كذلك تحوّلت من عنصر الى عنصر آخر . فالراديوم يصبح بعد انحلاله على هذا المنوال رصاصاً ولكن تحولهُ على هذا النمط يستغرق الوف الالوف من

السنين . ومع ذلك تمكن علماء الطبيعة من الكشف عن حقيقة هذا الانحلال والتحول وقاسوا سرعتهما قياساً دقيقاً

فاذا كان العلماء قد تمكنوا من قياس هذه الافعال الطبيعية البطيئة جداً البطء افلا يستطيعون ان يشهدوا افعال النشوء والارتقاء ويقيسوا سرعتها. أولا يستطيعون ان يشهدوا التغير الذي يطرأ على جسم من الاجسام او نوع من الانواع فيجعله اعقد تركيباً واعلى مقاماً في سلم النشوء ويفضي به الى توليد انواع جديدة ؟

اننا لا نستطيع ان نشهد مباشرة نمو شجرة من الاشجار ولكننا اذا صورنا نبتة صغيرة صورة شمسية مرة كل اثنتي عشرة ساعة مثلاً مدى شهر ثم عرضنا هذه الصور بالتتابع كما يعرض فلم من الصور المتحركة استطعنا ان نشهد الشجرة تنمو وعرفنا كيف يكون نموها. افلا نستطيع ان نحصل على صورة من هذا القبيل لفعل من افعال النشوء ؟

العمل محفوف بالمصاعب . ففعل النشوء بطيء فعل معقّد لان نشوء الانواع قد يحدث في نواح مختلفة من تركيب الاحياء ووظائف اعضائها . وبعض الانواع قد يحط حتى ينقرض والبعض الآخر قد ينمو اكثر تعقيداً ويتطور في صفاته ومميزاته حتى يتكيف للاحوال المتغيرة التي تحيط به . وهناك طائفة اخرى قلما تظهر عليها آثار التغير على الاطلاق . لذلك لا يمكن ان يكون فعل النشوء فعلاً مطرداً لان غايته تكثير الانواع لا تقليلها وتعقيد التركيب لا تبسيطه . فما هي اوصاف التغيرات التي تنتظر مشاهدتها في اثناء حياة انسان اذا اتيح لنا ان نشهد فعل النشوء وتائجه في بعض الاحياء

علينا اولاً ان نتناول في بحثنا حيًّا من الاحياء التي تتصف بسرعة التناسل حتى يتاح لنا ان نرقب اثر النشوء في اجيال كثيرة متعاقبة من نسلها . وهذه الاحياء كثيرة ومنها ما ينتج جيلاً جديداً كلّ يوم او كلّ بضعة ايام . وعلينا كذلك ان نتخذ اساساً لدرسنا فرداً من النوع الذي يقع عليه اختيارنا وان نتناول كل نسله بالمراقبة والتحليل . فبحسب مذهب النشوء لا بدّ من وقوع شيء من التغير جيلاً بعد جيل واكثر وجوه التغير التي تشاهد يكون سحابة صيف وتنقشع يظهر في جيل ولا يظهر في الذي يليه ولكن منهُ ما يبقى لهُ اثر في الاجيال التالية اي انهُ يورَّث لها . وهكذا نرى ان نسل الفرد الذي حصرنا درسنا فيه قد اخذ يتغير بظهور صفات تنتقل من جيل الى جيل بالوراثة فتظهر افراد جديدة تختلف عن الفرد الاصلي ويختلف بعضها عن بعض . والنوع الواحد منها يعبد الطريق كذلك لظهور انواع جديدة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً وراثيًّا

ولا يحق لنا ان ننتظر ان يكون هذا التغير كبيراً في مدى حياة رجل او عدة رجال

متتابعين . فالزمن الجيولوجي طويل طويل وعمل النشوء بطيء بطيء . ومذهب النشوء نفسهُ لا يقضي بوجوب نشوء انواع جديدة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً بيناً في زمن قصير كحياة الانسان . وما يطلبهُ عامة المثقفين من مشاهدة قطة او نسل قطة يتحول الى نوع من الكلاب او حيواناً رخواً كالاميبا يصير حيواناً فقاريًا لا يتفق مع الاركان التي يقوم عليها مذهب النشوء . اننا لا ننتظر ان نرى نوعاً جديداً من الاحياء مستقلا بصفاته ومميزاته قد خلق واستتمَّ تكوينهُ في مدى حياة احد منا . وكل ما يقضي بهِ مذهب النشوء هو ظهور تغيرات وراثية طفيفة حتى اذا تكاثرت وتجمعت نشأ من نوع واحد من الاحياء انواع كثيرة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً وراثيًا طفيفاً وهكذا

فهل نستطيع ان نشاهد هذه التغيرات التي يقضي بها مذهب النشوء ؟ لقد بحث الباحثون في طائفة من الحيوانات سريعة التناسل مباحث تقوم على هذه الاركان . والى القارئ خلاصة التجارب التي قام بها الاستاذ جننغز استاذ علم الحيوان في جامعة جونز هبكنز الاميركية

التجارب في الاميبا

من الاقوال التي تتناقلها عامة المتعلمين ان الاميبا هي الحيوان الاصلي الذي تسلسلت منهُ كل الحيوانات . فلنفحص الاميبا اذاً لنرى هل هي لا تزال تتحول وتتغير فينشأ منها بتحولها وتغيرها اصناف جديدة . بعض انواع الاميبا رخو لا غطاء يغطيهِ وليس لهُ قوام او شكل خاص ولذلك يتعذر او يستحيل ان نشاهد فيهِ بعض التغيرات الوراثية التي تطرأ عليهِ . وبعض انواعها الاخرى لهُ صدف يحيط بجسمهِ الرخو ليحفظهُ من الطوارئ وفيهِ يسهل البحث عن التغيرات الوراثية ومراقبتها . ومع ان انواع الاميبا الصدفية تشبه الاميبا الرخوة في اكثر صفاتها الا ان كلاً منها يطلق عليهِ اسم خاص . والنوع الخاص الذي انتخب لهذه التجارب يعرف « بالدفلوجيا كوروانا » وهو حيوان مكرسكوبيٌّ قطرهُ نحو ١ من ١٥٠ جزءاً من البوصة يتكاثر من غير تناسل اي ان كلَّ فرد ينشطر الى شطرين ثم ينمو كل من هذين الشطرين نموًّا طبيعيًّا كاملاً فاذا بلغ درجة معينة انشطر هو بدوره الى شطرين فكل فرد من هذا النوع اذاً لهُ والد واحد لا والدان كما هي الحال في الحيوانات التي تتناسل . وهو سريع التكاثر يظهر نسل جديد منهُ كلَّ يومين الى اربعة ايام . ففي اثناء سنة واحدة يستطيع الباحث ان يراقب اجيالاً كثيرة متعاقبة من نسلهِ . فهل تبقى هذه الاجيال الكثيرة وافرادها متماثلة في صفاتها الوراثية ؟ وهل تتغير وتختلف كما يقضي مذهب النشوء

اخذ الاستاذ جننغز اميبا واحدة من هذا النوع وتركها تتكاثر على طريقتها حتى صار

لها الوف من الابناء والاحفاد وراثيا في اثناء ذلك. في افراد الاجيال الاولى لم يكن في الامكان الكشف عن تغيرات وراثية. ثم كان الخلف يختلف عن السلف في صفات معينة ولكن هذه الصفات لم تكن تورث للجيل الذي يليه. على انهُ لما تعاقبت الاجيال وكثرت وزاد عدد افرادها رأى ان بعض هذه التغيرات تتجمع وتصبح وراثية. ففي بعض الافراد كان يرى شوك صدفها اطول منهُ في اسلافها وفي بعضها اقصر منهُ في اسلافها. كذلك بدأ يرى اختلافات كثيرة في الحجم والشكل وهذه الاختلافات كانت تورث للاجيال التالية. ولما انقضى الوقت الكافي وجد ان الحيوان الاول الذي بدأ تجاربهُ به قد اخلف انواعاً مختلفة هي اشبه شيء بفروع شجرة نشأت كلها من جذع واحد. وهي كثيرة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً وراثيًّا وكل فرع او نوع يشتمل على عدد كبير من الافراد وتظهر في كل منها الصفات الخاصة بالنوع الذي تنتمي اليه

فما يقضي به مذهب النشوء ينطبق كل الانطباق على حيوان « الدفلوجيا كوروتا » واذا كان ظهور هذه الصفات والاختلافات الوراثية وتنوُّع النسل هو النشوء فالعلماء قد شهدوا النشوء في اثناء حدوثه. وقد تناول الباحثون حيوانات اخرى من قبيل الدفلوجيا فاسفرت مباحثهم كلها عن مطابقتها لمقتضيات مذهب النشوء. اي ان الحيوانات التي درست لم تبق على ما هي من غير ان يطرأ عليها تغير ما. ومع انَّ عمل النشوء عمل بطيء جدًّا كلَّ البطء يمكن هؤلاء الباحثون من ان يروا الانواع الجديدة التي تختلف وراثيًّا بعضها عن بعض تنشأ وتتكاثر من اصل عام واحد وهذه هي خلاصة مذهب النشوء

في الاحياء العليا

على ان مراقبة هذا التحوُّل والتغيُّر في الحيوانات العليا والنباتات العليا صعب كلَّ الصعوبة. بل يكاد يكون متعذراً. اولاً لان التناسل بطيء فيها فالانسان لا يستطيع ان يشاهد في اثناء حياته سوى بضعة اجيال من الحيوان الذي خصهُ بالبحث والامتحان. ثم هنالك عقبة اخرى وهي ان التناسل في الحيوانات العليا عمل يشترك فيه اثنان والدٌ ووالدة. والوالد يختلف دائماً عن الوالدة في بنيته وصفاته الوراثية فينشأ الولد حاملاً في كيانه مزيجاً للصفات الوراثية التي يمتاز بها اصلان مختلفان كل الاختلاف. فتعيين كلّ اتجاه جديد في صفات الابن يحتم مقابلتهُ على الصفات التي ورثها من امه او من ابيه وهذه متعذر تعيينها او هو غاية في الصعوبة

على ان العلماء الذين يقفون حياتهم وقوتهم لبحث عن الحقيقة لا يحجمون امام

العقبات . لذلك اكبوا سنين طوالاً على درس الصفات الوراثية في طائفة من الحيوانات الدنيا ثم راقبوا نسلها مراقبة دقيقة حتى يروا ما يستجدُّ فيها من الصفات التي تورَّث للاجيال التي تليها. وقد عني احدهم — الاستاذ مورغان وتلاميذهُ — بدرس حشرة تعرف بذبابة الفاكهة (الدروسوفيلا) وبلغ درسهم درجة من الدقة مكَّنهم من تدوين مئات من الصفات الوراثية الدقيقة . وفي التجارب التي جربوها نشأ من « الدروسوفيلا » مئات من الانواع الجديدة التي تختلف عن النوع الاصلي اختلافاً وراثيًّا . والصفات الوراثية الجديدة في بعض هذه الانواع ظاهرة كلَّ الظهور كنشوء نوع جديد ابيض العيون من نوع احمر العيون او حين يخلف نوعٌ طويل الاجنحة نوعاً قصيرها او معدومها . والعلماء الذين راقبوا هذه التغيرات الظاهرة اولاً ظلوا مدة يذهبون الى ان كل تغيُّر نشوئي جديد يحدث فجأة . ولكنهم لما تبطنوا موضوع بحثهم وعرفوا مخارجهُ ومداخلهُ وجدوا ان هناك تغيرات طفيفة لا تكاد ترى لدقتها تتوسط الانتقال من صفة الى صفة اخرى تختلف عنها. فقد وجدوا مثلاً ان بين العيون الحمر والعيون البيض ظهرت عشرات من العيون المتباينة تباين طيوف الوانها بين الاحمر والابيض . ومن قبيل العيون وجدوا تغيرات فسيولوجية كثيرة لم يستطيعوا تبينها الاَّ بعد جهد كبير بذل في البحث . وكذلك ثبت لهم ان التحوُّل الوراثي المتدرج تطرق الى كل اعضاء الحيوان . فنشأ من نوع الدروسوفيلا الاصلي مئات من الانواع المختلفة . وقد كشف حديثاً الاستاذ مللر الاميركي انهُ اذا استعمل اشعة اكس استعجل ظهور هذه التحولات التي تحسب اساساً للارتقاء العضوي في الاحياء

***

لا يزال العلماء يجهلون الاسباب التي تبعث على هذه التحولات واسا لبب حدوثها. على ان الجهل بهذه الامور يجب ان لا يقف حائلاً دون الاعتراف بحقيقة النشوء — بحقيقة التغير الذي يحدث في اعضاء الاحياء وصفاتها. ولنذكر ان امامنا مذهبين متناقضين. الاول يقول ان بناء الاجسام ثابت لا يتغير وانَّ الاحياء ولدت كما هي لم تتغير ولن تتغير. واصحاب المذهب الآخر — مذهب النشوء والتطور — يقولون ان بنية الاحياء تتغير تغيراً وراثيًّا على مرّ الاجيال والعصور . وان من نوع واحد تنشأ انواع عديدة مختلفة بفعل التحول الوراثي في الافراد . وقد ايدت المباحث الدقيقة التي قام بها العلماء في الحيوانات التي في اسفل سلم النشوء هذا المذهب . اذ قد ثبت لهم ان هذه الحيوانات تتغير فعلاً وتنشأ منها انواع جديدة تختلف احدها عن الآخر . فالحقائق التي اثبتها الباحثون تؤيد مذهب النشوء والتطور وتدحض المذهب المناقض لهُ

كيف نكافىء العلماء

بالمعاشات او بالهبات او بالاوسمة او بالتماثيل

كنا في انكلترا في الصيف الماضي حين اعلن السر رونلد روس رغبته في بيع مدونته العلمية ليكفي نفسه واسرته مؤونة القلق على اسباب العيش . فدهشنا ان نجد في بلاد كبلاد الانكليز طلباً مسوراً وخصوصاً اذا كان من مقام السر رونلد روس او امثاله . وقد سررنا حين قرأنا في الصحف في شهر مايو الماضي ان الامة الانكليزية عنيت بجمع خمسين الف جنيه واهدائها الى هذا العالم الممتاز . فاثارة الخبران نشر هذا المقال

من الامور المعروفة ان جانباً كبيراً من ثروة الامم في هذا العصر ناجم عن المباحث العلمية التي طبّقت على الصناعة والزراعة والمواصلات والمخاطبات وغيرها ولذلك يرى كثيرون من المفكرين ان الانصاف يقضي بمكافأة العلماء بجانب من هذه الثروة التي يتقاسمها العمال واصحاب الاموال . ومن اشهر الداعين الى هذا العمل السر رونلد روس مكتشف اسباب نقل الملاريا فهو يذهب الى ان العلماء الذين اكتشفوا مكتشفات علمية ذات شأن يجب ان ينالوا من خزينة حكومتهم معاشات تكون على الاقل معادلة لمعاشات القواد

اذا اكتفينا بنظرة عجلى الى الرأي القائل بوجوب مكافأة العلماء اقتضانا بصحته حالا . فكثيرون من اصحاب الاعمال العقلية والفنية كالمؤلفين والموسيقيين والمصورين والنقاشين يتمتع الواحد منهم بدخل كبير متى بلغ درجة عالية في الفن الذي يعالجهُ . اما العالم فلا امل لهُ في ان ينال اكثر من الفي جنيه في السنة وفي الغالب يحسب نفسهُ موفقاً اذا ظفر بمنصب مرتبهُ الف جنيه . واما العلماء الذين لا ينالون سوى ٣٠٠ جنيه في السنة فغير قلال واذا شاء احدهم ان يزيد دخلهُ السنوي تحتم عليهِ ان يخرج عن جادة البحث العلمي الصميم فيستخدم مواهبهُ ومعارفهُ في الامور الصناعية او في تأليف الكتب العلمية البسيطة التناول او في غير ذلك من الاعمال التي يكثر عليها الطلب وتعود عليهِ بالكسب الوفير . وفي تلك الحال يفقد العلم ما كان هذا الرجل قادراً ان يكشفهُ لو استمر في بحثهِ . ولا يخفى ان العلماء لا يكسبون شيئاً من تسجيل مكتشفاتهم لان كثيراً منها لا يسجل . فالعالم بالحيوان لا يستطيع ان يسجل نوعاً جديداً من السمك كشفهُ ولا الفلكي كوكباً عثر عليهِ . والآداب العلمية تحظر على الباحثين في الامراض واسبابها ووسائل علاجها ان يسجلوا اسماء

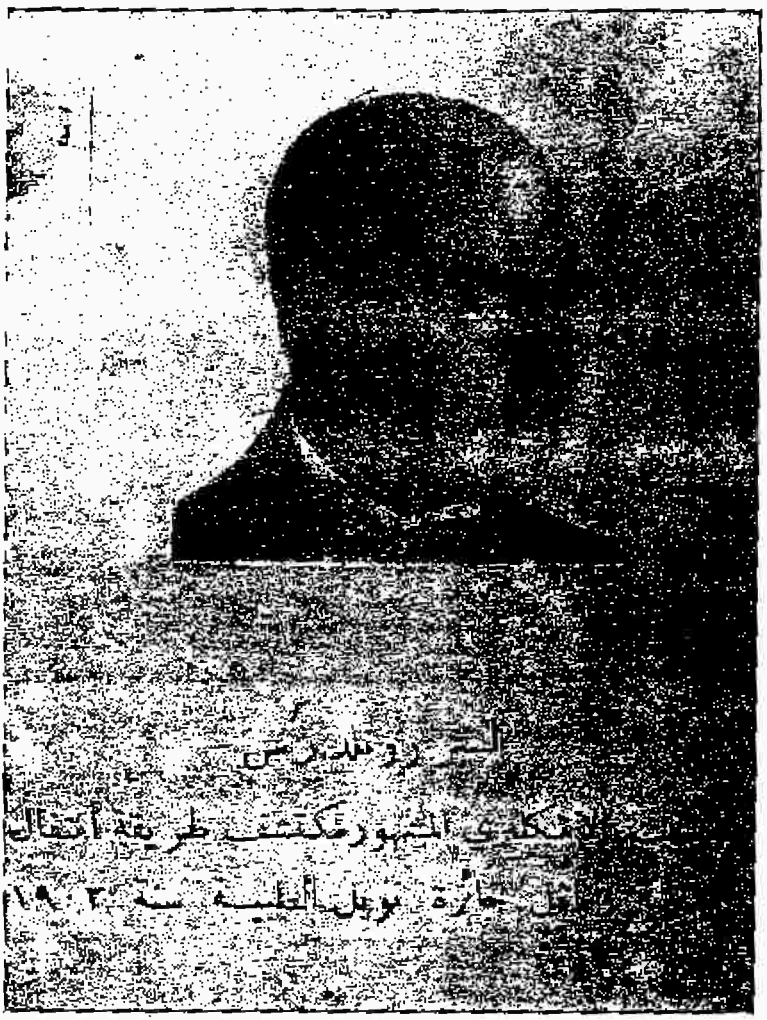

الدكتور رونلد روس
الذي اشتهر باكتشافه طريقة انتقال
الملاريا وحاز جائزة نوبل الطبية سنة ١٩٠٢

مقتطف يوليو ١٩٢٩
أمام الصفحة ١٣٥

العلاج الجديدة واحتكارها . كذلك لا يستطيع الكيماوي ولا العالم الطبيعي ان يسجل مكتشفاته الكبيرة لسببين اولهما انهُ لا يعلم متى يستفاد من هذا الاكتشاف او ذاك فائدة عملية. فلما كشف رنتجن عن القوانين التي يجري عليها انطلاق الكهارب من المعادن الحامية لم يخطر لهُ انهُ كشف وسيلة تُبنى عليها المخاطبات التلفونية اللاسلكية فيما بعد فلم يكن في امكانهِ ان يسجل اكتشافهُ تسجيلا يمنع تطبيقهُ في المستقبل. ولقد كُشفت حقائق كثيرة متعلقة بالكهارب المنطلقة من المواد المشعة لم تطبق حتى الآن تطبيقاً عمليًّا ولكنها لم تسجَّل تسجيلا يمنع احداً من استخدامها في المستقبل . ثانياً اذا عظم الاكتشاف طال الزمان الذي ينقضي قبل الانتفاع بهِ فقد انقضى زمن طويل على اكتشاف فراداي لمبادئ المحرك الكهربائي قبلما بدىء بالتوسع في صنعهِ صنعاً تجاريًّا . مع ذلك لم يكسب فراداي ملياً واحداً من اكتشافهِ هذا وورثتهُ الشرعيون لا ينالون ربحاً عليهِ مثلما ينال ورثة الاميرال نلسن لانتصارهِ في معركة طرف الفار

واذا نظرنا الى الفرنسويين وجدنا انهم لا يكافئون رجال العلم عندهم بما يكفي لمعيشتهم . ولكنهم يقيمون لهم تماثيل فخمة حينما يموتون ويدعون الشوارع باسمائهم. ولعلَّ التمثال او تسمية الشارع باسم عالم راحل اقوى باعثاً على شحذ الهمم من زيادة المرتب او دفع المعاش للورثة

ولا ريب في ان وضع نظام لمكافأة العلماء يصطدم بعقبة كؤود هي الصعوبة في تقدير قيمة اكتشاف علمي في الوقت الذي يكون العالم قادراً ان يتمتع بنتائج هذا التقدير . وقد يجيء اعتراف الامة باكتشافهِ بعد موتهِ او بعد ما يبلغ من السن ما لا يفيد معهُ جمع المال. والمرجح ان اللجان التي قد تعيَّن لمكافأة العلماء تهتمُّ بما يكشف من الحقائق الجديدة اكثر مما تهتم باسلوب جديد للبحث . نضرب مثلاً على ذلك منح جائزة نوبل الطبية لبانتنغ وكلود لكشفهما الانسولين — المادة التي اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري . فان كل المواد التي حُضّرت قبل الانسولين كانت تجرَّب في كلاب حتى يعرف ما لها من الاثر في مقدار السكر في الدم . ومن المعروف ان تحليل الدم تحليلاً دقيقاً حتى يُعرف ما فيهِ من السكر عمل دقيق جداً وخصوصاً متى كان الباحث يشتغل بقطرتين فقط من الدم . هذا التحليل لم يبلغ الدرجة من الدقة التي بلغها الآن الاَّ بعد ٦٠ سنة من البحث الدقيق في مئات المسائل الطبية والفسيولوجية وقد استغرق ارتقاؤه وقتاً اطول واقتضى دقة ومهارة اعظم مما اقتضاهُ كشف الانسولين فاعطيت الجائزة لمكتشفي الانسولين لا للذين مهدوا بعض السبيل لاكتشافهِ

فاذا وضع نظام لمكافأة العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم بقي كثير من المكتشفات العلمية مجهولاً ولم ينل اصحابه المكافأة الجديرة به . ما من نظام مهما كان محكماً يمكن اصحابهُ من التنبؤ بما يكون حكم المستقبل على مكتشف من المكتشفات . وفوق ذلك فانهُ يحول العلماء عن البحث العلمي المحض الى البحث عن امور تسترعي الانظار حتى يفوزوا بالمكافآت . ولو وهب احد الاغنياء من خمسين سنة مكافأة مالية تعطى لمن يكشف مادة اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري لتحول كثيرون من الباحثين الذين وضعوا الاسلوب الدقيق لتحليل الدم عن بحثهم هذا الى البحث عن الانسولين ولعجزوا عن الاثنين

ثم لننظر الى امر آخر . ما من اكتشاف كيماوي احرى بالمكافأة من اكتشاف عنصر جديد . ولقد كشف في السنوات الاخيرة اربعة عناصر جديدة . ولكن هذه العناصر لم تكتشف الا بتطبيق قانون موزلي الذي يبين علاقة محدودة بين طيف اشعة اكس وعدد العنصر الجوهري . ولم يتوصل موزلي الى وضع هذا القانون الا بعد مباحث جمة وقياسات دقيقة نجم عنها شبهُ اداة يستعملها الكيماوي في كشف العناصر الجديدة . مع ذلك ارجح ان قانون موزلي لم يذكر في الصحف على الاطلاق حين كشف وأرتاب كل الارتياب في هل يرضى الشعب عن توزيع اموال الدولة على امثال موزلي مكافأة على اكتشاف لا يدرك قيمتهُ

وقد ارتأى الاستاذ هلدين — منشىء هذا المقال ان انشاء نظام يكافأ به العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم لا يفي بالغرض ولذلك اقترح انهُ يضمن للاساتذة والباحثين في الجامعات والجمعيات العلمية مرتبات تكفيهم ليكونوا في بسطة من العيش. وعندهُ انهُ يجب الاهتمام بنوع خاص بالمباحث العلمية المحضة ، وان يُفصل اذا امكن ، بين رجال البحث العلمي المحض ورجال التعليم . اذ قد يكون احد الباحثين من اقدر الناس على المباحث العلمية ولكنهُ قد يكون من اضعفهم في سرد الحقائق على جمهور المتعلمين ثم قال :

لقد مضى الوقت الذي نستطيع فيهِ ان نكافئ فراداي وهرتز وباستور ولكننا نستطيع ان نكفل لخلفائهم ما يمكن كلاً منهم من تربية عائلة صغيرة وتعليم اولادهم تعليماً راقياً والحصول على بعض الكماليات كالموبيل صغير . اني لا استطيع ان اذكر الآن منصب استاذ واحد في بلاد الانكليز او فرنسا يضمن هذه الشروط . فعلى رجال البحث العلمي ان يختاروا بين ترك البحث الذي تفرغوا لهُ او عدم الاقبال على الزواج او تحديد العائلة . واني اعرف كثيرين من اكبر رجال العلم الذين تركوا البحث العلمي فصاروا صحافيين او تجاراً فكسبوا اموالاً طائلة ولكن ماذا كسب العالم — بل كم خسر ! وبعضهم يكتفي بولد او ولدين وفي هذا خسارة ايضاً لان جانباً كبيراً من المقدرة العلمية يورَّث وراثة طبيعية واجتماعية

صورة حياية مبنية على حقائق علمية للحيوان الملون الضخم الذي وجدت آثارهُ في منغوليا . وفي الزاوية صورة الدكتور اندروز موضوع هذا المقال

مقتطف يوليو ١٩٢٩

أمام الصفحة ١٣٧

رجال العلم والعمل

سيرة الباحث عن منشأ الاحياء

صدر الصحراء الصينية مضطربٌ تقيسهُ وتقعده عاصفة هوجاء . والريح صرصر تسفي الرمل كثباناً وتقذفهُ رشاشاً يلطم الرؤوس والارجل والاخفاذ وينخس الوجوه كالابر . حرُّ النهار شديد يزهق النفوس وبرد الليل قارس يخزُ العظمَ ويقضُّ المضجع الدفيء . وفي خيمة مضروبة في ذلك الفضاء المترامي الاطراف رقد على سرير الضنى رجل جريح في مقتبل العمر احمر العينين ضيّق النفس يئن من وطأة الحمّى . دخل عليه اثنان من صحبه لتفقد حاله وما لبث ان همس احدهما في اذن الآخر « لا بدَّ من نقله » فانتبه الجريح من سباته وسألهما عن حال العاصفة فاجيب انها لا تزال على ما كانت عليه من شدة الهبوب . فسألهُ الاول « كيف حال ساقك » فاجاب « لا بأس انما الالم يتبض نبضاً » . فقال الثاني ودلائل الهار شديد يزهق النفوس وبرد الليل قارس يخزُ العظمَ ويقضُّ المضجع الدفيء . وفي خيمة مضروبة في ذلك الفضاء المترامي الاطراف رقد على سرير الضنى رجل جريح في مقتبل العمر احمر العينين ضيّق النفس يئن من وطأة الحمّى . دخل عليه اثنان من صحبه لتفقد حاله وما لبث ان همس احدهما في اذن الآخر « لا بدَّ من نقله » فانتبه الجريح من سباته وسألهما عن حال العاصفة فاجيب انها لا تزال على ما كانت عليه من شدة الهبوب . فسألهُ الاول « كيف حال ساقك » فاجاب « لا بأس انما الالم يتبض نبضاً » . فقال الثاني ودلائل

مادا تقول ايها القارىء اذا عهد اليك في قيادة بعثة علمية الى صحراء غوبي لتبحث في ارجائها المترامية الاطراف عن آثار الاحياء المطمورة في طبقات ارضها ؟ ماذا تفعل اذا هاجمك اشرار احياط عملك بالحراب ثورة وقطع الطريق عليك او نافخرى ؟ هل تحملك محبة العلم والعمل على الاستهانة بجرح بليغ يصيبك او كأس الموت ترده ظمأ او جوعاً او لغباً او تحت كثيب من الرمل تطمرك به العاصفة الهوجاء؟ اجب عن هذه الاسئلة ثم اقرأ هذا المقال

العزم والحزم تبدو في كلامه — لقد قررنا ان نتقلك من هنا حالما تسكن هذه العاصفة الثائرة . فلما سمع الجريح كلام رفيقه رفع رأسه واتكأ على ذراعه وقال غاضباً « لن تفعلوا شيئاً من هذا » فقال احد الصديقين ولكن اذا تركناك هنا فقد يلتهب الجرح ويفضي التهابهُ الى ما لا تحمد عقباه . فاعترض الجريح قائلا « لن يلتهب » . فتركاهُ عند هذا الجواب ليظهر لهُ انهُ فاز في الجدال خوفاً من هياج اعصابه الضعيفة ظناً منهما انهما بستطيعان استئناف المناقشة صباح اليوم التالي فيقنعانه بصحة رأيهما . فلما فعلا ذلك وجداهُ على ما كان صلباً لا يلين

هذه حادثة صغيرة تمثل حياة الدكتور روي تشابمن اندروز قائد البعثة الاميركية الاسيوية الى «صحراء غوبي» سنة ١٩٢٨ . فانهُ رغماً عن جرحه البليغ واصابته بالحمى

على اثره واشتداد العاصفة رفض وهو القائد ان يتقهقر وان يوقف عمل البعثة العلمية مدى فصل كامل. هذا هو الرجل الذي صوّب مصباح العلم الحديث الى صحاري آسيا المتوسطة فاعادها تنبض بالحياة ولكن بالحياة كما كانت فيها منذ عشرة ملايين من السنين

خطر لهُ وهو شاب ان الكرة الارضية كانت غير مستقرة على حال في بدء تكوينها وان قاراتها كانت ترتفع وتنخفض فكانت مياهُ البحار تنحسر عنها آناً وتغمرها اخرى. وظلت كذلك عصوراً طوالاً قبلما استقرت يابستها وبحارها. وتراءى لهُ ان اسيا كانت اول قارة استقرت كذلك وذهب الى انها يجب ان تكون منشأ الحيوانات الاولى ووطن الحيوانات اللبونة الاولى والانسان القديم. فاذا تمكن من ان يعثر على آثار متحجرة لبعض انواع من هذه الحيوانات في طبقات ارض استقرت على ما هي قبلما استقرت طبقات الارض في القارات الاخرى — اوربا واميركا مثلاً — فتلك الحيوانات هي الاصل التي نشأت منهُ انواع الحيوانات في سائر انحاء العالم

مذهب جريء ولكنهُ يحتاج الى ادلة علمية تؤيدهُ قبلما يسلّم بهِ العلماء. وكان اندروز يومئذٍ شابًّا على جانب كبير من الذكاء ولكنهُ على غير جانب كبير من المكانة العلمية تنفع كفاتهِ قوة تسترعي الاسماع! اذاً اين الادلة يجمعها ويذيعها! ومن يبحث عن آثار متحجرة في طبقات قارة مساحة سطحها يبلغ نحو ١٧ مليوناً من الاميال المربعة!

اما كيف بحث اندروز عن الادلة التي تؤيد مذهبهُ وكيف وجدها، وكيف تمكن من تعيين «جنة عدن» في اواسط آسيا فقصة من اعجب القصص في تاريخ الارتياد الحديث

***

ولد اندروز في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٦ في بلدة بولاية وسكنسن الاميركية فهو في الثالثة والاربعين من عمرهِ الآن. وكان والداهُ متوسطي الحال على جانب من العلم والتهذيب لكنَّ وسطهما لم يكن فيهِ ما يدلّ اقلّ دلالة على ان ابنهما سيكون يوماً ما رجلاً تتناقل الاسلاك البرقية اباءهُ في القارات الست. والظاهر ان الفتى اندروز اظهر منذ نعومة اظفارهِ الصفة التي اشتهر بها في كبرهِ وهي العناية بالحيوانات والطيور وجمع نماذج من جلودها ورؤوسها والاعتماد على البحث عنها في الحقول بدلاً من الاكتفاء بما كتب عنها في الكتب. فان امهُ تروي عنهُ انهُ كان يذهب مع ترابهِ لاصطياد الطيور ولكنهُ لم يكن يكتفي بان يعود بها الى البيت لتشوى او تطبخ بل كان يعنى اولاً بزيادة المجموعة التي جمعها من جلود الطيور ورؤوسها. وكان ينفق ساعات متتابعة في العناية بهذه المجموعة.

ثم قالت : واني موقنة انهُ لو انفق هذه الساعات في درس الكتب لكان افاد منها شيئاً كثيراً ولكنهُ كان يسرُّ دائماً في التنقيب عن الحقائق بنفسهِ

« التنقيب عن الحقائق » ! ما اصدق نبوءتها . ان لم يكن اندروز قد نبش الحقائق من طي التراب فانهُ لم يفعل شيئاً !

ولما نال شهادتهُ من كلية بلويت كتب كتاباً الى مدير متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك يطلب فيهِ ان ينتظم في سلك رجالهِ لانهُ كان قد سمع ان في المتحف كثيراً من الحيوانات التي تجب ان تحنَّط . ولكن لم يخطر على بالهِ حينئذٍ أن الجامعات الاميركية في الولايات الشرقية كهارفرد ويايل وبرنستن وغيرها كانت تخرج كل سنة الوفاً من الشبان الذين توفروا على هذا العمل مع ان المتحف لم يكن يتسع لاكثر من ستة او سبعة منهم كل سنة

على ان المدير وجد في كتاب اندروز ما حملهُ على الاهتمام بهِ فنادى سكرتيره وقال لهُ اكتب الى أندروز هذا ان يأتي نيويورك على حسابهِ. فجاءها على جناح الطير ولما سألهُ مدير المتحف قائلاً «هل تريد ان تشتغل في المتحف فعلا »؟ اجاب الفتى « نعم . جربوني»

وقد جاء في مجلة التاريخ الطبيعي ان عملهُ في المتحف ظلَّ مدة يدور على غسل ارض الغرف وتنظيفها ولكن ذلك لم يثبط عزمهُ « لانهُ كان يشتغل في مكان ينظر الى رجالهِ نظرهُ الى الانبياء »

وفي احد الايام ورد نبأ على المتحف بان الامواج قذفت حوتاً ضخماً على شواطئ لونغ ايلند بنيويورك . وان جسمهُ غارز في الرمل . وكان الجوُّ بارداً والثلج يسقط سقوطاً متواصلاً والبحر على شواطئ لونغ ايلند ثائراً ورائحة الحوت منتنة . فالتفت المدير الى اندروز وقال لهُ دونك وهذا الحوت اعدَّهُ ليرسل الى المتحف . فغاب الشاب اسبوعاً لم يظهر لهُ في اثنائهِ عين ولا اثر . وفي آخر الاسبوع كان المدير يكلم سكرتيرهُ فقال لقد طال غياب اندروز . ولعلهُ وجد العمل صعباً فعاد الى امهِ . وقرع جرس التلفون حينئذٍ وجاء على اسلاكهِ صوت الفتى تهزهُ غبطة الانتصار . فانهُ ظلَّ يعالج العمل الصعب الذي عهد اليهِ فيهِ رغم خمس عواصف متعاقبة من الثلج في سبعة ايام حتى فازبانجازهِ . ولما عاد قابلهُ المدير وقال الم يهزأ البردكيف استطت العمل في هذه العواصف الثلجية. فابتسم الفتى ابتسامة الظفر وقال: رد مدينتكم لا يكاد يكون شيئاً ازاء البرد في بلادنا

كان نجاحهُ في اعداد الحوت وشحنهِ مقدمة لانتصارات باهرة في ميدان البحث العلمي . اذ ما لبث مدير المتحف ان عهد اليهِ سنة ١٩٠٨ في انهُ يسافر الى شواطئ

الاسكا لدرس الحيتان التي تكثر هناك ثم ندبهُ ليرافق بعثة علمية الى جزائر الهند الشرقية وبورنيو وارخبيل السليبز وفي السنة التالية دعي الى قضاء سنة في الاصقاع المتجمدة الجنوبية للبحث في حيتانها وسنة ١٩١٢ ندبهُ المتحف للذهاب الى شواطىء كوريا واليابان لدرس الحيتان هناك ثم رافق بعثة بوردن الى الاسكا سنة ١٩١٣ لغرض نفسهِ . فوضع بعد ذلك كتابهُ في « الحيتان » الذي يحسب المرجع الاكبر في هذا الموضوع

***

كان رحلتهُ الى كوريا لدرس الحيتان في بحارها مقدمة للعمل العلمي العظيم الذي وقف حياتهُ عليهِ وهو البحث في صحاري آسيا عن آثار الحيوانات الاولى والانسان الاول . ذلك انهُ لما كان في كوريا سمع من شيوخها خرافات عن صحراء منغوليا استهوت فؤادهُ وحملتهُ على اعداد العدات للرحلة اليها . فرحل اولاً سنة ١٩١٦ الى تيبت وغرب الصين ثم عاد ثانية سنة ١٩١٩ فقضى سنة يرتاد البلاد التي على حدود منغوليا ليضع خطة يجري عليها . وعاد الى اميركا ليعد عدات الرحلة فوقفت في سبيلهِ عقبات كأداء اهمها جمع المال فذللها بصبرهِ ونشاطهِ وعاد الى صحراء غوبي وهي القمة المتوسطة في صحاري منغوليا اربعاً سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٣ و ١٩٢٦ و ١٩٢٨ يرتادها بالسيارات بدلاً من الجمال فكشف عن آثار متحجرة تعدُّ في الطبقة اولى بين مكتشفات العصر لانها مكنت العلماء من تنقيح آرائهم في احياء العصور البائدة وصفاتها . وبلغ ما عرضهُ احد الاغنياء ثمناً ليضة متحجرة واحدة من بيوض الديناصوروس التي عثر عليها عشرين الفاً من الجنيهات

ولا يخفى عليك ان البحث عن المتحجرات كالبحث عن الذهب لا يعرف الباحث متى يصيب غنيمتهُ ويعثر على ضالتهِ . بل لقد ينقضي زمن طويل يعاني فيهِ اشد المصاعب ويتكبد اكبر المشاق ولا يعثر على ما يوازي تعبهُ او جزءاً منهُ . وقد يصيب من النجاح بضربة معول واحدة ما يكشف للعالم العلمي اموراً تدهشهُ وتحيرهُ

وقد كان نصيب اندروز وصحبهِ في رحلاتهِ الاربع مزيجاً من الفشل والنجاح . فان عثورهُ على بيوض الديناصوروس هبط عليهم منحة من السماء . فانهم كانوا يستريحون في بلدة صغيرة فذهب احدهم يجول في جوارها ليرى اثار التنابر الترابية فدهش حين رأى نفسهُ واقفاً على طرف مرتفع من الارض ينحدر فجأة الى منخفض متسع قدفعهُ حب الاستطلاع الى البحث هناك فعثر في الحال على جمجمة صغيرة بيضاء ملقاة على صخر وملي فظها الدكتور غرانجر جمجمة نوع منقرض من الزحافات . فكان ذلك باعثاً للبعثة

بيوض الديناسورس المتحجرة كما عثر عليها

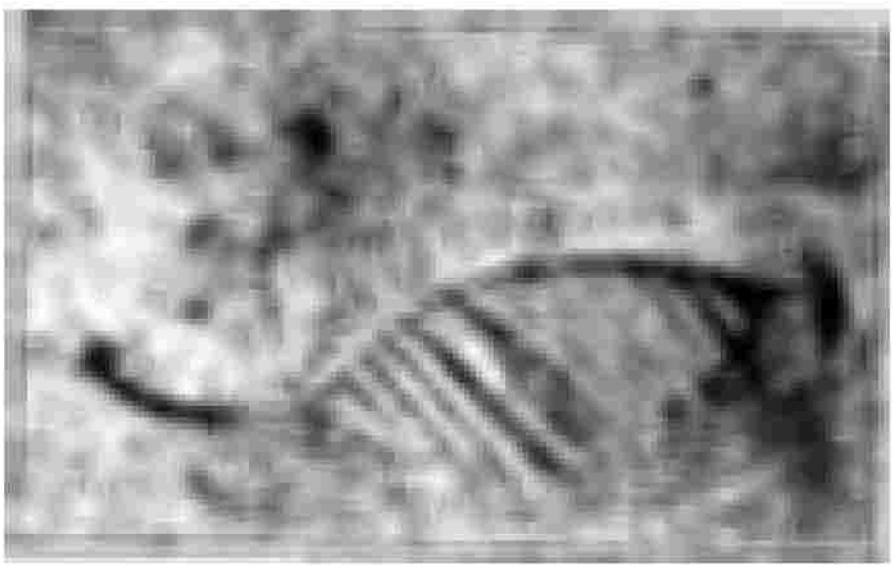

هيكل متحجر لاحد حيوانات المونة متوغلة في القدم

مقتطف يوليو ١٩٢٩

امام الصفحة ١٤١

على ان تحطّ رحالها هناك لقضاء بضعة ايام في التنقيب والاستكشاف فكشفوا عن بيوض الديناصوروس المشهورة . وهو من الزحافات المنقرضة التي كانت تعيش منذ عشرة ملايين من السنين . وكان العلماء يفرضون بقياس التمثيل انها كانت بيوضة. الا ان بعثة اندروز وفقت الى البرهان المادي الاول على صحة هذا الفرض . وهو وجود البيض نفسه

وازاء ذلك قضى اندروز ورجاله ما يزيد عن شهر في رحلتهم الاخيرة سنة (١٩٢٨) يضربون في غربي منغوليا وهي ارض قاحلة من غير ان يعثروا على شيء يذكر واخيراً عزموا ان يرجعوا من حيث جاءوا وذلك بعد ما لبثوا ستة اسابيع في مكان واحد لان اندروز جرح في فخذه من جهة ولان الزوابع الرملية كانت تلو بعضها بعضاً فتمنعهم عن التقدم

***

عاد اندروز وبعثته سنة ١٩٢٣ بخمس وعشرين بيضة من بيوض الديناصوروس بعضها كان على سطح الارض وبعضها كان لا يزال في الصخر الذي تحجر فيه ورؤوسهُ بارزة . وعدا البيوض كشفوا عن آثار متحجرة اخرى رتبت ولظمت فتكونت منها سلسلة تامة لحياة الديناصوروس

قد يسأل البعض الا يجوز ان تكون هذه البيوض بيوض طائر . والجواب على ذلك نفياً لان الطيور لم توجد في عصر يقابلهُ في طبقات الارض الدور الطباشيري الاسفل وهي الطبقة التي وجدت فيها بيوض الديناصوروس . اما الطيور التي كانت تعيش في الدورين الجوري والطباشيري الاعلى فكانت صغيرة لا تستطيع ان تبيض بيضاً كبيراً كالبيض الذي وجدوهُ (طول البيضة ثماني بوصات ومحيطها سبع) وزد على ذلك ان شكل البيض المتحجر الذي وجد مستطيل وهو من ميزات بيض الزحافات . ومن الادلة على ان هذه البيوض بيوض ديناصوروس ان الناحية التي وجدت فيها حافلة بعظام الديناصوروس المتحجرة ولم يعثر فيها على آثار حيوان آخر

اشرنا قبلا الى الجمجمة الصغيرة التي عثر عليها اتفاقاً احد مساعدي الدكتور اندروز وحسبها الدكتور غرانجر جمجمة زحافة منقرضة . فلما نقلت هذه الجمجمة الى نيويورك رآها الدكتور متيوز امين المتحجرات في متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك واثبت انها من آثار الحيوانات اللبونة لا من آثار الزحافات بل ذهب الى انها قد تكون من آثار اقدم الحيوانات اللبونة فكتب الى اندروز ومساعديه لبذل الجهد في الكشف

عن كل ما يستطاع كشفهُ من هذا القبيل وذلك لان المعروف لدى علماء الفسيولوجيا والحيولوجيا ان الحيوانات اللبونة التي دمها حارٌّ وترضع اطفالها نشأت من الزحافات البيوضة باردة الدم . وكان العلماء حتى سنة ١٩٢٣ لم يعثروا الاَّ على جمجمة واحدة من جماجم الحيوانات اللبونة الاولى عُثِرَ عليها في جنوب افريقية في طبقة من طبقات الترياسيك التي يرجع تاريخها الى ١٦ مليون سنة وتحسب من الكنوز الاثرية التي لا تقوَّم بمال

فعنيت بعثة اندروز التي ذهبت الى صحراء غوبي سنة ١٩٢٥ بالتنقيب عن آثار الحيوانات اللبونة وكان الحظ يسير في ركابها فما حطت رحالها في المكان الذي وجدت فيه الجمجمة الاولى حتى عثرت على جمجمة متحجرة لحيوان لبون متوغل في القدم . ثم جمعت ست جماجم اخرى من هذا القبيل كلها صغيرة لا يزيد طول الجمجمة منها على بوصة ونصف بوصة . قال الدكتور اندروز . . . «وقد كنت احرص على هذه الجماجم كما احرص على واردي» ويستدلُّ منها على ان اصحابها لم يكونوا اكبر من الجرذان حجماً وعهدها يرجع الى عشرة ملايين سنة ويجب ان ينظر اليها كاول محاولة حاولتها الطبيعة في توليد حيوانات لبونة فلما انقرضت الزحافات البرية والبحرية الضخمة كانت الحيوانات اللبونة قد اخذت تتنوع وترتقي « وما زالت كذلك حتى تسلطت على البر والبحر »

ولم يكن نصيب الرحلة الاخيرة من التوفيق قصيب سابقاتها بسبب الجرح الذي اصاب الدكتور اندروز فاخرهم ستة اسابيع عن التقدم وبعدما ساروا شهراً في صحراء قاحلة لم يعثروا فيها على شيء عادوا ادراجهم وفي اثناء عودتهم عثروا على كنز من الآثار المتحجرة لعلهُ اغنى الكنوز الاثرية في صحراء منغوليا على الاطلاق وعلى آثار بشرية من العصر الحجري المتوسط والجديد . وفي مكان آخر عثروا على آثار تكاد تكون كاملة لبعض الحيوانات اللبونة اهمها حيوان من جبارة العصور الماضية . ولم يستطيعوا استخراج كل الآثار التي وجدوها هناك لقصر الوقت وقلة الزاد ولذلك ينتظر ان يعودوا اليها قريباً

***

لما بلغ الدكتور اندروز مدينة بكين في بدء رحلته الاولى الى صحراء غوبي كانت العواصف ثائرة فقال لهُ حكماء الصين « هذه علامة تنذر بالويل لانها تشير الى الجوع والحرب والمرض والموت . فسلك مقتضيٌّ عليه بالفشل وانك لن تجد ما بحث عنهُ » الاَّ ان عزمهُ وصبرهُ وحنكتهُ وتفانيهُ في خدمة العلم صفات مكنتهُ من الفوز في تحقيق ما يصبو اليه واذاعت اسمهُ في الخافقين رجلاً من اكبر رجال العلم والعمل فمنحتهُ الجمعية الجغرافية الاميركية اعلى وسام في حوزتها جزاء لهُ على ما آتيه

البوهيمية

من تصوير فرانز هالز المصوّر الهولندي (١٥٨٠م — ١٦٦٦م)

مقتطف يوليو ١٩٢٩

امام الصفحة ١٤٣

شعر التصوير

البوهيمية

La Bohémienne

تصوير فرانز هالز الهولندي (١٥٨٠م — ١٦٦٦م) وهو معروضة في متحف اللوفر

لم تُعْنِنِي مِنْ هذه الدنيا بما ... شَغَلَتْ مَنَاتُهَا وهام النَّاسُ

فَعَلى مُحَيَّاكِ البساطةُ كلُّها ... ومن البساطةِ قد يكونُ اليأسُ

وحُرِمْتِ زُخْرُفَ عيشةٍ ما شِئْتِهَا ... يَوْماً، فعزَّ شُعُورُكِ الحَسَّاسُ

فَكَسَتْكِ أحلامُ القناعةِ ثَوْبَهَا ... إنْ لم يَصُنْكِ من الحياةِ لِبَاسُ

وأَلِفْتِ حُرَّ العَيْشِ غيرَ طريدةٍ ... حتى تَحَرَّرَ جِسْمُكِ المِبْاسُ

وتَحَرَّرَتْ قَسَمَاتُ وجْهِكِ عندما ... شَغَلَ الأنامَ بِعُرْفِهِمْ مِقْيَاسُ

الحُسْنُ عِنْدَكِ في انطلاقِكِ وَحْدَهُ ... وسِوَاهُ ليس لهُ لديكِ قِيَاسُ

لم تُعْجِبِي نَهْدَيْكِ خَشْيَةَ ناظرٍ ... حين اعتدادُكِ كلُّهُ أحراسُ

أو تَحْذَرِي مِنْ بِسْمَةٍ ممزوجةٍ ... بالسُّخْرِ وهي بِسُخْرِهَا إِيْنَاسُ

أو تَحْفِلِي برشاقةٍ وتَمَايُلٍ ... حين التَّحَايُلُ صِنْوُهُ الإفلاسُ

إنَّ الأُنوثةَ مِلْءُ زهدكِ هكذا ... والزُّهْدُ في ملكوتِهِ إحساسُ

فعلى جمالكِ مَسْحَةٌ عَلَوِيَّةٌ ... هي للضَّمِيرِ وإنْ أَبَتْهَا الكأسُ

وإذا نَظَرْتِ الى الغِوَايةِ نَظْرَةً ... عَرَفَ الغِوَايةَ مِنْ خِلَالِكِ الناسُ

ابو شادي

بحث في الصحة والزواج

ربط الزوجية واسباب الهناء والشقاء

ليس من العدل ان تمنع شخصين متحابين من الزواج بحجة ضعفهما وعدم اكتمال قواهما . فقد ثبت ان الكثيرين ممن لم يسبغ الله عليهم ثوب الصحة تزوجوا فكانوا من اسعد الناس واهنأهم . بيد ان الاطباء قد اجمعوا على وجوب منع المصابين بالامراض الزهرية المزمنة من الزواج . ويجب ان ينص القانون بالصراحة على عزل المصاب بها كما يعزل المصاب بالجدري او غيره من العلل المعدية

الصراحة شرط لازم

ان تلك الزهري والسيلان المزمن بالمتزوجين لما يقصر دونهُ الوصف . فهما اعظم اللعنات التي تنتاب الازواج وتذهب بهنائهم . وكثيراً ما تضيع بهجة الحياة وتزول مسرات الزواج — ليس لما قد ينشآنهِ من الاثر في صحة الزوجين ونسلهما بل ولما قد يحدثانهِ من الاثر السيء في القوى العقلية ايضاً ولما قد يورثانه من الندم والحسرات

فسلامة الزوجين من هذين المرضين شرط لازم . وعلى الذين يقدمون على الزواج ان يلزموا جانب الصراحة ويعترفوا بحقيقة حالتهم الصحية على وجه الاجمال وسلامتهم من كل محظور ومحذور . ومن المستحسن تأييد هذا الاعتراف بشهادة حكيم الاسرة او من يقوم مقامهُ . وفي الواقع ان قانون بعض الولايات الاميركية ينصُّ على وجوب فحص طالبي الزواج لاثبات لياقتهم للزواج . ومثل هذا القانون يجب نشره في جميع البلاد المتمدنة بحيث لا يباح لمن كان مصاباً بعاهة جسمية طارئة او وراثية او بداء السل او ضعف القلب او ما اشبه ان يتزوج من دون ان ينذر زوجهُ . والا عدَّ خادعاً وكان زواجهُ عرضة للالغاء . فاذا اعترف كل من طالبي الزواج للآخر بحقيقة حاله ولم يكتم عنهُ شيئاً ثم اتضح انهما مع ذلك لا يحجمان عن الزواج فذلك شأنهما وليس لاحد ان يتعرض لهم برأي او انتقاد لانهما يحملان تبعة عملهما ولو كان بعض اليوجنيين يذهبون الى ان هذا من شأن الامة ويجب ان تمنعهُ لتمنع تكاثر المرضى والمصابين بالعاهات

ومن دواعي الغبطة ان الامراض التي ثبت انها وراثية ليست كثيرة . ومن فساد الرأي ان يحجم المرء عن الزواج خيفة ان يورث نسله الديابيطس او حسر النظر أو

ضعف الاعصاب او ما الى ذلك . فان هذه الامراض ليست وراثية . ولكنَّ عدد الامراض الجسمية والعقلية كثير جداً ومن المستحسن ان يستشير المقبل على الزواج طبيباً في امرها وان يبحث عن مصدرها وهل هي موروثة او طارئة وقد يكون من الحكمة في بعض الحالات تعمُّد احداث العقم والامتناع عن النسل بحيث يكتفي اذ ذاك كل من الزوجين بان يعيش مع زوجه محروماً لذة النسل ومعتاضاً عنها ببهجة العيشة المنزلية الراضية

اساليب العيشة الصحية

تقوم الحياة السعيدة في الزواج على اعتبارات عدة اولها واهمها ان يجري الزوجان في معيشتهما على نظام منطبق على شروط الصحة والحكمة . ولا يخفى اننا نعلم اليوم عن حقيقة الامراض وكيفية الوقاية منها اكثر مما كان اسلافنا يعلمون . واننا نحسب مقصرين اذا نحن لم نلزم جادة الحكمة في امورنا . ومن الواجب علينا ان نطبق العلم على العمل في كل ما لهُ علاقة بالغذاء والماء والنظافة والثياب والرياضة والهواء الطلق وغيرها

ومما يدعو الى الارتياح اننا قد وقفنا على اسرار كثيرة خاصة بالامراض العقلية وعلاتها بناموس الوراثة وتربية النسل ولاسيما ما يصيب الجسم من الضعف بسبب الخوف والتوهم واضطراب الفكر . كما ان العلم قد اماط اللثام ايضاً عن علاقة الغذاء بالقوى العقلية وحدد المبادئ التي يجدر السير بحسبها والاستعانة بها على اجتناب المحن التي قد تصيب الزوجين او يصاب بها نسلهما . وليس يكفي ان يعيش المرء عيشة صحية فقط بل يجب ان يعنى ايضاً باساليب الوقاية من المرض ومن جملتها «التطعيم» بما يقي من الجدري والدفتيريا واستشارة الحكيم وطبيب الاسنان عند كل عارض . ومن الناس من يعتقد ان الافراط في الاهتمام بالشؤون الصحية مجلبة للمرض وهو خطأ لا يبررهُ الواقع

وهنالك امر آخر ذو شأن نجب مراعاته عند المرض وهو الحالة العقلية او النفسية في الشخص العليل . فكثرة التفكير في المرض قد تورث اعراضاً لا تختلف كثيراً عن المرض نفسه الاَّ في كون مصدرها العقل . ومن الاوجاع الطفيفة ما يصبح خطيراً اذا كثر الاهتمام بهِ . والغريب ان بعض الناس يفرطون في التفكير في اوجاعهم حتى ليخيل اليك انهم يشعرون بلذة في ذلك التفكير . وامثال هؤلاء يكبرون توافه الامور فيحسبون الخدش جرحاً والبثر الصغير خراجاً والرطاف زُحَيراً والثآمة سرطاناً والالم الطفيف كارثة وهم يشعرون بلذة باطنة كلما كثر اهتمام الناس بهم والتفاتهم اليهم فكأنهم يتمنون بآلامهم ويجدون فيها سبباً من اسباب النبطة

ان الصحة ليست غاية الحياة بل هي واسطة لبلوغ الغاية . والمرء لا يشعر عادة بقيام

اعضاء جسمه بوظائفها المختلفة . فالقلب ينبض والمعدة تنقبض والرئتان تتمددان والاعصاب تنقل الحواس والجهاز الهضمي يقوم بعمله — كل ذلك والمرء غير منتبه الى ما يجري في باطنه غير شاعر بما تحتاج اليه الاعضاء من تصليح وترميم

والرجل الذي يستلذ التفكير فيما يتوهمهُ من اوجاع يجد نفسه فريسة للافكار والخيالات المرعبة . فاذا طال به الزمن اصبح ما يتوهمهُ من الامراض امراً اعتيادياً ونقص اهتمام الناس به . وفي هذه الحالة تشتدُّ به السوداء ويخيل اليه ان الناس لا يكترثون لامره ولا يهتمون بما به . وفي ذلك ما يستفزُّ حقده على الاجتماع وما يزيد في اوجاعه الموهومة . ومثله في ذلك مثل مدمن المخدرات لا بدَّ له من تقوية الجرعة التي يتناولها باستمرار حتى تفعل الفعل المرغوب . لانهُ اذا لزم مقداراً معيناً منها فلا يلبث حتى لا يشعر بفعلها

عناية الطبيب قد تزيل الهموم

على انهُ اذا كانت الحكمة تقضي بعدم المبالاة في التفكير في الامراض فانها تقضي ايضاً من الجهة الاخرى بعدم تجاهل الاعراض الحقيقية . وان صحة كل من الزوجين لذات شأن عظيم في نظر الآخر . ومن العدل ان يعترف كل منهما بما قد يهدد صحة الاسرة كلها لكي يتاح تلافي الضرر قبل وقوعه . ان طائفة كبيرة من مساوئ الزواج واسباب الشقاء ترجع الى علة أو عاهة في الجسم . فشدة الانفعال وسرعة الغضب وقلة الصبر ونقص الرزانة هي اعراض قد لا تدل على فشل الزواج او انقطاع حبل المودة بين الزوجين بل على ان احدهما يعاني مرضاً حقيقياً كالتهاب الزائدة او تقرح المعدة او عن خلل طارىء على احدى الغدد او . . او . . ففي هذه الحالة لا تعيد السعادة الى نصابها الا يدُ الجراح

المرض امتحان خطير

والمرض امتحان عظيم يكشف مواطن الضعف او القوة في العقد الزوجي . فاذا كان الحب الذي يربط الزوجين حقيقياً فالمرض يقويه ويزيل جميع عوامل الخلاف والشحناء واذا لم يكن كذلك — أي كان مؤسساً على الشهوة وحب الذات — فان المرض يبرزهُ بحالته الحقيقية . ومن الازواج من قد لا يكون الحب عندهم كثير الظهور وفي هذه الحالة يكون مرض احد الزوجين بركة لانهُ يبين على اظهار ذلك الحب الكامن . وليس غريباً ان يكون الحب كامناً وان لا يقوى صاحبهُ على التعبير عنهُ فكأنهُ يقيم حول عواطفه اسواراً تحول دون الوصول اليها . وهذه الحال توهم المراقب عن كثب ان الحب ميت بين الزوجين فينشأ عن ذلك شيء من النفور الذي يسميه الافرنج « سوء تفاهم » . فاذا اصيب احد الزوجين بمرض وقام الآخر بالعناية

به واظهار الحنان عليه ازاء ذلك ما بين الزوجين من نفور وتوتر

وليس ذلك فقط بل ان الاشخاص المتازين بالافراط في اظهار العواطف والذين يغالون في الاعراب عما تكنهُ قلوبهم من الحب قد يوثق المرض اواصر حبهم ويزيد كلاً منهما تعلقاً بالآخر . ولقد يتفق ان تتوالى الامراض والمحن على اسرة من دون ان يكون ثمت سبب ظاهر . فينشأ عن ذلك شيء من الضيق قد يزيد في سوء حالة الاسرة ومصائبها . فمثل هذه الحالة قد تزيد في ارتباط الزوجين واشتداد اواصر الحب بينهما اذ عند الشدائد تعرف الاخوان . واذا مرض الاولاد واحتاجوا الى العناية في الليل والنهار واشتد الخطر ولاح ان حبل الرجاء ضعيف فحينئذٍ يبرز الحب من مكمنه وتظهر العواطف على أجلها . ثم ان الجهود التي تبذل في سبيل تربية الولد الوارث علة او عاهة من احد والديه تقوّي ربط المحبة بين الوالدين . فكأنَّ ذلك الولد هو صلة الموصول بينهما وهما يشعران بما عليهما من تبعة تربيته

والاهتمام بالولد العليل يجب ان لا ينقلب الى ما يشبه الشفقة . وكذلك العطف ايضاً يجب الفصل بينهُ وبين الشفقة . وكثيراً ما تكون المواساة رباطاً قويًّا بين الزوجين واما الشفقة فانها تفصل احدهما عن الآخر لانها تشعر بوجود تفاوت بين المشفق والمشفَق عليه . وليس أشقّ عليك من ان تكسب ودَّ من اشفقت عليه

على ان المرض لا يقوّي بالضرورة الرابطة الزوجية بل قد يضعفها احياناً ولاسيما اذا كان ذلك المرض مزمناً يقضي بعزل المصاب وخدمته خدمة خاصة . وقد تكون هذه الخدمة عبئاً ماليًّا ثقيلاً على الاسرة يستنزف كل قواها . فضلاً عن ان مرض احد الزوجين مرضاً مزمناً قد يحول دون اشتراكهما في الاعمال والزيارات والحفلات التي تقتضيها الحياة الزوجية وهذه الحيلولة توسع شقة الفصل بين الزوجين فيستسلم المريض منهما الى مرضه ويتمسك الصحيح منهما بمناهج الحياة عن غير طريقة الزوجية . وقد يقودهُ هذا الى ادمان المسكر والتماس اللذة الكاذبة عن طريق المخدرات وما قد يلي ذلك من العواقب

المشاكل الخاصة بالزوجة

ومن الاخطار التي تهدد سعادة الزوجين ما يرجع الى الخلاف الطبيعي بين الجنسين . فالرجل الذي قد كفتهُ الطبيعة عناء الحيض الشهري يجب ان لا ينسى تأثير ذلك الحيض في المرأة وما يكبدها من الجهد الجسدي والعقلي . فلقد ينشأ فيها شيئاً من الخمول او سرعة التأثر . وللحمل ايضاً — او للخوف من الحمل اثر عظيم في المرأة . ومن النساء من يكرهن الحمل وينظرن اليهِ نظرة الهلع كما فكرن فيما يسمعنهُ عنهُ من غيرهن . وفي وضع

الرجل الحكيم ان يزيل ذلك الخوف من نفس زوجته بان يفهمها أن الطبيعة التي نظمت الحمل لا يمكن ان تكون قد قصدت منهُ ايذاء المرأة . وان ما قد ينشأ عن الولادة من الحوادث التي تدعو الى الاسف انما هي بسبب خطإٍ في امكان كل حكيم عاقل ان يتلافاهُ

ومن دواعي الغبطة ان الحمل هو سبب سرور عظيم لطائفة كبيرة من النساء اللواتي يرين في هذا النظام الطبيعي دليلاً على ما فيهن من قوة الخلق . اما غيرهن فيرين في الحمل عناء تسعة اشهر ويعانين من جرائه اضطرابات جسمية وعقلية ويستدقُّ احساسهن حتى يصبحن شديدات الانفعال لاتفه الاسباب . وفي الواقع ان طباع المرأة تتغير في اثناء الحمل فيكثر اهتمامها بنفسها ويقلُّ اهتمامها بزوجها حتى لقد يخيَّل الى هذا انهُ اصبح نسياً منسياً — على ان التبعة التي تقع على عاتق الرجل في اثناء هذه المدة عظيمة جداً . فاما ان يستعمل الحكمة فتقوى الرابطة الزوجية بينهُ وبين امرأته . أو ان ينكب عن جادتها فيؤدي ذلك الى اضطراب حبل الزوجية

ومن دواعي الاسف ان بعض النساء لا يتاح لهن ان يلدن لسبب من الاسباب مع شدة رغبتهن في النسل . وفي هذه الحالة قد يعمد بعض الاباء الى تبني طفل اجنبي . على ان الطفل المتبنّى لا يمكن باية حالٍ ان يقوم مقام الطفل الحقيقي . والواجب يقضي على كلا الزوجين ان يستقصي اسباب العقم فقد يكون العقم لعلةٍ في الرجل او في المرأة او في كليهما معاً . بل لقد يسبب الرجلُ عقمَ المرأة

للرجل ايضاً ادوار

ان الانقلابات النفسية والجسمية التي تطرأ على المرء في الكهولة وتؤدي الى توسيع الشقة بين الرجل والمرأة ليست مقصورة على احد الجنسين فقط بل هي عامة في كليهما ولعمر الحق ان هذه هي مراحل الحياة الحاسمة . فالمرأة التي تجاوز سن الاربعين وتصبح سريعة الانفعال عليها ان تستشير طبيب الاسرة أو اي طبيب اخصائي اذ ليس من الحكمة ان تستسلم الى المؤثرات الناشئة عن ادوار الحياة المختلفة . ولقد توصل العلم الى معرفة الكثير من اسرار الغدد ومفرزاتها وما يتوقف عليها من النتائج التي تؤثر في كلا النفس والجسم . وقد يفلح الطبيب في ازالة عوامل الشقاء المخيمة على حياة الاسرة

واما اسوأ حالات النفس ما يعرف بالنوروستانيا او انخفاض القوى والعصابية (اضطراب وظائف الاعصاب) التي تنشأ عن الخوف والقلق . ومثل هذه الحالات تنشأ في الغالب عن المشادة التي تقع بين الزوجين او هي نتيجة الخلاف بين الحياة كما هي والحياة كما يريدها الزوجان — او بين الاماني الخيالية والحقائق . وقد تنشأ ايضاً عن

الحيوية في الزوج او النسل او المال . او عن الجهاد بين الاخلاص والواجب من جهة ودواعي الغرام من جهة اخرى. وهذا الجهاد عقلي يشتدُّ بالنفس الى حدّ يبعث على اليأس

جهاد النفس

والنفس في هذا الجهاد تبحث عن حلّ يسدُّ رغباتها ويحتفظ بكرامتها ويبعد عنها ما يشين . وكثيراً ما يتفق في اثناء ذلك الجهاد ان ينشىء الفكر خللاً بدنيًّا او علة تبرر مسلكاً معيناً . من ذلك ما يعرف عند الافرنجة « بصداع يوم الاثنين » الذي يدعيه التلميذ اذا اراد الانقطاع عن المدرسة يوم الاثنين الذي يلي عطلة الاحد . وكذلك ما يشعر به أحد الزوجين من الجهد والاعياء اذا لم يرد الذهاب مع زوجه لزيارة اسرة معينة

فالشخص الذي يتحمل مثل هذه الاعذار هو عادة سريع التهيج دقيق الاحساس . وكثيراً ما يصاب بعسر الهضم او الارق او الصداع او ما اشبه من العلل . والطبيب الاخصائي في معالجة الامراض العقلية والنفسية يستطيع في مثل هذه الحالات ان يؤدي للمصاب خدمة جليلة

أما المصابون بالعصبانية (ارتباك وظيفة الاعصاب) فكأنهم يغبطون بالمرض لانهُ يوجه اليهم الابصار ويحمل الذين حولهم على توجيه العناية اليهم — سواء أكانوا في حاجة الى تلك العناية ام لم يكونوا . والعصبانية تصيب الزوجة عادة ولكنها قد تصيب الزوج ايضاً . وهي تقتضي المعالجة وليس من الحكمة اهمالها بحجة انها ناشئة عن تهيج الاعصاب فان الشخص المصاب باعراضها لفي اشد الحاجة الى نصح الطبيب الاخصائي

ولا شك ان ادعى العلل الى الاسف هي العلل العقلية . فقد تصوّر الاوهام لاحد الزوجين اشياحاً غير حقيقية وتلقي في وهمه اموراً تقضي على هنائه وسعادة اسرته . وقد ينقلب فجأة من طبع الى طبع كأنْ ينتقل من البخل الى التبذير ومن الرقة الى القساوة ومن الهدوء الى الاضطراب . ومثل هذا الانتقال كثيراً ما يكون نذير جنون مقبل ولذلك يجب توجيه العناية اليه

ومن دواعي الاسف ان القوانين الجارية في اكثر البلدان لا تبيح الطلاق في حالة جنون احد الزوجين . والعقل يقضي بإباحته اذا كان الجنون غير قابل للشفاء بشرط مرور زمن يكفي للحكم بانهُ كذلك . اذ ليس من العدل اذ يظلّ سليم العقل مرتبطاً مدى العمر برفيق حياة مجنون . وقد يكون ضعف الصحة سبب شقاء الاسرة في حالات كثيرة . وفي الواقع ان الصحة هي اساس سعادة الاسرة وهي مرتبطة بمسئلة الزواج ارتباطاً وثيقاً ونجد آثارها جلية في الوفاق بين الزوجين

أوراق الورد

رسالة الجاذبية [1]

آهِ لو أستطيعُ أن أُخرجَها ... من زماني ، إنني لا أستطيعْ
آهِ لو أستطيعُ أن أُدخلَها ... في حياتي ، إنني لا أستطيعْ
قَدَرَتْ قُدرتُها فيَّ فلا ... أستطيع قُدرةً ، لا أستطيعْ

***

كلُّ من يكذبُ في الحب قَدَرْ ... إن أطاق الحبُّ واللهِ غَدَرْ
وصحيحُ الحبِّ حبٌّ هَدَرْ ... كلُّما يستطيعُ أن لا يستطيعْ

***

في عينيكِ يا حبيبتي سحرٌ ظاهرٌ بمعانيهِ يُلقي الحبَّ على من ينظر اليهِ
أهو سرُّ الضرورةِ الذي يُشعرنا من معانيكِ الرحيمةِ بمعانيكِ القاسية ؟
أم هو روحُ اضطرابٍ مجهولٍ أودعتكِ القدرةُ إياه ليخلقَ حولكِ المواصفَ القلبية ؟
أم هو استبدادُ الجمالِ الذي خُصِصْتِ بهِ ليكونَ قلبُكِ وحدَهُ في ثورة القلوب كلها ؟
أم هو ذلك المعنى الخالق الذي يُفيضُ على جمالِكِ تميزَ جلتِكِ في شيء شيء وفي حُسْنٍ حسن ؟
أم أنتِ أنتِ وذلك السرُّ في عينيكِ معنى أنتِ ؟

***

دائماً يضيفُ وجهُكِ الى كلامكِ بلاغةً إلهية ، ولو نطقت بألفاظ القوة التي تُشبه أجراسُها صَلْصَلَةَ السلاح لخرجتْ من شفتيكِ متهدة ، ولو تكلمتِ بأشد ألفاظ القسوة لذابت في حلاوة شفتيكِ ، ومتى نطقتِ باسمي خرج من فمكِ سكران . . .
أيُّ سرٍّ هذا الذي يجعلكِ على كل أحوالكِ تَفيضين بالقوة كأنما بُنيتِ على شكل

(١) هذه الرسالة مما كتبه الينا وقد رددت في عليها بكتاب فاية في الجمال سجاه قراء المقتطف في كتاب (أوراق الورد) الذي تقدمه للطبع ان شاء الله في اواخر هذا الصيف

لا يزال يجسمها في نفسه ويبثها من نفسه ؟ إنهُ طابَعُ الجاذبية على القوة

وايُّ ابداع هذا الذي يُظهرك في محاسنك مَظهَرَ كونٍ خُلق كلُّه من الزهر، وهو جميلٌ في مجموعهِ باجزائهِ وفي اجزائهِ بمجموعهِ ؟ إنهُ طابَعُ الالوهية على المعجزة

***

حولكِ ما تحسُّهُ ولا تعرفُ منهُ الاَّ انهُ حولكِ وحسْبُ . والجوُّ الذي انتِ فيهِ ينعكس عن جمالكِ في صورة سحرية فلو أني طُفتُ العالمَ كلهُ لرأيتهُ حولي أينما كنتُ وأبصرتُ وجهكِ دائماً أمام عينيَّ كأني محدودٌ بكِ في حدود مسحورة تَدعُكِ حيث أنتِ وتمضي معي حيث اكون

وما الوجودُ الاَّ السِّبابُ قوى المادة بعضها في بعض . وفي هواكِ تنسابُ القوى من روحكِ في روحي ، فالاصلُ الذي بُني عليهِ الكونُ في مناهضهِ بُنيتِ أنتِ عليهِ في محاسنكِ . كأنما يعرض قوانينهُ التي تحسُّ ولا تُرى في صورة منكِ تحسُّ وتُرى ، وتزيد على الرؤية أنها آخر حدود العشق ، وعلى العشق أنها اول حدود العبادة

أما والله لو ناديتكِ بغير اسمكِ يا حبيبتي لما وضعتُ لكِ الاَّ اسماً من معانيكِ ، ولو سميتكِ بهذه المعاني لما ناديتكِ الاَّ بهذا الاسم العظيم : يا نسويَّةَ العالم . . . .

***

نارية في غير نار . آه من يفهم هذا ؟ ولكني أحسهُ منكِ . حتى لا ارى جسمكِ الاَّ مضيئاً بالشباب والجمال . وتالله اني لاحسكِ في بعض سَبَحَاتي ناراً مُدثرة تُقذفين على قلبي متفجرة فيهِ . ويشتدُّ بي الوجدُ وأضيقُ فما اظن الحبَّ الاَّ عداوة ساخرة تهزأ بالناس فتجيئهم متلطفة في غير اسلوبها وعلى غير طريقتها ومن غير اهلها ، من الحبيب . من الحبيب على انها عداوة . . . .

أتلك تلك يا قلبي نارٌ وتدميرٌ وعداوة ؟ أم انت ترتجف من جاذبيتها على زلزلة لا تهدأ ولا تقرُّ ولابدَّ لها ان تتم عملها بطريقتها الضيقة ؟ إن فيها حركة الجذب وإن فيَّ حركة المقاومة فأنا المتألمُ بطبيعتي لأن انجذابي اليها إن هو الاَّ اصطدامُ معانيَّ بمعانيها والدفاع ما يتحطم الى ما يحطمهُ . ولكن يا لها من عجيبة ! ان هذه هي بعينها هي لذة الحب اذ كان تحطيمهُ فيها هو تبديدهُ فينا . وبذلك يجدّد الحياة أيامها واشياءها ومعانيها ويضع في كل امر غراماً ويجعلُ لكل شيء عيناً كحيلة . . . . . .

وراءك يا حبيبتي فكرة مختفية كأنك انت عَسلُها على حين تظهر كأنما هي من عملك . أيكما يا ترى الخطر المستور بجماله ؟

مع جاذبية الالوان والعطور في ثيابك وحيلاك جاذبية اعطرُ وأزهى في مَنبَس معانيك من المواطف وفي ملبس روحك من الدلال . ولا يَمْدِلك في هذه الفتنة الكاسية الا السماء في فتنها لرجال الارض حين تلبس حرائقها من شَفَق الصبح

يا للجلال ! إذ تفسرُ الطبيعة نفسها الناهضة بامرأة جميلة لتحقق بها في النفس العاشقة وهمَ الكمال الانساني المستحيل الذي يخيّل لها اندماجَ الكون بجلاله العظيم في ذاتية انسانية ، ذاتية المحبوب المخلوقة على مساواة وتقدير من محبها لتجذبهُ وتفتنه فتخرج به من حكم عقله فتنفذ اقدارها في اقداره فتعقد على اطراف حياته بعقدة عاطفة واحدة تستطيع بها المرأة ان تهزمهُ من كل نواحيه بأيسر لمسة

***

انما الكون كهربائية ولا بدَّ في الكهربائية من سلب وإيجاب ، فمن يدري لعل كلَّ متحابين هما مظهرٌ كهربائي لا يحوطهما الا جوُّ النفس المحترقة تشتعلُ بالضحكات كما تلتهبُ بالدموع ، لان هذه وهذه مادةُ حب ساطعة في مظهرين . كاللهب تكون فيهِ مرة شدةُ الانبعاث فكأنما يضحك ، ومرة فترةُ الانطفاء فكأنما يبكي . ويقع الايجاب في السلب فيحدث الحب ، ويحدث فتكون الجاذبية ، وتكون فاذا انسانُ عينيهِ قد احتلَّ انساناً في مادته فتتفاعل اجزاؤها فان يكون الحبُّ والبغضُ منها الا فوق الاعتدال في واحد تتهارب اجزاؤه من اجزاء وفي الآخر يبغي بعضها في بعض

انما هي قوة تلبّست الصورة تعمل بها عملاً في نفسها وتدلُّ بها دلالةً في غيرها . ففي المخلص الشديد معناهُ فيكِ انتِ الحسنُ الخالص الناقي وتفكيري في محاسنكِ معناهُ فيَّ أنا خلق لغة الاشياء الجميلة ليتصلَ عقلي بحقيقتها

وإحساسي بكِ وحدكِ معناهُ في الوجود إحساسي بجماله كلهِ

والآن وانا اكتب اليكِ تمثلين لي فأرى تقاسيم الحسن فيكِ فأقول : وما هذه التقاسيم البديعة ؟

ألا رفقاً بالقلب الذي اجابني إنها تركيب المغناطيس الغرامي وتوزيعهُ في اماكنه على هندسة الجاذبية . رفقاً بالقلب الذي تلسينهُ من جاذبيتك بالنظرة والكلمة والفكرة كأنهُ حولك لانك حوله . . . بالوحي ، والخيال ، والحسن

من اجل الابداع ، والسموّ ، والحب انت في نفسك ، انت في معانيك ، وأنتِ فيَّ

(طبق الاصل) مصطفى صادق الرافعي

اغرب الحقائق الطبيعية

الطبيعيات الجديدة تقلب الآراء القديمة

إذا اغليت لتراً من الماء زاد وزنهُ قليلاً عما يكون عليه حين تكون حرارتهُ على درجة الجليد وهذه الزيادة تبلغ خمسة اجزاء من مليون مليون جزء من اللتر. واذا جمد لترٌ من الماء قلَّ وزنهُ ثلاثة اجزاء من مليون مليون جزء مع ان حجمهُ يزداد. واذا اتحد مقداران من غازي الاكسجين والهدروجين لتوليد مقدار معين من الماء كان وزن الغازين اللذين اتحدا كذلك اكثر من وزن الماء الذي يتولد منهما والفرق يبلغ جزءاً من ستة آلاف مليون جزء. والسبب في ذلك انهُ اذا برد الماء فقد شيئاً من حرارته واذا اتحد الاكسجين بالهدروجين انطلقت حرارة عظيمة حين اتحادهما. ففي كلا الحالين ينطلق شيء من القوة من الجسم وللقوة جرم يفقدهُ الجسم بالطلاقها فيخفُّ وزنهُ

***

نحن نعلم الآن ان ٧٧٨ قدم — ليبرة من العمل (اي العمل اللازم لنقل ٧٧٨ ليبرة قدماً واحدة او لنقل ليبرة واحدة ٧٧٨ قدماً) تتحول مقداراً معيناً من الحرارة. ولكن العلماء منذ سبعين سنة وجدوا صعوبة في قبول هذا الرأي القائل بتحوّل العمل الى حرارة. كذلك يجد علماء اليوم صعوبة في قبول الرأي القائل بتحول الجُرم الى قوة

***

تدلُّ الحسابات الرياضية الدقيقة ان الشمس تفقد من مادتها بالاشعاع اربعة ملايين طن كلَّ ثانية. وقياس ما تفقدهُ قياساً عمليًّا صعب جدًّا لصعوبة لاننا لا نستطيع ان نقيس النقص في جرم الشمس الاَّ بقياس النقص في قوة جذبها للارض وغيرها من السيارات. وقياس قوة الجذب يدلُّ على ان جرم الشمس اكبر من ان تدركهُ عقولنا فاذا اعتبرت تفقد من وزنها اربعة ملايين طنٍّ كل ثانية مدة عشرة ملايين من السنين نقص جرمها بعد ذلك — وضعف جذبها — جزءاً من مليون جزء فقط

***

يلخص اينشتين الموضوع بقوله : اما ان نعترف بامكان تحول المادة الى قوة واما ان نتخلى عن نظام الميكانيكيات الذي وضعهُ كبلر ونيوتن وكلارك مكسول وغيرهم

ورجال العلم لا يحجمون عن التخلي عن مذهب علمي اذا توافرت لديهم الاسباب التي تحملهم على ذلك . ولكنهم يرون ان نظام الميكانيكيات القديم مؤيَّد بالادلة العلمية والعملية . ولذلك تراهم مرغمين على قبول القول بتحول المادة الى قوة . وهذا الرأي من آراء اينشتين مستقلٌ عن النسبية . واذا كانت النسبية تؤيدهُ فذلك مما يدعمها

***

لقد مرَّ بنا انهُ اذا انطلقت القوة من جسم خفَّ وزنهُ . فاذا صحَّ ذلك فيجب ان يزيد وزنهُ متى اتتهُ قوة من الخارج . اي اذا كان الماء البارد اقل وزناً من الماء الساخن فالماء الساخن اقل وزناً من الماء البارد. فاذا وضعت ابريق ماء على الموقد واشعلت النار تحتهُ فانت بفعلك تضيف القوة — الحرارة — الى الماء وبالتالي انك تزيد وزنهُ . واذا امررت تياراً كهربائيًّا في مقدار معيَّن من الماء وحللتهُ الى عنصريهِ الاكسجين والهدروجين فمرار التيار — أي اضافة القوة الى الماء — زادت وزنهُ لان وزن الغازين اللذين يتألف منهما مقدار من الماء اكبر من وزن الماء نفسهِ

***

كنا نقول قبلاً انهُ اذا رفعنا جسماً من الاجسام مسافة متر زادت قوتهُ الكامنة بسبب العمل الذي انفق في رفعهِ. اما علماء اليوم فيقولون ان الجسم المرفوع اكبر جرماً من الجسم نفسهِ وهو على سطح الارض اي ان بعض القوة التي انفقت في رفعهِ زادت جرمهُ. وكذا تخلى العلماء عن آرائهم القديمة في ماهية القوة الكامنة واحلّوا محلها شيئاً يقاس ويوزن

فالمذهب القائل بان المادة لا تخلق ولا تتلاشى قد انقضى عهدهُ لان المادة تصير قوة ثم تعود القوة فتصير مادة . فالمادة لم تتلاشَ في الاول ولم تُخلَق في الثاني ولكنها تحولت

***

ان توحيد آرائنا ومذاهبنا الطبيعية قائم على قدم وساق . وقد تكرر هذا العمل في القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين . ففي اوائل القرن التاسع عشر كان العلماء ينظرون الى كلٍّ من النور والحرارة والنور الفوتغرافي نظرهم الى وحدة مستقلة عن الاخرى . على ان كل الاشعة صارت في نظرنا الآن شيئاً واحداً والاختلاف بينها ناشئ عن طول الموجة فقط . وقد اضيف عليها من الطرف الواحد الامواج اللاسلكية ومن الطرف الآخر اشعة اكس والاشعة الكونية . فز مكسول اولاً بتوحيد النور والكهربائية وتلاهُ اوهم وفراداي فوحّدا بين المغناطيسية والكهربائية ثم جاء اينشتين الذي وحّد اولاً بين الجاذبية وقوة الاستمرار ثم بيّن ان المادة والقوة وجهان لوحدة واحدة

مناظرة الهمذاني والخوارزمي

«اذا أرت الدنيا بإهة خامل فلا ترتقب الا خمول نبيه»

—o:o—

« وأعيان الهمذاني عليه قوم من الوجوه ، كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاق ما لم يكن في حسابه» « الثعالبي »

أما أثر هذه المناظرة في الهمذاني فقد أوجزهُ الثعالبي في قوله : —

« فلما تصدى الهمذاني لمناجلته ، وتعرض لتحكيك به ، وغلّب هذا قوم وذاك آخرون ، طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارات الاقبال على أموره ، ودرّت لهُ أخلاف الرزق ، وأجاب الخوارزمي داعي ربه ، فخلا الجو للهمذاني »

وأما أثرها في الخوارزمي فكان كما يقول الثعالبي نفسه : —

« أقف من تلك الحال ، والخذل الخذالاً شديداً ، وكسف باله ، وانخفض طرفهُ ، ولم يَحُلْ عليهِ الحول حتى خانه عمره ونفذ قضاء الله فيه ! »

والحق ان هذه المناظرة كانت أشبه بمباعة قهرية من الخوارزمي للهمذاني ، فقد انتهت المعركة بمثل ما تنتهي اليه عزيمة الملوك ، وانتقل تاج الشهرة من رأس الى رأس !

ولعل أصدق مثل ينطبق على ما حدث بين الهمذاني والخوارزمي هو مثل السلحفاة والأرنب المشهور ، حين تراهنا على السباق إلى غاية ، فتهاون الارنب اعتماداً على سرعته وجدّت السلحفاة لتعوض ما فات من قوتها

فقد كان الخوارزمي حينئذٍ شيخاً قضى عمره بين حلٍّ وترحال ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب — كما يقولون — وشرّق بعد ان غرّب وخبر الدهر وأهليه ، وتعرض لكيد الرؤساء وغضب الزعماء . فلما تصدى الهمذاني لمناظرته ، وهو حينئذٍ في سن الشباب — استخفّ به ولم يعدّ العدة لمناضلته ، وكأنما كان يمثل قول القائل : —

« عذرت البزل إن هي غالبتني فما بالي وبال أبي لبون ! »

ولم يكن زهد الخوارزمي في مساجلته بأقل من ولوع الهمذاني بها وتحرقه اليها ، لانه كان يرى فيها اكبر فرصة للظهور

ألا ترى إلى الهمذاني يبدأ بالتجني على الخوارزمي وتقريعه واتهامه بالجفاء والكبر[1] فيرد عليه الخوارزمي رداً كريماً يختمه باظهار خطإ الهمذاني فيما ذهب اليه من توهم الجفوة[2] فلا يكون للهمذاني شاغل الا استثارة الخوارزمي وتنقصه وعيبه في كل نادٍ ومحفل ، مرتقباً الفرص لمناضلته وقهره ، ليصل بذلك الى الشهرة من أقرب طريق. فاذا بدا لهُ أمل في الاجتماع به ، حرص الهمذاني على تحجل الفرصة وسعى الى تحقيقها جاهداً خشية ان تفلت من يده . كما يتم على ذلك قوله : —

« واتفق أن السيد أبا علي نشط للجمع بيني وبينهُ ، فدعاني فأجبت ، ثم عرض عليّ حضور أبي بكر الخوارزمي فطلبت ذلك وقلت : « هذه عدة كنت أستنجزها . وفرصة لا أزال أتنزها ». فتجشم السيد أبو الحسين وكاتبه يستدعيه ، فاعتذر أبو بكر في التأخر فقلت : « لا ، ولا كرامة للدهر أن ننقد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ، ولا عزازة للوثائق أن تضيعنا ولا نضيعها وتمينا ولا ندفعها ». وكاتبهُ أنا أشحذ عزيمته على البداءة وألوي رأيه عن الاعتذار ، واعرفهُ ما في ذلك من ظنون تشتبه ، وتهم تتجه »

وهنا يقول الهمذاني :

« وقدنا اليه مركوباً لنكون قد الزمناهُ الحج وأعطيناهُ الراحلة ، فجاءنا في طيلسان أف ، وعدد ثف

« كل بعيض قدره اصبع وأنفه خمسة أشبار ! » الخ

ولم يكد يستقرُّ به الجلوس حتى بدأ يستثيره الهمذاني ويتحرش به إلى ان زجَّ به في ميدان المساجلة . وانشدهُ الهمذاني ابياتاً كلها تهكم به وزراية عليه وتنقص لأدبه

وقد اجاز الخوارزمي بيتاً للتنبي كما اجازهُ الهمذاني ، وعاب عليه الهمذاني ما في نظمه من قافات مكروهة . فلما بدأ الخوارزمي يعيب عليه قوله :

« يا أحقا ! وكفاك ذلك خزية جرَّبت نار معزي هل تحرق ! »

ونعى عليه صرف كلمة « أحمق » أسطرهُ الهمذاني بسيل من السباب ، فقال :

« وأما أحمق فلا يزال يصفك لتصفه ، حتى ينصرف وتنصرف معهُ ! »

ومن العجب أن الهمذاني يسبّه ما شاء أن يسبَّهُ ، دون أن يقف في سفاهته عند حد ، ومن غير أن يراعي فضل الرجل أو شيخوخته ، ثم لا يخجل أن يقول لهُ بعد ذلك :

(١) ارجع الى (ص ١٥) من رسائل الهمذاني (٢) ارجع الى (ص ١٥) من رسائل الهمذاني

« يا هذا إن الادب غير سوء الأدب ، والمناظرة حضرتا لا المناقرة ، فإن نفضت عن هذا السخف يدك ، وثنيت عن هذا السفه قصدك ، وإلا تركت مكالمتك الخ »

فاذا انفضّ المجلس طفق الهمذاني يروّج في كل مكان انهُ انتصر على الخوارزمي أيما انتصار وخذله أيما خذلان، ويرسل اليهِ في نفس الوقت رسائل الشوق والمجاملة والتحرق الى اللقاء ، ويوفد اليهِ رسلا يصلحونهُ واياهُ :

ولكن الخوارزمي يبعث اليهِ من يقول لهُ :

« قد تواترت الأخبار ، وتظاهرت الآثار في أنك قهرت وانني قُهرت ، ولا أشك في أن هذا التواتر عنك صدرت اوائلهُ ، والخبر اذا تواتر بهِ النقل قبلهُ العقل ، ولا بدَّ أن نجتمع في مجلس بعض الرؤساء تناظر بمشهد الخاصة والعامة الخ »

واذن فقد بلغ الهمذاني إربتهُ ، واحتاج الخوارزمي فاندفع الى طلب المناظرة بلا تدبر ولا روية فبعث اليهِ الهمذاني بكلام ظاهره اعتذار وباطنهُ احتثاث على المناظرة واستنفار اليها

***

ومرت الايام ، ثم جاء اليوم المشهود ، وعقدت المناظرة في دار الشيخ أبي القاسم المستوفي الوزير ، بمشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس

وهنا يكر الهمذاني في الحضور ليتملق من حضر ويتودد الى الشهود بكل ما في وسعهِ ويدبر خطط الدفاع والهجوم تدبير الحاذق الذكي

قال . « وكنت أول من حضر ، وانتظرت ملياً حضور من ينظر الخ »

فاذا رأى من بعض الحاضرين شيئاً من الانحراف عنهُ تقرب اليهِ متملقاً ، كما فعل مع الشريف السيد أبي الحسين ، حين رأى منهُ جانب الاعراض فقال لهُ من كلام طويل :

« فإن كنت أبلغت غير الواجب فلا يحملك على ترك الواجب ، ثم إن لي في أهل الرسول (ص .) قصائد سارت في البلاد ، وطارت في الآفاق ، ولكني أتسوق بها لديكم ، ولا أتنفّق بها عليكم ، وللآخرة قلتها لا للحاضرة ، وللدين ادخرتها لا للدنيا ! »

فقال للهمذاني : — « أنشدني بعضها »

فأنشدهُ الهمذاني شيئاً مما قالهُ . فاذا حدث ؟ نترك للهمذاني نفسهِ روايتهُ ، قال :

« فلما أنشدت ما أنشدت انحلت لهُ العقدة ، وصار سِلماً ، يوسنا حلماً الخ » وبذلك أصبح الشريف من أنصار الهمذاني ومؤيديهِ

وجاء الخوارزمي بعد أن تكامل العدد ، وتمت المؤامرة ، فتوهل بفتور ولم يكد يجلس

مكانهُ الجدير به حتى طلب اليهِ الهمذاني أن يتخلى عنهُ الى غيره . ووافقهُ الحاضرون على سفسطته الفارغة . ولقد اخطأ الخوارزمي أشنع الخطأ حين رضي بالبقاء والمناظرة في مجلس مشبع بروح الخصومة واللدد. وليتهُ اتبع قول ابن المقفع في وصف صديق حازم: « وكان لا يدلي بحجته حتى يجد قاضياً فهماً وشهوداً عدلاً » إذن لأمن عواقب هذا الاندفاع والتسرع . ولكن

ألا يا قوم للعجب العجيب والنفلات تعرض للأريب

***

ولكن كيف انهزم الخوارزمي في المناظرة ؟

ليس لدينا غير مصدر واحد نعتمد عليهِ في ذلك غير رواية الهمذاني نفسهِ ، وهي رواية خصم عن خصمهِ لا تقابل بغير الحذر والانتباه ، وقد تعمد الهمذاني — بلا شك — أن يسجل فيها انتصارهُ مضاعفاً ، بأسلوب جديد من اقوى أساليب الدعاية ، ولو كان لدينا مصدر آخر لتكشفت لنا جوانب كثيرة تعمد الهمذاني اخفاءها عنا ، ليزعم لنفسهِ الفوز كاملاً والانتصار حاسماً !

على أننا نلمح في كلام الهمذاني نفسهُ ، أنهُ قد انتصر على الخوارزمي انتصاراً ، الهزيمة خير منهُ ، وقد ذكرنا للقارئ طرفاً من تلك الأساليب الخبيثة التي سلكها الهمذاني للتغلب على خصمهِ « الخوارزمي » الاديب الكبير وابن اخت الطبري المؤرخ الكبير

وهي أساليب اعدها دروساً قاسية في التهافت المستكر على الشهرة وعواقبهِ، فقد رأيت أنهُ لم يدع وسيلة من وسائل التهويش وعلق الحاضرين وارضائهم إلا أتاها

فلما انتهت المناظرة وأراد تسجيل ما حدث فيها كما شاء لهُ الهوى ، طفق يكيل المدح كيلاً لكل من لهُ خطر من الحاضرين حتى يأمن أن يكذبوهُ في شيء مما رواهُ . وطفق الهمذاني وأنصاره وخصوم الخوارزمي يذيعون في كل مكان أن الخوارزمي قد انهزم شر انهزام

***

ولكن ، هل كانت الهزيمة حاسمة ؟

ذلك ما نرتاب فيهِ رغم ما يؤكدهُ لنا الهمذاني ، ويصورهُ لنا في روايته التي ليس لدينا مصدر سواها . ونحن نعتقد أن الهزيمة — إن كان ثمة هزيمة — لم تكن شريفة ، وليست تنقص من فضل الخوارزمي. فقد كانت كل كلة يقولها الهمذاني تقابل بالاستحسان

ويعرب الحاضرون عن رضاهم عنها بالقول والاشارة وانبساط الأسارير . وقد أحسن الخوارزمي في وصف خصمه بالشعبذة فلم يمن أحد بقوله . مع انهُ وصف صادق لادب الهمذاني في ذلك الحين . فقد طلب من مناظره مثلاً : ان يكتب كتاباً « خالياً من الحروف العواطل » وآخر « اوائل سطوره كلها ميم وآخرها كلها جيم » الى آخر هذه الأمور التي لا نرى أصدق في وصفها من كلمة الشعبذة !

***

لقد كان الخوارزمي في سن الشيخوخة ، وقد احرز اقصى ما يتطلع اليه من شهرة ومجد ووصل الى ارقى منزلة تتسامى اليها نفس اديب ، وهي منزلة الزعامة ، وهو حينئذٍ قد اجتاز مرحلة الجدال والمهاترة والمباهاة بالحفظ الى آخر هذه الاشياء التي يكثر منها الأديب الناشيء الطامح الى الشهرة ، وأصبح بأقصى بطبعهِ من ذلك ، ولو حاوله — وقد فعل — لأخفق كل الاخفاق . ومثل لنفسك شاباً ذكياً يواصل ليله بنهاره في الدرس والتحصيل وتطمح نفسه الى عظائم الامور ، يأتي الى زعيم من زعماء الادب في عصره فيناقشهُ في تلك القواعد التي تركها منذ زمن بعيد وانصرف عنها الى ما هو أسمى منها من الاهتمام بفلسفة الحياة ومثلها العليا ، فماذا تكون النتيجة ؟ !

فاذا سلمنا بانهزام الخوارزمي فليست هذه الهزيمة مما ينقص من مكانته العالية عندنا ، فقد يكبو الجواد . وكثيراً ما صاحبَ التوفيق من ليس لهُ اهلاً ، وخذلت الظروف من هو أجدر الناس بالفوز . وربما أجلت القريحة الوقادة كما حدث للحريري في موقفه المشهور . ومن الناس من يصلح للكتابة ولا يصلح للخطابة ، ومنهم من يلائمه الجو الهادئ ويؤذيه الصخب . ولقد تلعثم مثلاً أبو علي القالي — الاديب الكبير — وارتج عليهِ حين اراد الترحيب برسل ملك الروم في الاندلس واظهار مجد الاسلام امامهم[1] فهل دل ذلك على شيء اكثر من ان لكل مقام ناساً لا يصلحون الا لهُ ، فلا بي علي القالي التفكير الهادئ والبحث الأدبي المطمئن ، وتمحيص الروايات والاسانيد ، ولغيره الثرثرة والتأثير الخطابي على نفس العامة ، وليس في استطاعة احدهما ان يقوم مقام الآخر . وللهمذاني كذلك

(١) لما أمره الناصر بالكلام حمد الله وصلى على النبي ثم ارتج عليه فقال المفضل وابهة الخلافة ، فقالوا : « وانقطع وبهت » فما وصل الا نطع « فوقف ساكتاً مفكراً » فلما رأى منذر بن سعيد البلوطي ذلك قام قائماً بغرفة من مرقاة ابي علي ، ووصل افتتاحه وخطب خطبة بالغة ، (ارجع الى نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ص ٢٠٦) وقد كانت هذه الخطبة سبباً لرفع شأنه بعد ذلك كما رقمت المناظرة من شأن الهمذاني !

دولة الالفاظ يلعب بها لعب الماهر الحاذق بالتطريح ، وللخوارزمي التوفق في التعبير عما يدور بنفسه من أدق المعاني وأخفى الخوالج ، وعرضها على الناس في أجمل معرض !

***

وجماع القول أن الخوارزمي كان يمتد بنفسه أكبر امتداد ويحتقر الهمذاني ، ولا يرى فيه كفئاً جديراً بالاستعداد لمناجلته . بينما كان الهمذاني يعدُّ كل عدته في سبيل الانتصار عليه لأنه كان يرى في هذا الفوز ادراك اقصى غايات الشهرة ؛ وكان شهود المناظرة ممن يكرهون الخوارزمي ويميلون الى الزراية عليه والحط من شأنه كما قلنا . وقد بكر الهمذاني في الحضور واعد أركان الدفاع ورسم الخطط الهجومية ، واستمال الحاضرين بدعابته وظرفه ومداعبه ، وهيأ لنفسه كل اسباب الانتصار وقد كان الهمذاني قوي العارضة حاضر البديهة سريع الخاطر وهذه اقوى عدة يعتدُّ بها كل من يتصدى للمناظرة والجدل

***

بقي علينا أن نقول ، انصافاً للحقيقة

اننا نتكلم الآن عن الهمذاني وهو في زمن المناظرة ايام كان يطمح الى اغتصاب الشهرة اغتصاباً من أديب عصره الفذ « ابي بكر الخوارزمي » على اننا جديرون ان نقرر أن الهمذاني قد وصل بعد ذلك حين خلا له الجو — عقب موت الخوارزمي — الى منزلة إن لم تصل الى منزلة الخوارزمي فهي ليست جد بعيدة عنها ، ولا جرم أنهُ لم يبلغ هذه المرتبة إلا بعد أن وجه همتهُ الى الادب الخالص والتعبير الصادق عن احساسه ، ولو عاش الى مثل سن الخوارزمي لما قصر عن شأوه . وربما مثل معهُ أحد الناشئين نفس هذه الرواية التي مثلها مع الخوارزمي — على أن كلا الاديبين — في التقصير والنبوغ على السواء متفق في العناية بالسجع والمحسنات اللفظية التي لا يرضاها عصرنا . وإن كان السجع قد أصبح لكليهما سجية ، وكان لا يجيء منهما إلا عفو الخاطر فلا تكاد تشعر بتكلف في صياغته ، لاسيما في كلام الخوارزمي المملوء حكمة وتعقلا

فإذا تعنت ناقد فعرض علينا شيئاً من سخافاتهما محاولاً اسقاط قيمتهما ، عرضنا لهُ أضعاف ذلك من حسناتهما ، وقلنا له : إن كاتباً من كان ، لا يخلو من سقط

على أنهما كانا متأثرين بعصرهما في ذلك ، وقد حملا لواء الزعامة متعاقبين وكانا قدوة للناشئين من الأدباء كما كانا محل تبجيل اساطين الادب في ذلك العصر الحافل بالادباء

القاهرة أسد كيدلي

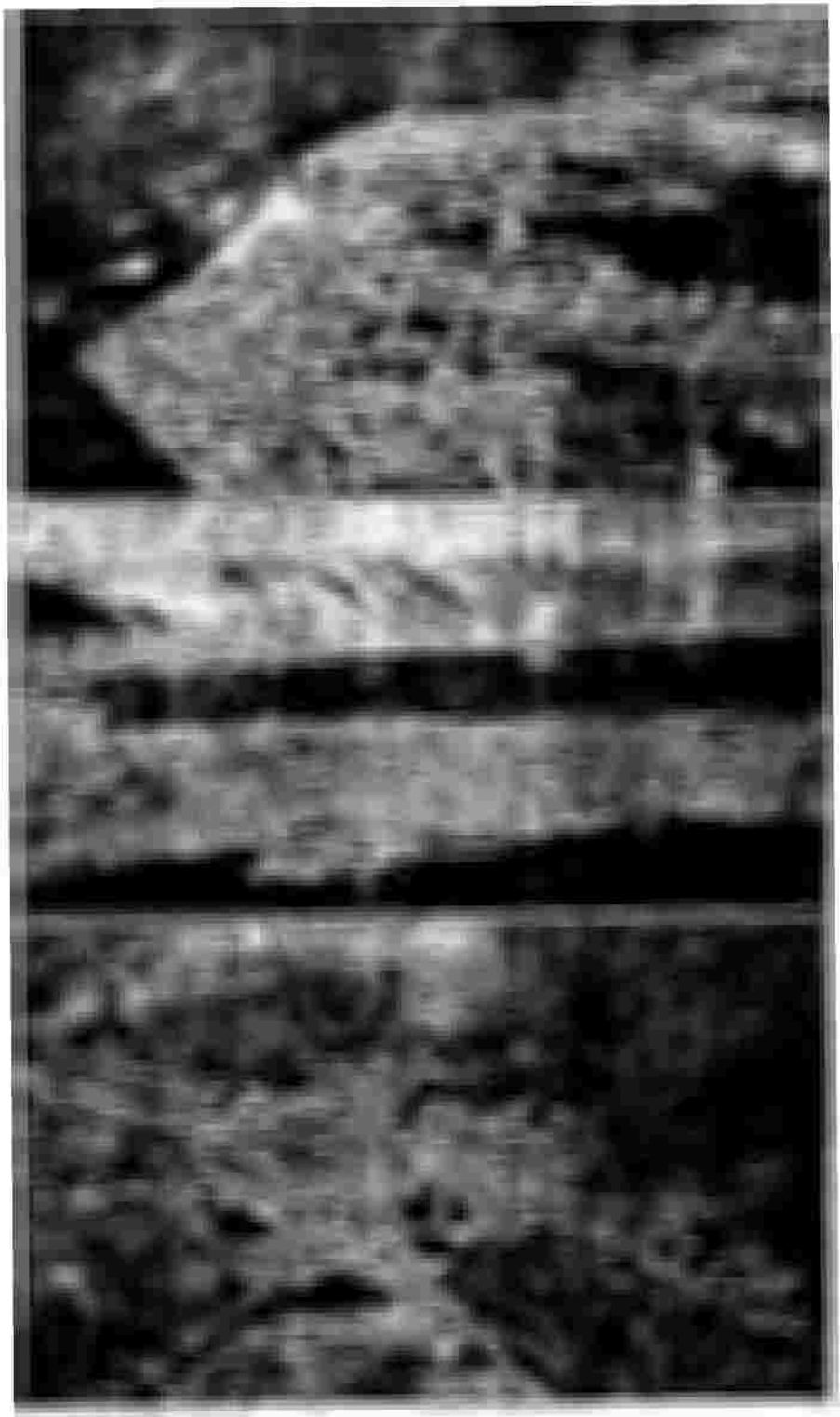

ثلاث مدن سورية كما يجري من طيارة محلقة (من أعلى الى اسفل) مرتفعة عن دمشق الشام فنابلس
مقتطف يوليو ١٩٢٩ أنظر الصفحة ١٦١

مشاهد مصر وفلسطين من الجو

اعظم الرحلات الجوية الحديثة

للسر الان كوبهام الطيار الانكليزي المشهور

كانت الحلقتان الاوليان في هذه السلسلة لاثنين من اشهر طياري المعمورة هما الجنرال فوتي زميل امندسن في رحلة البلون فورج (مقتطف يناير وفبراير ١٩٢٨) . والثاني انكومندر برد اول من بلغ القطب الشمالي عن طريق الجو واحد ابطال الطيران في اميركا (مقتطف مارس وابريل ١٩٢٨) . وهذه الحلقة الثالثة لاشهر طياري الانكليز السر الان كوبهام لخصناها عن المجلة الجغرافية الاميركية الاهلية

١

أتيح لي في السنوات السبع الاخيرة من حياتي ان ازور كل عاصمة من عواصم الممالك الاوربية وان اخترق القارة الافريقية من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها وان اجتاز البادية السورية الى العراق فالهند فبرما ومنها الى استراليا عن طريق رانغون وسنغافوره وجزائر الهند الشرقية. ومع ذلك لم امتط سفينة بخارية في اثناء تلك الرحلات الا في اواخر سنة ١٩٢٧ حين زرت الولايات المتحدة الاميركية. لان كل رحلة رحلتها في السنوات المذكورة كانت على متن الطيارات . واشعر الآن ان ما احفظهُ من ذكريات الاماكن التي زرتها او طرت فوقها اكثر وضوحاً من ذكريات مسافر عادي يتطلي باخرة اوقطاراً او سيارة

ففي اوائل سنة ١٩٢٣ رحلت رحلة طويلة قطعت في اثنائها نحو ١٢ الف ميل على سبيل النزهة فزرت كثيراً من بلدان اوربا ومصر وفلسطين والجزائر ومراكش . وكان رفيقي فيها صديق قديم اولع بالسفر الجوي لانهُ يحببهُ من اجلّ الوسائل لدرس الحضارات القديمة وآثارها

قمنا من لندن الى باريس ثم اخترقنا فرنسا الى شاطئها الفيروزي Cote d'Azur فطرنا فوقهُ الى ايطاليا ومنها الى بلاد اليونان فتسنى لصديقي ان يشاهد معاهد الخرافات اليونانية والرومانية ونحن سائرون فوقها من برندزي الى كورفو الى خليجي بتراس وكورنثوس الى اثينا . من اثينا اجتزنا البحر المتوسط الى الشاطئ الافريقي الى مصر ولما

كنا في مصر عزمنا ان نطير من شرق افريقيا الى غربها فقمنا من مصر الى مراكش في مراحل كثيرة كما يجيء ثم اجتزنا بوغاز جبل طارق الى اسبانيا ومنها عدنا الى فرنسا فانكلترا

رأينا اكثة الاكروبلس اولاً من الجوّ فكان منظرها رائعاً. ولبثنا في العاصمة اليونانية بضعة ايام شاهدنا في اثنائها البارتنون والستاديوم الجديد وهو الملعب الذي بني على انقاض الستاديوم القديم حيث كانت تقام الالعاب الاولمبية . ولما اكملنا عدتنا للطيران من بلاد اليونان الى افريقية اصبحنا في اليوم التالي والجوّ صافٍ كعين الديك فطرنا فوق جزائر بحر ايجه وهي كالجواهر ترصّع سهلاً من الفيروز ثم مررنا فوق جزيرة كريت حيث ولد اول الطيارين في التاريخ

ففي الخرافات القديمة ان طائرين يدعيان ديدالس وايكارس صنعا اجنحة من الريش وحلقا في الجوّ فوصل ديدالس الى جزيرة صقلية طائراً واما ايكارس فهزه الفوز بالطيران فحلّق في الجوّ حتى اقترب من الشمس فذاب الشمع الذي شُدَّ به الريش الى الجناح وهبط الطيّار في البحر . ولحسن الحظ لم نصب بما اصيب به ايكارس

فاننا غادرنا جزيرة كريت وراءنا حين اتجهنا الى السلّوم معتمدين على البوصلة المغنطيسية وبقينا طائرين ثلاث ساعات لا نرى الاّ الازرقين السماء والماء حتى تراءى لنا الشاطىء الافريقي عند الافق فالتزمنا السير في خط مستقيم حتى بلغناهُ فاذا نحن على ميل واحد من السلوم التي سدّدنا مقدم طيارتنا اليها . وهي مركز من مراكز الحدود المصرية على حدود الصحراء الليبية فرحب بنا مأمور المركز ودعانا الى العشاء فاجتمعنا عنده يحافظ الصحراء الغربية وفي السهرة دار الحديث على مشاقّ الرحلة في الصحراء وذكر الحاكم انهُ مقبل في الغد على رحلة مضنية الى واحة سيوه تستغرق مسيرة يومين بالاتومبيل

فراجعت الخريطة التي كانت في حقيبتي ووجدت ان سيوه واحة على مائتي ميل الى الجنوب من السلّوم في صحراء ليبيا . فاقترحت على المدير ان اطير بهِ الى سيوه فنصلها في ساعتين فقبل الدعوة شاكراً

نزلنا في سيوه او على مقربة منها على سطح ملحيّ متسع مستوٍ كل الاستواء حتى كأنهُ سطح مائدة من موائد البلياردو والظاهر انهُ كان قبلاً قعر بحيرة من الملح. ولما وقفت الطيارة رأينا قافلة من الجمال مستعدة لاستقبالنا والذهاب بنا الى البلدة وقد علمت بعد نذر ان الاوامر صدرت الى سيوه من السلوم بالتلفون لارسال هذه القافلة الى استقبالنا

وقد كانت سيوه الى زمن قريب ملوثة بجراثيم الملاريا ولكن العناية ببرك المياه الراكدة

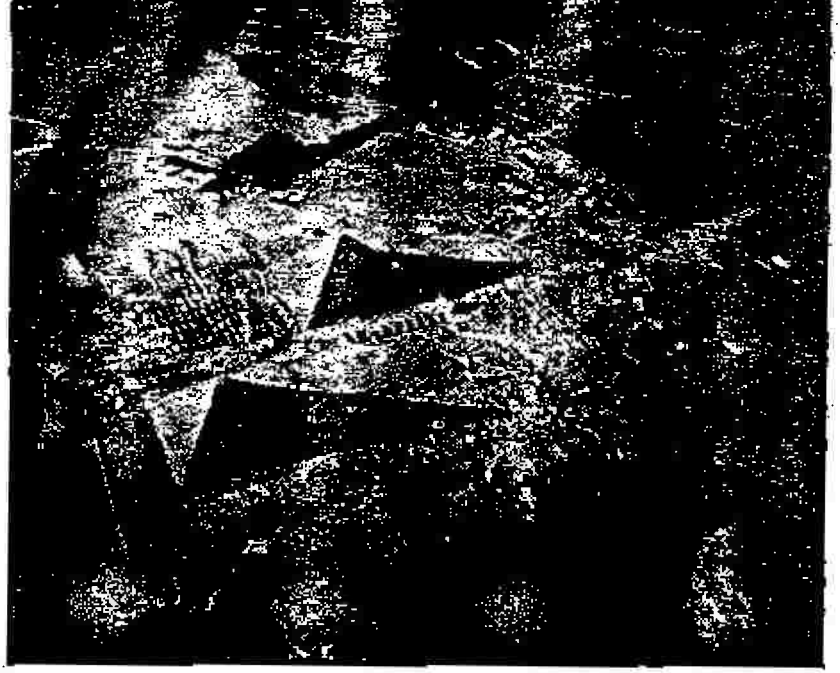

الطريق الكبير ان وما يجاورها كما يرى من الطيارة محلقة

دور العريش كما ترى من طيارة محلقة فوقه . والمربعات التي ترى في الصورة هي أسوار تحيط بالدور وفي الزاوية اليمنى صورة النمر لان كوبهام صاحب هذا المقال — مختلف بوبو ١٩٢٩ : أنظر الصفحة ١٦٣

واصدار الاوامر بتجفيفها او تحريكها مرتين على الاقل كل يوم او صبّ زيت النفط عليها منعت البعوض من التكاثر فيها فزالت الملاريا منها

الصحراء حول سيوه ليست كثباناً من الرمل الناعم بل تراب متحجر وفي كثير من الاماكن ترى الارض مستوية استواء سطح المسجد . وفي اليوم الثاني قبل رجوعنا نقشت الحرف T في الساحة التي نزلنا فيها للدلالة على ان المكان صالح لنزول الطيارات . وقد قيل لي ان هذا الحرف لا يزول قبل انقضاء ٢٠ سنة لجفاف الهواء وعدم وقوع المطر الذي قد يطمس آثاره

شاهدنا في مرسى مطروح بحيرة فحصناعة الماء جميلة المنظر . وقد قيل لي ان في بعض التواريخ ما يؤخذ منهُ ان كليوبطرة ومرقص انطونيوس كان لهما قصر في هذه الناحية . وبعدما طرنا من مرسى مطروح نحو ٣٠٠ ميل وصلنا فجأة الى الجدّ الفاصل بين الصحراء والدلتا الممرعة ولم نسر بضع دقائق حتى رأينا الارض تحتنا خميلة خضراء . ثم رأينا عند الافق قبتين علمنا من شكلهما انهما قبتا هرمي الجيزة الكبيرين فاتجهنا اليهما ولما وصلنا اليهما شاهدنا ايضاً على مقربة منهما الى شرقيهما الجنوبي اهرامات اخرى

من يطر فوق البلاد المصرية يدرك الى اي حدّ مصر ارض النيل وانها لولا هذا النهر العظيم لما كانت مصر على الاطلاق وقديماً قال هيرودتوس « مصر هبة النيل ». وحين تشاهد النيل من الجوّ تحسبهُ نهراً من الخضرة النضرة يسيل في الصحراء القاحلة وفي وسط هذه الخضرة تلمع مياه النيل الفضية كالسيف المصقول

سرنا من القاهرة محاذين النيل الى الاقصر وقبل النزول الى الارض طرنا فوق وادي الملوك وطيبة وهيكل الكرنك وبعد نزولنا الى الارض قضينا اياماً نجول في الاماكن التي شاهدناها من الجوّ فكانت مشاهدتها الاولى مما ساعدنا على ادراك نسبتها بعضها الى بعض

الرحلة من القاهرة الى الاقصر بسكة الحديد تستغرق نهاراً كاملاً او ليلة كاملة ولكننا اجتزنا المسافة بطيارتنا في اقل من اربع ساعات . ومن الاقصر استأنفنا رحلتنا جنوباً فشاهدنا آثار اسنا وادفو حتى بلغنا جزيرة انس الوجود عند الشلال الاول وشاهدنا خزان اسوان العظيم وفي البحيرة التي تكونت وراء الخزان من خزن المياه رأينا هياكل « انس الوجود » مغموراً اكثرها بالمياه وقد كانت حتى بناء الخزان على اليابسة فوق حدّ مياه النيل

كان الصيف قد اقبل بحرّه ولم نشأ ان نتعرض لهُ فيحمى محرك الطيارة ونضطر الى النزول في الصحراء على منأى من العمران فقررنا ان نستأنف سفرنا الى حلفا قبل فجر اليوم التالي فشاهدنا الآثار المصرية على ضفاف النيل واشهرها هيكل ابو سمبل المنقوش

في الصخر الحيّ وقد قام أمام مدخله تمثالان ضخمان لحراسته

ولما بلغنا حلفا عند الشلال الثاني حوّمنا حولها ثلاثاً ورجعنا الى اسوان فبلغناها بعد ما بقينا في الجوّ نحو خمس ساعات فتناولنا طعام الغطور في ساعة متأخرة ولو شاء السائح ان يسافر من اسوان الى حلفا ويعود اليها بالباخرة لاستغرق ذلك نحو اسبوع كامل

وفي عودتنا الى القاهرة طرنا فوق آثار ايدوس واذ نحن طائرون نتمتع بمشاهدة الآثار الضخمة التي تحتنا شعرت بان محرك الطيارة غير منتظم الدوران فادركت في الحال ضرورة النزول الى الارض لاصلاح الخلل وكانت الارض تحتنا خمائل غنّاء تخترقها ترع الري فالنزول بالطيارة فيها محفوف بالخطر ولذلك اتجهت الى الصحراء فنزلنا على اطرافها سالمين ولم يمض على نزولنا دقيقتان حتى انقضّ حولنا جمهور كبير من السكان فخفت على الطيارة ان تصاب بعطل ما من ازدحامهم حولها. ولحسن الحظ لم يلبث شيخ القرية ان جاء ليعرف ما الخبر فطلبت اليه ان يمنع الجمهور عن الازدحام حول الطيارة ففعل والحال اكبت على اصلاح الخلل ولكننا لم نتمكن من استئناف الطيران الى القاهرة فبتنا في قرية قريبة من المكان الذي نزلنا فيه واستأنفنا الطيران صباح اليوم التالي فبلغنا القاهرة حوالي الظهر

ولما كنا في القاهرة عزمنا ان نزور فلسطين فقمنا من مطار هليوپوليس واتجهنا الى البحر الابيض المتوسط على حدود الصحراء الشرقية . وبعدما طرنا نحو ساعة ونصف ساعة دهشت لما رأيت باخرة تسير في الصحراء وتخترق الرمال فهبطت قليلاً واقتربت من الباخرة فاذا هي تسير في ترعة السويس التي لم ارها لاني نظرت اليها من مكان منحرف فخفيت مياهها وراء كثبان الرمال

وكانت هذه الرحلة الاولى التي رحلتها الى فلسطين فخطرت على بالي اقوال اسفار التوراة التي يؤخذ منها ان اسباط بني اسرائيل قضوا اربعين سنة في صحراء سينا قبلما جاءوا فلسطين التي تفيض لبناً وعسلاً فجعلت اراقب البلاد التي تحتنا كيف تتحول الصحراء القاحلة الى ارض قليلة الخصب فيها بعض العشب والشجر ثم الى جنان فلسطين الغنّاء . وطرنا فوق القدس الشريف يوم الجمعة الحزينة وفي يدنا توراة نستدل منها على الاماكن المشهورة وبعد ما حومنا فوق المدينة اتجهنا الى قرية بيت لحم ومنها الى وادي البحر الميت الذي يبلغ انخفاض قعره عن سطح البحر ١٣٠٠ قدم . ثم استأنفنا الطيران الى وادي الاردن فبحر الجليل ثم اجتزنا الاكام الى الناصرة ومنها الى الرملة حيث حططنا رحالنا لنزور الاماكن التي طرنا فوقها فلما زرناها رسخ في اذهاننا ان الطيران فوق بلاد قبل التجول فيها يمكن السائح من فهم جغرافيتها وتاريخها فهماً صحيحاً

في سبيل العربية

ما بين الجمود والاصلاح

استعراض نقدي يقوم به الدكتور احمد زكي ابو شادي

١ — تمهيد

بالامس القريب ثارت ثائرة الادباء في فلسطين لان صحيفة انجليزية أنشأت قسماً عربيًا لها مكتوباً بالحروف اللاتينية. وأحسب ان كل اديب عربي بعيد النظر لن يتردد لحظة في مشاركة اولئك الساخطين في شعورهم واحتجاجهم ؛ لان هذه هي الخطوة الاولى للقضاء على العربية ، وفي القضاء عليها قضاء على ما يتبعها من مقومات اجتماعية وادبية وسياسية نلوذ بها ونعتز ، ونتخذها عماداً لنهضاتنا المتابعة

لعل من خير الانسانية ان تكون لها لغة واحدة ، ولعل اللغة العالمية التي سوف تكون لها الغلبة هي الانجليزية — لسان العالم الجديد : مقر أسمى حضارة عرفها البشر ، ولسان الامبراطورية الانجليزية ، ولسان التجارة الدولية ، ولسان الثقافة والتعامل في شعوب ناهضة كثيرة كاليابان والصين والهند . بيد انه من خيال الخيال أن نتصور إمكان القضاء البات على اللغات القومية ما دامت هذه اللغات وليدة معارف وحضارات وعقائد مبجلة . وغاية ما يسوغ لنا العقل تصوره إمكان ذيوع لغة ظاهرة ذيوعاً كافياً لتكون اللسان الاول للحضارة العالمية ، فيصح تعلمها فرضاً على جميع الشعوب المتحضرة ، دون ان يتعارض ذلك وواجبات تلك الشعوب نحو لغاتها الخاصة بها . وقد ذكرت آنفاً ان اللغة الانجليزية مرشحة قبل سواها (ولا استثني الفرنسية) لتبوء هذه المكانة ، وربما نالتها قبل شروق القرن التالي . وقد اصبحت الانجليزية بما تستوعبه من شتى العلوم والفنون والآداب كنزاً وفيراً لأنفس معارف الامم ، وصار البحر فيها مغيباً في معظم الاحوال عن الالسنة الاوروبية الاخرى . ولكنه برغم ذلك لم يعرف قديماً ولا حديثاً عن امة من الامم التابعة للتاج البريطاني أنها استغنت بهذه اللغة السهلة المرنة الزاخرة بالعلوم

والفنون والآداب عن لسانها القومي الرؤوم ، ذلك لانها تحسُّ انهُ وحده مستودع اسرارها واحلامها وآلامها

هذا مثلٌ نسوقه لنسوّغ به قولنا (لا من جانب العاطفة وحدها ، بل من جانب المنطق ايضاً) بلساننا القومي ، دون أن تكون في هذا التعلق مسكة من التعصب المشين ولا اية مضادة لنزعتنا العالمية . وما من شكّ في ان اللغة العربية — وريثة الكثير من المدنيات القديمة — قد برهنت على استطاعتها أن تتكيف في اقطار شتى بلهجاتها وتعابيرها ذلك التكيف العجيب الذي يجعل حتى من صورتها الفصحى ألسنة قومية متعددة لافارق بينها الا في ما يسبغهُ عليها الذوقُ المحليُّ من الوان التعبير وما يكسبها من جرس خاص ترتاح اليه كل امة تأخذها لسانها القومي

في تقدم يتجلى لنا ان محاولة القضاء على الخط العربي مثلاً لا تجدينا شيئاً لانها تجعلنا نفقد صلاتنا بالماضي وهو تراث ثمين لنا ، ولا تكسب الانسانية خيراً لانها لا تساعد على تعزيز اللغة العالمية المرتقبة فهذه بالغة منزلتها لامحالة بحكم الحاجة العامة وبدافع الروح العالمية التي اخذت تسيطر على الفكر الانساني ، وكل ما سينشأ عن هذا البحث او عن هذه الثورة الفاشحة لو نجحت هو افساد اصول العربية وتكوين لغة خلاسية جديدة لاثقافة لها تدعمها ، وهكذا نخسر خسراناً مبيناً من ضلالة الهوى

فاذا كانت هناك مسألة جديرة باتفاق المحافظين والمجددين على السواء فهي صيانة حرمة لغتنا وشخصيتها ، واذا كان الاختلاف بينهم مبعثهُ غيرة كل فريق منهم على كرامة هذه اللغة فأكرم بهذا الاختلاف واجل به

ومن رأيي انهُ لا يمكننا التهاون آمنين في ما يُدّعى بصغريات المسائل الخاصة بكيان اللغة وحياتها لان هذا التهاون — سواء كان في صورة الجمود او الاستهتار — متى بدأ بهذه المسائل الصغيرة تدرّج الى الكبريات وجنى على اللغة تدريجيًّا . فكلُّ عنايةٍ باللغة وان حُسبت صغيرة ذات أثر في حفظ صحتها وترجيح حياتها . ومن اجل هذا تفرحني كلُّ عنايةٍ بها في المطبعة وفي الصحافة وفي التأليف شكلاً وروحاً ، عَرَضاً وجوهراً . لذلك لم تفتني الاشارة النقدية الى استعمال إحدى مطابعنا الشهيرة حروفاً قديمة للعناوين الجانبية لتكون بارزة الى جانب الحروف الجديدة (المقتطف م ٧٤ ص ٥٨٩) ، ومن أجل ذلك رحّبتُ بالمجهود الذي تبذلهُ الآن بعض مطابعنا الكبرى لاتقان صناعة آلات الصفّ الفردي (monotype) والصفّ السّطري (linotype) العربية ، ولهذا السبب سُررتُ بالعناية المطّردة الى تحسين الطباعة العربية كتابةً وترقيماً واخراجاً . وما اشك

في ان كثيرين من رجال القلم — فضلاً عن جمهرة القراء — يشعرون بمثل هذا الارتياح. فالعناية باللغة يجب ان تكون عناية عملية تطبيقية ، لا شقشقة لسان رفيقة للجمود، ويجب أن تشمل جميع مظاهر الحياة لغة حتى يكون لها الاثر الاتم

٢ — سعة العربية

مما تكرر أن كلام العرب « لا يحيط به الا نبيٌّ » ، وأن ابنية اللغة العربية تجاوز الاثني عشر مليوناً من الكلمات على ما ذكر الخليل بن احمد ، وان الزبيدي قدر أن عدة مستعمل الكلمات العربية الكاثنة فعلاً ومُهمَلها يربي على ستة ملايين ونصف المليون من الكلمات . وكل هذا من قبيل المباهاة التي لا جدوى منها ، لاننا في غنى عن كل هذه الملايين من الالفاظ التي يمكن نحتها بغير اصول نية، والتي تستطيع اية لغة ان تجارينا فيها متى تطرقنا الى باب النحت الصناعي الصوتي على غير اساس معقول سوى تركيب الحروف في صور كلمات ثنائية وثلاثية الخ . ا ولعل في معجم وبستر الاممي (Webster's International Dictionary) بكلماته التي لا تبلغ المليون عدداً من الثروة اللغوية والذهنية ما يفوق في قدره دعاوى تلك الملايين الوهمية من الكلمات العربية ، وما هو أدعى حقاً الى الفخر به لدى اصحابه

فاذا شئنا ان نفتخر بسعة العربية فلنفتخر بثروة مترادفاتها ، وبمفرداتها الجمة الكفيلة بالتعبير عن عواطف النفس وخلجاتها ، وعن صنوف المعاني العامة كيفما كانت ومهما تعددت واستدت، وعن تعابيرها المتنوعة الطيعة لكل من تذوق بلاغتها وتعرف روحها . وليكن هذا الفخر عملياً ، اي مقروناً بمواصلة الدرس لها وباستخراج كنوزها الى عالم النور . اما التشدق النظري بسعة العربية — ذلك الذي يقود الى الجمود ثم الى التعصب ضد التعريب كلما دعت الحاجة اليه — فليس من البر باللغة في شيء . ومن العبث التمثل بالجرمانيين ، فتلك لغة اخذت تتضاءل امام روح الثقافة العالمية المتسلطة في هذا الوقت خاصة على الممتازين من اهل العلم والادب في جميع الشعوب الحية

لنؤمن اذن بسعة العربية الى حدٍّ ما ، عاملين على تداول الجميل من الفاظها المنسية وجمع المتفرق الضائع منها ، مجددين ما شاء العصر في تعابيرها ، نازعين على الاخص الى ما يصح لنا ان نسميه بالاسلوب المتعادل (Neutral Style) — ذلك الاسلوب الذي يعبر تعبيراً مستقيماً عن افكارنا وعواطفنا ومعارفنا بغير لغو او اسراف ، بحيث لا يشق نقله في جملته سواء كان نثراً او نظماً ، تقريراً او شعراً ، من اية لغة الى اخرى دون ان يفقد بهاءه ما دامت القدرة على النقل موفورة

ومن العجيب انهُ لا يزال بيننا من يتحدث عن المفردات والاساليب الفصيحة الاولى حينما لا تعرف لهذه الاساليب القديمة الصرفة حياة صافية أكثر من قرن بعد ظهور الاسلام ، وهذه سنة الماء والتطور الطبيعية التي لا غضاضة فيها ولا ضير منها على اللغة ما دامت غذاء لحياتها ، لا داعٍ متسرّباً الى كيانها. والفصاحة على أيّ حال مسألة نسبية في شتّى العصور، ولا يمكن ان يصونها الاستقرار والاغفاء حينما التطور العالمي ينادي بحاجات جديدة في كل شيء

ولسنا الآن بحمد الله في عصر جهل وانحطاط كعصر القول والنثر ، بل نحن في عصر بعث أكيد ، بل نهضة للغة العربية في معظم البلاد التي تعتبرها ألسنتها القومية ، وما ذلك الاّ بفضل التجدّد القوي والرغبة الصحيحة في نشر العلوم والآداب العصرية وإحياء القيّم العزيز من الآداب العربية الاصلية . وما دامت هذه النهضة يمدّها الاخلاص وحب الحق والتسامي يروح المعونة فهي متواصلة لا محالة ، وسيمّ خيرُها لسبةً مطردة النموّ — إن عاجلاً او آجلاً — من السبعين مليوناً بل يزيدون من الناطقين بالضاد . ولن تعرقل ذلك الاّ نزعة الجمود والرجعية العمياء التي تحسب إعزاز اللغة في المباهاة بماضيها ، حينما سعتها بل حياتها لا تتجلى بغير الاستعمال ، ولا يكون الاستعمال بالاقتصار على تكرار القديم المعاد وانما يكون بخدمة الثقافة العصرية قبل سواها، لان اللغة اساسيًّا وسيلة لا غاية وإن تكن موضع تقديرنا ومحبتنا . ومن هذا نستخلص ان كل من يتعاون على جعل اللغة تستوعب معارف العصر وآدابه في غير جمود ولا استهتار هو الذي يبرهن على سعتها بل يزيدها رحابة، وهو اولى من سواه بالفخر، واجدر بان يُصغى اليه في عطف ومؤازرة . كذلك نستخلص مما تقدّم ان كل حركة تنادي الابتداع في النقل والتعريب — متى كان ذلك بايدي القادرين عليه — انما هي حركة غاشمة تعزّ بثروة مبهمة مدفونة لا يمكن الانتفاع بها ، لان اللغة ليست معاجم ميتة بل هي ثقافة حية ذاتها الاثر تحملها المفردات والتعابير ولا يمكن ان تعيش الاخيرة بغير الاولى . وبهذا التطبيق وحده آمنّا بسعة العربية وليونتها وقابليتها للتجديد حينما دوّنت بها نفائس مدنيات شتى في غابر العصور شرقاً وغرباً، وحينما كانت أهلاً لإنجاب اعلام الفلاسفة وكبار العلماء وفحول الكتاب والشعراء المتصرفين اقدر تصرّف في اوضاعها استعمالاً واستحداثاً ، اشتقاقاً وتعريباً. واذا كان الماضي في أحايين كثيرة مرآة الحاضر فنحن لا نغالي اذا اعتقدنا ان هذه الحرية المعقولة في التعبير وفي تطويع اللغة لحاجات الزمان والمكان والثقافة هي التي زادت العربية في الماضي سعة على سعة وحققت انها كائن حيّ ، وهي الكفيلة في زمننا هذا بابلاغها كل ما تمنى لها من مكانة ومؤدد

٣ — المجامع اللغوية

اذا تتبعنا تاريخ تكوين مجامعنا اللغوية على حداثتها وجدنا أن أقوى البواعث على تأليفها هو روح الغيرة على كيان اللغة ، ولكنها غيرة تتسم بنزعة المحافظة والرجوع بنا الى مثابيها الأولى والتخلي عن الصلات الطالية ! والدليل على ذلك أن أكثر أعضاء هذه المجامع هم من فقهاء اللغة الثقليين الذين قد يعجزون عجزاً تاماً عن تطبيقها في مناحي العلوم والآداب، وبرغم ذلك تتصور الحكومات التي تقيم امثال هذه المجامع انها تكون خطيرة الاثر في الحياة الأدبية ، وانها سوف تجد من الادباء الذين يحترمون أنفسهم من يمكنه ان يستسيغ فيستعمل معظم بَلْهَ كلّ المصطلحات التي تنشط الى وضعها هذه المجامع. ولن يشقّ عليّ ضربُ الامثلة الصريحة تبياناً لهذه الضلالة ، ولكن ربما كان التلميح أكرم من التصريح في هذا الموقف . واذا صحّ ان نيّة الحكومة المصرية متجهة الى اتباع هذه الخطة العقيمة فان هذه الغلطة الجديدة سوف تستثير أسفنا المجدّد على ضياع الوقت والجهد والمال . على ان ما اعتقده في حصافة معالي لطفي بك السيد وحكمته وترجيحه بكل ملاحظة وجيهة أيًّا كان مصدرُها يشجعني على بسط هذا البيان ، راجياً في الوقت ذاته ان يكون ذا أثر خارج مصر وإن يكنْ ضئيلاً في أوله "

إذا اردنا أن تكون عمليّين جديين دون افتتان بالتقليد فعلينا ان نذكر ان حاجتنا من المحافل أو المجامع اللغوية في العالم العربي إنما هي تجديد شباب اللغة بحالة دائمة مع مجاراة تطور الزمن ، ثم هي الى جانب ذلك قيمة على توحيد المصطلحات الفنية المستعملة في الامم العربية . فلها إذاً وظيفة مزدوجة ذات صلة وثيقة بهيئات أدبية وعلمية شتى ، دعْ عنك صلاتها بشعوب متعددة . ومن أجل كل هذا أخالف من عملوا على ان تكون هذه المجامع هيئات معينة من قبل الحكومات ، وأرى ان تكون هيئات نيابية تمثل هيئات فكرية مختلفة لتكون فيها عناصر الادب والعلم ممثلة خير تمثيل ، إذْ ما من تعيين الا ويكون غالباً موضع اعتراض وربما وُجد ما هو افضل منهُ . وبعبارة اخرى لا فائدة من مجامع تتسلط على هيئات الثقافة في شعوبها وتحكم فيها ، وانما الخير كلُّ الخير في هذه المحافل اذا مثلت تلك الهيئات ، وكانت غايتها تضافر جهودها وتوحيدها ، ثم عملت من جهة اخرى على التعاون مع من تمثلهم

ولدينا في اللجنة اللغوية الطبية التي ألفتها (الجمعية الطبية المصرية) مثال جدير بالاحتذاء من الهيئات العلمية والادبية الاخرى . فمن الخير لنا ان توجد لجنة لغوية هندسية ، واخرى زراعية ، وغيرها صناعية الخ . ومن الفائدة المحققة ان توجد جمعية قوية لخدمة

فقه اللغة وأدبها العام . ومن هذه الهيئات القومية التمثيلية تستطيع الحكومة المصرية أن تطلب ارسال مندوبيها أعضاء في المجمع اللغوي العام، على أن يُحدَّد انتخاب هؤلاء المندوبين أو سواهم في مدد معينة . فاذا تحقق ذلك كان لمثل هذا المجمع كلمتهُ المسموعة في جميع دوائر العلم والادب التي يُستشَدُّ بها، لانهُ يمثل روحها الناهضة ولا يتحداها باملاء ارادته العمياء عليها

إن مجمعاً لغويًّا يؤلف بهذه الصورة يكون حقاً ذا قوة معنوية عظيمة ، لانهُ بمثابة هيئة تمثيلية لخير الكفايات اللغوية بين اهل العلم والادب ، وبهذه الخاصية يكون اهلا للاحترام الكلي من كل جانب ، فيغناه خادم جميع هذه الهيئات إذا مثلها المجمّل لانهُ رمز تضامنها وتعاونها ووحدتها المعنوية والفعلية . عليهِ ان يكون ذا صلة مستمرة بالهيئات التي عاونت الحكومة على تأليفهِ ليعبر عن آرائها وينفذ مقترحاتها ويعمل على التوفيق بينها بقدر الاستطاعة ، وعلى هذه الهيئات أن تمدَّ المجمع بنتائج بحوثها الخاصة وثمار جهودها ، وأن تعنى بتنفيذ مقترحاتهِ ايضاً ، وان تحترم قراراتهِ ، وبذلك يكون التعاون متبادلاً معقولاً وتلقيهُ محترمة مكفولاً لها التنفيذ والحياة كما هو شأن النُّظم التمثيلية القومية البعيدة عن ثائرة الاهواء الوقتية . وعندي ان مثل هذا المجمع هو الحلُّ الوحيد المعقول لمشاكلنا اللغوية الموزَّعة بين شتى الهيئات التي لم يجمع بينها حتى الآن روح التعاون. وقد مضى ربع قرن بل يزيد في التحدث عن المجامع اللغوية فلم نظفر في الماضي ولا في الحاضر في اي قطر من الاقطار العربية بمجمع شامل قوي الاساس قوامه التمثيل الصحيح لنواحي الثقافة لا الرغبة الشخصية لحاكم او وزير . وهكذا ما يزال العالم العربي محروماً تأليف الأكاديمية النيابية التي تستطيع وحدها ان تكون بعيدة الاثر في جميع فروع العلم والادب سواء مباشرة او غير مباشرة . وفي مقدمة الدوافع التي تحفزني الى كتابة هذه السطور ان اتوسل الى ذوي الرأي والنفوذ في الاقطار العربية أن ينظروا نظرة حرة جديدة في تهذيب المجامع الكائنة وذلك على اساس تمثيل الكفايات اللغوية بين اهل العلم والادب ، وأن لا يقدموا على تأليف سواها على غير هذا الاساس

٤ — مشكلة الترجمة والتعريب

ننتقل الآن الى مشكلة الترجمة والتعريب المرتبطة أشد الارتباط بالمجامع اللغوية فنقول إن الوهم الشائع هو أنَّ حلَّ هذه المشكلة مفتاحهُ تأليفُ مجمع لغوي في كل قطر عربي يقوم بوضع المصطلحات، وما على المعربين والمترجمين بعد ذلك الا متابعة قراراته وارشاداته ! وبغض النظر عن استحالة تنفيذ ذلك جهداً ووزناً بواسطة هيئة معينة اعضاؤها محصور

عددهم وكفاياتهم في لاشك فيه اننا نبني هنا على غير اساس صحيح، ونخلق للترجمة والتعريب مشكلة حيث لا توجد في الواقع مشكلة الا من جراء اضطرابنا وعدم نظرنا الى الامور نظراً مسدَّداً حتى التبس علينا الامر فغابت عنا الحقائق . إن عقدة المشكلة محصورة في تعوُّد شيوخنا التقاليد غير النيابة ، وافتئاتهم باصدار المراسيم واملاء رغباتهم ، ولو انهم بدأوا بالاساس المتواضع السليم لما تعقَّد البناء ولما شقَّ الاستمرار فيه . وبرغمي انني التفت ثانياً الى الوراء فأقول مكرراً ومفسِّراً إن عماد الترجمة والتعريب والتأليف حقاً هم المترجمون والمعربون والمؤلفون لا فقهاء اللغة النظريون . فلو اننا عنينا بتكوين الهيئات العلمية الادبية التي اشرت اليها سابقاً من الرجال الاكفاء المخلصين الذين يعملون للعلم والادب لا لذواتهم ، والذين يعتبرون من الواجب عليهم الاتصال الكلي بهيئاتهم ليستمدوا منها دائماً روحَ التجديد — لو اننا عُنينا حقَّ العناية بهذا الاساس لسهل علينا بعد ذلك حل مشكلة الترجمة والتعريب لانها في الواقع جزء من كل ، وهي مترتبة حتماً على تكوين ذلك الاساس . ستكون تلك الهيئات بمثابة لجان خارجية عاملة وسيكون المجمع المستمدُّ منها واسطةَ عقدها ، في حين ان ما خالف ذلك من نظام امرٌ غير طبيعيٍّ ولا يناسب احوالنا وحاجتنا على اقل تقدير : اذ ما معنى تعيين اعضاء المجمع اللغوي تعييناً ثم تقسيم اعضائه الى لجان داخلية ومطالبتهم بتكاليف لا قبل لهم باحتمالها الا مكابرة ، وارتقاب جولاتهم في مصطلحات العلوم والآداب وهم معها عظموا ضاف بفردهم ، مقطوعو الصلة بهيئات او بيئات محترمة لا يمتون اليها برابطة من التمثيل المباشر ، وبذلك يستمدون للتقصير والتحدي ايضاً ؟! لو اننا عُنينا خير عناية بتكوين ذلك الاساس وبُنيت عليه المجامع اللغوية لما بقي علينا سوى ربط هذه المجامع (التي تمثل اقطار العالم العربي) بعضها ببعض عن طريق المراسلة وعن طريق المؤتمرات السنوية . ويسرني ان اقول ان اساس هذه الفكرة التي عرضتُها من قبل على لجنة توحيد المصطلحات العلمية في الطب والعلوم المتصلة به قد لاقت تعضيداً اجماعيًّا بحيث عُهد الى شاعر القطرين الاستاذ خليل بك مطران بالترويج لها والدعوة الى قبولها في اثناء تجواله بلبنان وسورية في هذا الصيف

هذه هيئةٌ محترمة تجعل اساس نشاطها المبارك احترام آراء المتخصصين من اهل العلم خارجها برغم كونها في جملتها مؤلفة من ادباء متخصصين في فروع علوم الطب ، فتريد ان تعبر عن آرائهم وأن توفق بينها لا ان تكون آمرة مطاعة فيهم ، وتوافق من جهة أخرى على الاتصال الوثيق بنظيراتها من الهيئات المتخصصة في الاقطار العربية الاخرى ، حتى تضمن

بذلك التوحيد الاسم لجميع جهودها المشتركة تتضامن الفائدة وتهون الصعاب وتحل بذلك في جملة ما يحل مشكلة الترجمة والتعريب

***

ترجع هذه المشكلة المعضلة إذن الى النزعة الفردية التي لا تحترم غيرها وتعيش مع الغير أكثر لمن مصلحة الحاضر ، فنحن اننا في زمن تسود فيه النزعة العالمية والاتفاقات الدولية في أهم مرافق الحياة والفكر والعلم معاً ، بحيث اصبح من السخف ان نهج نهج الاسلاف في شؤون كثيرة مهما بلغ احترامنا لجهودهم العظيمة بالنسبة لأزمانهم

فاما عن الترجمة الادبية فلا غبار على نهجنا نهج السلف وتمكنا عن الأوضاع الشاذة أو المبتذلة ، ولا حاجة بنا الى التعريب الا حيثما دعت الضرورة الى ذلك ، بيد أن للادباء الناثرين والناظمين قبل سواهم حقّ تقرير هذه الحاجة ، وليس لمن يتصدّرون للامامة اللغوية حقّ الامر — وان كان لهم حقّ الاقتراح — ما داموا هم ابعد الناس عن تعرف هذه الحاجة بدليل انقطاعهم عن استعمال اللغة استعمالاً تطبيقيًّا واسعاً ، واقتصارهم على الفتاوى في اسرارها ، وليس هذا وحده كافياً للمعونة على اختيار النهج الاسد في الترجمة الادبية دع عنك صياغة التعابير العصرية المناسبة في فنون الادب . وهنا لابدّ لي من الاشارة الى التهاون الشائع في الترجمة اذ اصبح كثيرون يعدون الترجمة والتضمين امراً شيئاً واحداً ، وهذا يقضي على روح الامانة في النقل خصوصاً في ترجمة الشعر وتفاوت الآداب العربية ، ولم نسلم من هذا التشويه والعبث حتى آثار شكسبير !

واما عن الترجمة العلمية فأرى انهُ لابدَّ من تقسيمها الى قسمين :

(١) الترجمة المقصود بها تنوير الجمهور المتعلّم الذي يطلب العرفان لذاته ويريد ان يلمّ بالجديد في العلم إلماماً عامًّا ، وهذه ينبغي ان تكون جامعة للكثير من مترجمات الاصطلاحات بلغة سهلة ، دون التشبث بالاصطلاحات العلمية الدولية الا عند الحاجة القصوى . وفي هذا المجال قد نستفيد من معارف فقهاء اللغة في المجامع الرسمية وفي الهيئات الخارجية ايضاً ، وان كان العلماء المتخصّصون انفسهم لم يقتصروا الالتفات الى خدمة اللغة من هذه الناحية ، وجاءوا بمرادفات مترجمة قيمة جديرة باحترام فقهاء اللغة في عصرنا كما كان اسلافهم من قبل يحترمون نظائرها في عصورهم . واحسب انهُ لولا هذا الاحترام للاصطلاحات التي يجيزها المتخصصون ويستعملونها لما كان لابن سيده مثلاً ان ينجح في تأليف موسوعته (المخصص) . فعلينا إذن ان نرحّب بجهود الكرملي والسكندري وتيمور وجبر ضومط ومعلوف والمقدسي وغيرهم من أئمة اللغة في هذا المجال الرحب كما قدرنا من

قبل جهود دار العلوم ، ولنا اسوة في ذلك أساليب المجلات العلمية الفائقة بين جمهرة القراء مثل مجلة (Popular Science) ومجلة (Armchair Science) وغيرها ، دعْ عنك المصنفات العلمية العديدة المكتوبة بلغة الشعب المتعلم لجمهور المطّلعين. وأني اخالف الذين يحسبون من الحذلقة الكاذبة الاهتمام بوضع كلّ ما يُستطاع من مرادفات العديد من الالفاظ العلمية سواء ترجمة او تعريباً على القواعد المألوفة ، لأنّ لكلّ هذا فائدتهُ في تربية الجمهور فضلاً عن خدمة اللغة ذاتها ، واعدُّ من الخيانة لكرامة اللغة وتراثها العظيم التهاون في هذا الباب ، بل الأولى بأئمة اللغة ان يتواروا خجلاً اذا هم قصّروا في هذا الواجب وتركونا عالةً على ألسنة الغرب في غير ما حاجةٍ الى ذلك ، فنصبح عاجزين عن نشر المعارف ببيان فصيح بين الآلاف المتشوقين الى اغناء معارفهم .وقد كان رجال اللغة من المقصّرين فعلاً في مواقف كثيرة بحيث ان أكبر الفضل في خدمتها يرجع الى مجلاتنا المحترمة قبل رجوعه إليهم نظراً لتقاعد معظمهم وتهاونهم السابق، بينما هم لا يعترفون بفضل هذه المجلات العلمي في خدمة اللغة ، وهكذا كان موقفهم — للاسف — سلبيًّا ، وتبرّعاً لا حدّ لهُ بالنقد الهادم !

(٢) الترجمة العلمية الصميمة ، وهذه ينبغي أن تكون بأيدي العلماء المتخصّصين البصيرين باللغة ، بحيث يُبعَدُ من التطفّل غالباً تدخّلُ فقهاء اللغة بالحكم الجازم فيها. ولقد كانت للمجتهدين من علماء السلف طرائق شتى في الترجمة والتعريب وفي وضع المصطلحات، ولكنّ كلّ هذا انقضى زمنهُ وأصبحنا ازاء الترجمة العلمية الصميمة مقيدين بقيود من الثقافة الدولية أقرّها العلماء في كلّ امةٍ متقدّمة فأصبح من الفضول على العلم أن يعيبها ويتعرض بالاستهزاء لتفاصيلها من ليس من أهل العلم الصميم

ولا تعني الترجمة العلمية الصميمة الانتصار للعامية في الديباجة كما يتوهم بعض النقاد ، — وان كانت العامية في ذاتها موضع تقدير حتى في الادب الصرف كاساس لانواع من الاشتقاق والتعابير المستحدثة في الغرب ، وفي مقدمة أنصارها الكاتب المصري المشهور المستر كومبتون ماكنزي — فان فصاحة الديباجة السلسة مما يجب أن يُتوخّى في العلميات والاديبات على حدّ سواء ، ولكنها تعني الانتصار الحتم لنظام الاصطلاحات الدولي الذي يقضي بتضحية النزعات الاقليمية الخاصة فضلاً عن النزعات الفردية في سبيل توحيد المصطلحات العلمية في جميع البلاد ، بحيث أنّ من يتبع ذلك النظام تكون اصطلاحاته مفهومة في جميع الدوائر العلمية في العالم. وقد كانت الفوضى ضاربة أطنابها في التسمية حتى في تنس اوربا في علم الحيوان مثلاً حيث توجد آلافٌ من العائلات والاجناس

والانواع الحيوانية حتى جاء ليفيوس Linnaeus واقترح لنا سنة ١٧٥٨ م اساس القانون الدولي المتبع الآن في وضع اسمائها ، وأهمُّ ما يعنينا منهُ أن العائلات الحيوانية (families) يجب تحديدها ، وان هذه العائلات تقسَّم الى أجناس (genuses) وأنواع (species) الخ . . وأنا اذا ما وضعنا اسماً لحيوان مكتشف حديثاً فيجب بعد تعرُّف عائلته ان لا نكتفي بوضع اسم مفرد اللفظ لهُ ، بل يجب ان يكون اسمهُ مؤلفاً من اسم جنسه + اسم نوعه + اسم مكتشفه + تاريخ الاكتشاف . وبهذه الطريقة امتنعت الفوضى بتاتاً في هذا المجال . ولدينا الى جانب ذلك اتفاقات دولية حديثة نسبيًّا للاصطلاحات في علم التشريح وعلم البكتريولوجيا وغيرها ، وكلها تعتمد على اللغتين اللاتينية والاغريقية في الاشتقاق باعتبار ان هاتين اللغتين أصبحتا ملكاً للعالم وتراثاً من ثقافته القديمة ، وليستا خاصتين بشعب من الشعوب او بفريق منها . فاذا كنا ننظر الى مهجور اللغة العربية كتراث للاشتقاقات الادبية فلا يمكنا ان نعيش بمعزل عن العالم العلمي في التنكب عن قواعده للاشتقاق العلمي ، والاَّ كنا أشدَّ الخاسرين . واحسب ان هذا موضوع مفروغ منهُ في نظر كل مشتغل بالعلم اشتغالاً صحيحاً وإن كابرَ في ذلك مَنْ ليسوا من أهله ، ولا بدَّ من مراعاته في وضع المعاجم المستقبلة وما أكثر حاجتنا اليها والى تنوعها وتعدُّدها في جميع فروع العلم والادب

ولا تقتصر الحاجة في مجاراة العالم العلمي على اتِّباع صيغ النسبة المتفق عليها ، بل تشمل حتماً تعريب طائفة من التركيبات التي هي بمثابة اسماء جنس وهذه لا يمكن ترجمتها بل لا بدَّ من الحرص على اصولها ثم الاشتقاق منها . وكذلك بعض صيغ جديدة معرَّبة للنسبة (وقد استُعملت هذه الصيغ سابقاً في علم الكيمياء ، وآن استعمال نظائرها في علم البكتيريا وفي علوم اخرى) لانها تساعد على تحديد صفات المركبات او منزلة المسميات . ففي كلّ هذا يكون الجمود اللغوي خيانة للعلم ، كما انَّ تهيُّبَ استحداث المرادفات في اللغة الادبية لعلم العالم خيانة للغة . وكما انهُ لا يحق للعالم أن يعترض على الادباء اللغويين لتصرُّفهم هذا في مجالهم ، فكذلك لا يحقّ للاخيرين أن يعترضوا على ما لا يعنيهم في مجال العلم الصرف ما دامت أساليب لغة التعبير العامة مرعية محترمة

ومتى كانت هذه القواعد الاساسية ملحوظة مقدسةً لم يبق الاَّ الاتفاقُ على التفاصيل وعلى تنظيم مناحي النشاط الادبي والعلمي ، وهكذا نستطيع أن نتضافر الهيئات اللغوية المتخصصة والمجامع اللغوية الممثلة لها ، فتخدم بذلك اللغة والعلم والأدب في آن اجلَّ خدمة وأبقاها

الى الفرد ده موسه

صاحب الليالى

يا شاعر الليل والآلام والسقم ... هاجت لياليك ما اخفيه من ألم
تغلغلت في دماغي روحها وسرت ... منهُ الى القلب فاحتلت عروق دمي
أنا نظيرك رهن البؤس من صغري ... ومنهل الحزن والاسقام والنقم
لهف النفوس على الآهات ترسلها ... وويلها يوم تطويها يد العدم
هذي الليالي ليالي الدهر مظلمة ... اما « لياليك » فالكأة في الظلم
لم الف قبلك محزوناً على قلمٍ ... في مسمعي الشقا سيماء مبتسم
ولا سجيناً ظلام السجن يطربهُ ... ولا جريحاً يغني اطيب النغم

***

يا شاعر الحب والاحلام والامل ... جنت عليك لحاظ الاعين النجل
طوحت بالنفس مدفوعاً بشهوتها ... وغصت في لجج الآثام والخطل
سئمت دنياك فاستأنفت مرتحلاً ... يا ويح نفسك في حلٍّ ومرتحل
طلبت من زوات الحب آلهة ... وعدت ترقب عقباها على مهل
ورحت تطلب بالآلام مرحمةً ... فلم تعد بسوى الخذلان والفشل
شفت لياليك عن روح معذبةٍ ... تعالج اليأس بالآلام والامل
يا اسعدَ الخلقِ في يأسٍ يكابدهُ ... لي من عذابك سلوى اليائس الجذل

***

يا شاعر الامل المزوج باليأس ... ضاعت حياتك بين الطاس والكاس
يا لهف قلبي على نفسٍ مسهدةٍ ... اذابها فرط ايلام واحساس
هذي « لياليك » شعر الكون تجسمهُ ... وان تكن تنتظي من حكمة القاسي
نظمتها وسط آلامٍ مبرحةٍ ... وهي التي تبعث الآمال في الناس
شكوت في الارض بؤساها ومحنتها ... أتشتكي في ديار الخلد من باس
يا ثورةً من جيوش اليأس دامية ... فلّت جيوشك طاقاتٌ من الآس
يا نسمةً من رياح الحب وادعةً ... لقد تلاشيتِ انفاساً بانفاس

الكلية الوطنية في الشويفات

سمعان الدبس

آلة العيش صحة وشباب

الغدد واعادة الشباب

وإذا الشيخ قال افٍّ فما مـــــلّ حياةً وانما الضعف ملاّ
آلة العيش صحة وشباب فاذا ولّيا عن المرء ولّى

الا ليت الشباب يعود يوماً فاخبرهُ بما فعل المشيب

هكذا يتغنى الشعراء! ما ابلغ ما يتغنون به وما اوقعهُ في النفس!

على ان العلماء لا يكتفون بذلك فيبحثون عن اسباب الشيخوخة والضعف والموت ووسائل اتقائها او منعها. وقد اطلقوا على هذا النوع من البحث كلمة اعادة الشباب rejuvenation مع انها لا تؤدي المعنى العلمي المقصود كلّ التأدية لانها تبعث في الذهن صورة خلاّبة غير صحيحة لانقلاب عظيم في جسم الانسان ووظائف اعضائه وخصوصاً في اعادة النشاط الى اعضاء التناسل. ولكنهم لم يهتدوا الى كلمة ادق منها في التعبير عمّا يريدون فرأينا ان نستعمل ترجمتها هنا

والعناية بمسألة الشباب وعودهِ تدور في الغالب حول اسمين الاول هو الدكتور فورونوف الروسي المعروف في هذا القطر. والثاني الدكتور شتيناخ النمسوي استاذ علم وظائف الاعضاء في جامعة ڤينا الذي وقف السنين الاخيرة من حياته على درس فسيولوجية التناسل. وقد جرّبت تجارب شتيناخ اولاً في الجرذان. ومراقبة التغير في قوة الجرذان التناسلية أسهل من مراقبة التغير في بعض وظائفها الاخرى. لذلك ظن الناس وهم يقرأون اخبار شتيناخ، ان المقصود من عملية اعادة الشباب انما هو تجديد النشاط في اعضاء التناسل لاغير. ولكن ذلك يجب ان لا يوهم القارئين بان تجديد النشاط التناسلي هو الغرض الاول من مباحث العلماء في هذا الصدد وان كان هذا التجديد من اجلى مظاهرهِ في الحيوانات. على انهُ لا شك في ان بعض التجديد في قوة التناسل يعقب في الغالب التقدم العام في الصحة. وعلى كل حال لا يمكن تجديد قوة التناسل الاّ اذا تجدّد نشاط الجسم بوجهٍ عام على اثر العملية

الدكتور فورونوف

مقتطف يوليو ١٩٢٩
أمام الصفحة ١٧٧

على انهُ لا بدَّ من كلمة تحذير للقارئ مؤداها ان عملية « اعادة الشباب » ليست دواء ناجعاً لكل علل الجسم . فانها لا تستطيع ان تشفي عضواً مصاباً بالتلف في احد نواحيه ولا تمكن الانسان من ان يعيش الى الابد حتى ولا ان يعيش مائتي سنة كما يدعي فورونوف او كما تدعي الصحف عن فورونوف

ولكنها تؤدي في بعض الحوادث الى ازالة آثار الشيخوخة وتأخير الضعف والانحطاط. وقد كان من اثرها في الجرذان ان زادت عمر الجرذان في بعض الاحوال ٢٥ في المائة . ولا يعلم حتى الآن هل يستطاع اطالة عمر الانسان هذا المقدار . ولكن المعروف المقرَّر ان الوفاً من الرجال عولجوا بهذه العملية على ايدي جراحين مهرة فلم تترك المعالجة في احدهم اثراً ضاراً بل حسَّنت صحة المتعالجين في اكثر الاحوال

لقد لاحظ القارئ اننا لم نشمل الحذر اللازم في تأدية معاني هذا المقال لاننا لا نريد ان نفهم القراء ان عملية اعادة الشباب تشفي معي خرقة التيفوئيد او عظام كسرهُ الرصاص او تطيل حياة رجل هدَّهُ السكر والافراط الى مائة وخمسين سنة او مائتين. وهذا لا بدَّ منهُ في بحث لا يزال العلماء يتلمسون طريقهم في نواحيه تلمُّساً

***

يستدل من الاحصاءات الصحية العامة ان متوسط عمر الانسان تضاعف في القرنين الاخيرين وهذه الزيادة ترجع في المقام الاول الى السيطرة على الامراض المعدية كالجدري والطاعون وحمى التيفوس والكوليرا التي كانت تتفشى فتجرف ملايين الناس امامها . وفي المقام الثاني الى اصلاح المعامل الذي ادَّى الى تقليل امراض العمال كالسلّ وغيره . وفي المقام الثالث الى التقدم في طرق العلاج واساليب الجراحة وتطبيق مبادئ علم الصحة على المدن بوجهٍ خاص والارياف بوجه عام . ويؤخذ من احصاءات شركات التأمين الاميركية ان متوسط عمر الانسان زاد ١٢ سنة من اوائل هذا القرن الى الآن

ولا ريب في ان زيادة متوسط عمر الانسان سببها تقليل الوفيات بين الاطفال. ولكن الباحثين يؤكدون انهُ بعد حساب ذلك تبقى زيادة في متوسط العمر البشري لا بأس بها . وعدد الرجال والنساء الذين يجتازون سن الخمسين او الخامسة والاربعين اكثر الآن مما كان قبلاً . وهذا يعلِّل لنا ازدياد انتشار السرطان . فالسرطان داء يصيب في الغالب المتقدمين في السن. فاذا كان الناس يموتون في شرخ الشباب فالمرجح انهم لا يعيشون الى السن التي يتعرضون فيها للاصابة بالسرطان. اما عدد الناس الذين يبلغون هذه السن فيزداد

بارتقاء الطب والجراحة وعلم الصحة العامة والخاصة فاحتمال حدوث السرطان يزداد وفقاً لازدياد متوسط العمر البشري

ولكن مما يشك فيه ان تكون هذه الزيادة في متوسط العمر البشري مقرونة بزيادة في فترة النشاط العقلي والجسماني التي يتمتع بها الانسان. بل يذهب البعض الى ان الناس في هذا العصر يهرمون باكراً لكثرة مشاق الحياة في هذا الزمن المزدحم بالاعمال والمسؤوليات. لذلك يتساءل الاذكياء من الناس: ما الفائدة من اطالة الحياة اذا كان لا يصحبها اطالة في فترة النشاط الجسدي والعقلي — « والجنسي » ايضاً!

واهم امارات الضعف الناجم عن التقدم في السن هو قلة النشاط الجسدي والعقلي وضعف السمع والنظر والشيب وتقشر الجلد وغيرها. وهذه الدلائل التي يراها الناس وغيرها مما لا يراه الا الطبيب ناشئة عن تغيرات عضوية سببها تغير في افعال الجسم الحيوية

فصحة كل عضو من حيث بناؤه ووظيفته تتوقف مثلاً على مقدار الدم الذي يدور فيه ونوعه. ومقدار الدم يتوقف على حالة الاوعية الدموية كسعتها ومرونتها. وحالة الاوعية الدموية متصلة اتصالاً وثيقاً بالغدد الصماء. اما نوع الدم فيتوقف على صحة اعضاء الجسم لانه لا يخفى ان الدم يجب ان يحتوي على كل المواد الكيماوية التي تحتاج اليها اعضاء الجسم للغذاء والنمو وفوق ذلك يجب ان تكون النسبة بين مقادير هذه المواد في الجسم نسبة معينة حتى تكفل اقصى درجة من انتظام العمل. وبين هذه المواد الكيماوية بل واهمها مواد تعرف « بالهرمون » وهي المفرزات الداخلية التي تفرزها بعض الغدد الداخلية مباشرة الى الدم

الغاية من هذا المقال الاشارة الى اهم النقط في هذا البحث لان التبسط فيه يستغرق مجالاً لا يتسع له هذا المقام ولكن الفكرة التي نحاول رسمها هي هذه :— الجسم مجموع منتظم من الاعضاء التي يعتمد احدها على الآخر في القيام بوظائفها فاذا كان الدم الذي يرد على احدها ناقصاً في مقداره او محتوياته الحيوية لم يقم العضو بوظيفته قياماً كاملاً فيؤثر ذلك في بنائه. والخلل في عضو ينجم عنه خلل في عضو آخر لان كل الاعضاء مترابطة متلازمة من هذا القبيل. وهكذا يدب ديب الضعف والهرم في الجسم ويأخذ في الازدياد. فالرأي الاساسي الذي تقوم عليه حركة « اعادة الشباب » بل وجانب كبير من الطب الحديث هو ان الصحة تقوم على قاعدة ركنها الغدد الصماء

***

والغدة عضو يصنع من المواد التي يوصلها اليه الدم مادة كيماوية خاصة ثم يفرزها.

فبعض الغدد لهُ قناة تمرُّ فيها مفرزات الغدة الى خارج الجسم كما هي الحال في « غدد العرق » او الى بعض تجاويف الجسم كغدد اللعاب التي تفرز مفرزاتها في تجويف الفم وغدد الدمع في تجويف العين وغدد العصارة الهضمية في تجويف المعدة والكليتين وهما غدتان كبيرتان تفرزان في المثانة. هذه الغدد تعرف بالغدد المقناة ولكل منها مفرز خارجي

وهناك طائفة اخرى من الغدد لا قناة لها لنقل مفرزاتها تعرف بالغدد الاندوكرين وقد ترجمت الى اللغة العربية بالغدد الصماء لم تعرف وظيفة هذه الغدد واثرها في الصحة والمرض الاَّ من عهد قريب. فالمفرزات التي تفرزها هذه الغدد وتعرف بالمفرزات الداخلية او « الهرمون » لا تنتقل الى الجسم في قنوات خاصة لذلك ولكن الدم يمتزج بها حين يمرُّ في الاوعية الدموية التي تخترقها ثم ينقلها الى اعضاء الجسم والسجته فيختار كلٌّ منها ما يناسبهُ عن طريق الاوعية الدموية التي تمرُّ فيه . فيتضح لدينا اذاً ان اثر « الهرمون » او مفرزات الغدد الصماء واسع الانتشار وقد يصيب الاعضاء القريبة والبعيدة عن الغدة التي تفرزها على السواء . واشهر هذه الغدد الصماء الغدة النخية والغدة الصعترية وكلتاهما في الدماغ والغدة الدرقية في العنق والغدد التي فوق الكليتين ومكانهما يعرف من اسمهما

هذه الغدد صغيرة الحجم ولكن اثرها في الصحة خطير جداً فاذا اختلت احداها اضطربت الصحة اضطراباً عظيماً . فان اختل عمل الغدة النخية فقد يصاب صاحبها بالسمنة او بما يجعلهُ قزماً كالاقزام او ماردا بين المردة . واذا اختلَّ عمل الغدة الدرقية فقد يصاب صاحبها بالبله او بخبال او بلادة في العقل من جهة او قد تجعلهُ دقيق الاحساس سريع التأثر والاضطراب معرضاً لمرض القلب او اضطراب البصر من جهة اخرى . ولا يتسع مجال هذا المقال الموجز لبسط العلل التي تنشأ عما يصيب كل الغدد الصماء من الخلل

ومن الغدد ما لهُ مفرزات داخلية واخرى خارجية في آنٍ واحد. والبنكرياس اشهرها فمفرزاتهُ الخارجية تنقل في قناة الى الامعاء وتفعل فعلها في عمل الهضم . اما مفرزاتهُ الداخلية فتتصل بالدم مباشرة وتمكنهُ من تمثيل السكر والنشاء اللذين يمتصهما من الجهاز الهضمي. فاذا اختلَّ عمل البنكرياس ووقف عند افراز مفرزاته الداخلية اختلت عملية تمثيل السكر والنشاء واصيب الرجل بداء البول السكري . وقد وفق العلماء والاطباء منذ عهد قريب الى استخلاص مفرزات البنكرياس الداخلية من البقران وحقنها في دم المصابين بالبول السكري فتخفف اعراضهُ لانهُ تمكن الدم من تمثيل السكر والنشاء. وهذا هو الانسولين

***

اما الغدد التي تهمنا بنوع خاص في موضوع « اعادة الشباب » فهي الغدد الجنسية

وهي الخصيتان في الرجل والمبيضان في المرأة . ومع ان الغدد الجنسية لها مفرزات داخلية وخارجية في آنٍ واحد نراها تختلف عن هذا النوع من الغدد في ان مفرزاتها الخارجية تحتوي على احياء دقيقة هي الحيوط المنوية في الرجل والبيض في المرأة . واما المفرزات الداخلية فشبيهة بمفرزات اية غدة صماء

قلنا ان مفرزات الخصيتين تحتوي على الحيوط المنوية اي النطف التي تحتد بالبيضة التي يفرزها مبيضا المرأة كلَّ شهر ثم يدخلها الغذاء فتكبر وتنقسم وكل قسم منها يدخله الغذاء ويكبر وينقسم ثم تتنوع الاقسام حتى يتكوّن منها الانسان يديه ورجليه ورأسه وجلده وعضله وغضروفه ودمه وعصبه

اما مفرزات الخصيتين الداخلية فيظن انها العامل الاقوى في تعيين صفات الذكر الجسدية والنفسية واتجاه ميله الجنسي نحو الانثى . والمرجح ان فعلها ليس مباشراً اي انها لا تفعل مباشرة في تعيين هذه الصفات بل تثير الغدد الصماء الاخرى او تمنعها عن افرازها مادتها الخاصة وهذه بدورها تعيّن الصفات المذكورة

فعلماء الطب يحسبون الغدد الجنسية زعيمة جماعة الغدد الصماء تنظم عملها وتضبطه حسب مقتضيات الجسم الحي . فاذا كانت مفرزاتها ناقصة ظهر خلل في الجسم قد يكون جسدياً صرفاً او نفسياً صرفاً او جامعاً للاثنين . ومن وجوه هذا الخلل تأخر النمو الجنسي في فرد من الافراد او التخنث او الميل الى اللواط او الضعف الجنسي (المنانة) او الميل الى السمنة او التقزّم او ضخامة الجثة وعتوّها . والمظنون ان مفرزات هذه الغدد ترتبط ارتباطاً دقيقاً بقوة الجسم ونشاطه

لقد عرف الناس من ازمان بعيدة ان الخصيتين مرتبطتان ارتباطاً دقيقاً بالتناسل . وخطر ذات يوم على بال رجل ذكيّ ان يجرد عدوه من قوة التناسل بخصيه فنجم عن الخصي آثار لم تكن منتظرة . ذلك ان حيوية الخصيّ ضعفت ونشاطه خمد واخذ يسمن ويخمل ومال شعره الى السقوط وارتفعت نغمة صوته وفقد ميله الى الانثى . ونتائج الخصي في الحيوانات تقابل نتائجه في الانسان فالديك يفقد عرفه والايل قرونه التي تميزه . واثر عملية الخصي في الانسان تختلف باختلاف السن فاذا اجريت في فتى قبل بلوغه سن المراهقة نشأ الخصي طويل القامة نحيف البنية مستدق الاطراف . واذا اجريت بعد بلوغه سن المراهقة نشأ الخصي قصير القامة سمينها

اما افراز المبيضين الداخلي فله اثر في جسم الانثى شبيه باثر افراز الخصيتين في جسم

الرجل . فالبيضان زعيما طائفة الغدد الصماء في جسم المرأة ويسيطران بواسطتها على صفاتها الجسدية والعقلية . فاذا ازيل البيضان فقدت الانثى مقدرتها على التوليد وضمر ثدياها . اما انثى الحيوانات التي يستأصل بيضاها فتسمن وتميل الى الخمول وتبدو عليها بعض مظاهر الذكر لكن التغير في المرأة من هذا القبيل لا يلاحظ في الغالب

ومما لا ريب فيه ان ذكور كل نوع من الاحياء تختلف عن اناثه فوق ما بينهما من الاختلاف في الاعضاء الجنسية . وما على المتردد في الامر الا ان يذكر عرف الديك ولبدة الاسد وذيل الطاووس حتى تتجلى له هذه الفوارق . وعلاوة على هذا وذاك توجد فوارق في بناء الجسم — في طول الجسم ووزنه وقوة العظام وشكلها ، في الندبين والقصبة والصوت وفي الضلات ونسبة عظام الكتف الى عظام الحوض . كل هذه الفوارق لا تظهر في سن الطفولة ولا في سن الشيخوخة وتعرف بالصفات الجنسية الثانوية . فاذا خصي الطفل بجب خصيتي الذكر او استئصال مبيضي الفتاة لم تظهر هذه الفوارق بمظهرها الكامل

***

على ان الصفات الجنسية بنوع خاص اي اعضاء التناسل ووظائفها مرتبطة ارتباطاً لا انفصام له بالخصيتين والمبيضين فاذا استؤصلت ضمرت هذه الصفات . وقد عرف الناس ذلك من اقدم الازمان فقالوا اذا كان خصي الفتى يضعف فيه قوته الجنسية فلهذا لا تقوى فيه هذه القوة اذا اكل خصي الحيوانات . على انه يظهر ان عملية الهضم تتلف المواد الخاصة التي تفعل هذا الفعل العجيب . وفي سنة ١٨٤٩ اخذ برتولد ديكا وخصاه ثم غرس احدى خصيتيه في جدار معدته فنعه كذلك عن ان يفقد كل صفات الذكر كما كان يفقدها لو خصي ولم تغرس احدى خصيتيه فيه . ثبت بالتجربة ارتباط صفات الذكر الجنسية بالخصيتين . وسنة ١٨٨٩ جرب برون سيكار تجاربه باريس في خلاصة استخلصها من خصى كلب وحقنها في جسمه (برون سيكار) واجسام بعض الشيوخ وصرح بعد الحقن ان قوته الجسدية والعقلية والجنسية زادت وابتدع حينئذ لفظ rejeunissement اي «تجديد الشباب» فضحك منه كثيرون ولكن طائفة من الباحثين اتبعت خطواته فاختلفت النتائج التي حصلوا عليها باختلاف طرق تحضير خلاصة الغدد فعادوا يثنون بغرس الغدد

هذا هو الاساس العلمي الذي بنيت عليه مباحث تجديد الشباب . وفي الجزء القادم ان شاء الله نبسط للقراء ما بلغه الباحثون المعاصرون من النجاح في هذا البحث

هل تحل الحروف محل الحركات العربية

حديث خطير مع المستشرق الالماني الدكتور مورتز مستشار
وزارة الخارجية الالمانية في تعويض الحركات بحروف عربية

كانت الساعة ٨ مساء لما قابلت الدكتور مورتز المستشرق الالماني المشهور (الذي يعرفه المصريون منذ كان في دار الكتب الخديوية) في ردهة الاستقبال في هوتيل النما في القدس. جلسنا نتحادث عن الآثار العربية الاسلامية بالحرم وأنواع الخط الكوفي المكتوب على جدران قبة الصخرة والمسجد الاقصى ثم سرد تاريخ الخط العربي منذ نشأته الى الآن كما ذكره عطوفة الامير شكيب ارسلان في الجامعة العربية. فقلت له إن جميع ما تفضلتم به منشور بالجامعة وقدمت له المفاتيح فسر بها كثيراً. ثم دخل الخادم بالقهوة وبدأنا نشربها فقلت له أحب أن اطلعكم على مشروع لإبدال حروف عربية بالحركات لتكون الكتابة كاملة كما تكلم والقراءة أسهل وأضبط فيسهل نشر اللغة الفصحى بين الامم عامة والعرب خاصة

فما كدت انتهي من كلامي حتى شرب فنجان القهوة جرعة واحدة وقال بلهف وشوق عظيمين أرني كيف ذلك! فعرضت عليه صفحة فيها الحروف العربية المقترحة بدل الحركات وما يقرب من خمسين كلمة مكتوبة بالطريقة العادية ثم مكتوبة على اسلوب حلت فيه الحروف محل الحركات وقلت له ان الاقتراح مبني على الشروط الآتية:

١ — أن تكون جميع حروف الابجدية عربية سواء منها الحروف الاصلية والحروف النائبة عن الحركات ليبقى الاتصال موجوداً بين الكتابة المصرية والكتابة القديمة

٢ — أن تكون الحروف العربية بشكل واحد سواء في اول الكلمة أم في وسطها أم في آخرها فلا يكون سوى ابجدية عربية واحدة

٣ — أن تكون الابجدية العربية بشكل واحد للطبع والكتابة فلا تتغير

٤ — أن تكون الابجدية العربية بصورة يسهل معها كتابة الحروف منفصلة أم متصلة حسب الرغبة بدون تغير في شكلها

٥ — أن تكون الحروف النائبة عن الحركات عربية الشكل قابلة الاتصال بما قبلها وما بعدها تسهيلا للكتابة

٦ — أن تكتب الكلمة كاملة كما هو لفظها الفصيح فلا تحذف حرفاً ولا تزيد آخر تخلصاً من الالتباس والتشويش

وبعد بيان هذا الاقتراح وشروطه وفوائده طلبت منهُ ان يحفظ شكل الحروف الاربعة الثابتة عن الحركات بوضع دقائق لتسهل عليه قراءة الكلمات المكتوبة حسب الاقتراح فلما وصلنا الى الكلمة الثالثة حتى وجدتهُ يقرأ بسرعة عادية كأنهُ تعود هذه الكتابة منذ القديم فسرَّ لذلك كثيراً وقال اني مسرور جداً لما أراهُ في هذا الشرق العربي من النشاط والتجديد الصحيح ولا أحذ التطرف في التجديد كإبدال الحروف الافرنجية بالعربية لانهُ خطأ محض فأبدت كلامهُ بأن الحروف الافرنجية تقطع علاقتنا بماضينا المجيد فضلاً عن انها ناقصة لا تؤدي جميع الاصوات العربية فنحتاج في اصلاحها إلى مجهود أعظم جداً مما نحتاج اليهِ في إصلاح حروفنا العربية وهذا الذي جعلني اشتغل فيما عرضتهُ عليكم خدمة للغة العربية وغيرة عليها وإن لم أكن من فرسان هذه الحلبة. على اني بدأت اشتغل بهذا الموضوع منذ ٩ سنوات حينما كنت أعلم التهجئة للاطفال في بدء حياتي التعليمية فوجدت ان التلاميذ يلاقون مصاعب جمة من تعدد صور الحروف لاربعة اشكال (الشكل الاصلي، اول الكلمة، وسطها، آخرها) فضلاً عن انهم يدرسون أبجديتين معاً، أبجدية النسخ ليقرأوا في الكتب وأبجدية الرقعة ليكتبوا ما يملى عليهم أي انهُ يجب على الطفل الذي لا يتجاوز عمرهُ ٦ سنوات أن يدرس: ٤ (٢٨ نسخ + ٢٨ رقعة) = ٢٢٤ شكلاً للحروف ثم ٣ أشكال للحركات ومثلها للتنوين أي ٢٣٠ شكلاً للحروف والحركات ؟ ! ! . . لعمر الحق إن هذا من أصعب الامور على الرجل الكبير فكيف بالطفل الصغير ؟ ! !

ولكن بهذه الطريقة لا يحتاج إلاَّ الى دراسة ٣٢ شكلاً للحروف فيكتب ويقرأ كلُّ حرف منها بشكل واحد بسهولة واتقان وبذلك نكون قد وفرنا على الطالب من الوقت (تقريباً) الذي يصرفهُ لتعلم اشكال الحروف المتعددة من غير ان يتقن القراءة والكتابة ولا ينكر أن في هذه الطريقة اقتصاداً عظيماً إذ يقتصد من المجهود والوقت اللذين يصرفهما المعلم والتلميذ فيستثمر ذلك المجهود المقتصد والوقت في الحصول على تقدم آخر

وقد وجدت كذلك أن التلاميذ بعد ما كانوا يقرأون بسهولة حينما كانت الكتابة مشكولة بفضل أساليب التربية الحديثة أصبحوا لا يضبطون إلاَّ قراءة كلمة او كلمتين فقط من السطر في الكتابة غير المشكولة . فقال متعجباً ذلك ؟ ! فقلت لهُ لا تعجب من حال

هؤلاء الاطفال الموقرة عقولهم بما لا تطيق وكلٌّ منا قد جرب بنفسه أنهُ كثيراً ما يحتاج لضبط لفظة جديدة نمر عليه الى مراجعة القاموس (ولا يخفى ما في ذلك من ضياع الوقت والمشقة) وليس ذلك لتقصيرنا في التحصيل او لقلة عنايتنا . بل لاننا نكتب نصف او ثلث الكلمة التي نتكلمها وليس عندنا سليقة نعتمد عليها في ضبط ما نريد قراءتهُ كما هي الحال عند الامم الاخرى. هذه حالنا مع لغتنا فكيف حال الاعجمي الذي يريد ان يتعلم لغتنا أو الاعجمي الذي من مصلحتنا ان نعلمهُ إياها ؟! فقد جربت ذلك مع عدة أشخاص أجانب علمتهم القراءة والكتابة العربية فكانوا يتعلمون بنجاح ما داموا يدرسون مشكولاً ولكنهم حينما يبدأون بقراءة الكتابة غير المشكولة يتركون تعلم اللغة العربية متذمرين شديدي الاستغراب لاهمال العرب اصلاح الكتابة العربية

وما فائدتهم من المثابرة على القراءة المشكولة ما داموا مضطرين للقراءة في الجرائد والكتب والرسائل وكلها غير مشكولة ؟! فقال ولماذا لا تكتبون بالحروف المشكولة ؟ . فقلت لهُ ان الكتابة المشكولة تقتضي نفقات عظيمة منها :

(١) أن كتابة كل سطر تعني كتابة ٣ سطور في آن واحد (نفس الكلمة ثم النقط والحركات التي فوقها ثم التي تحتها . (٢) لان الحركات تحتاج لرفع اليد حين الكتابة بعدد حروف الكلمة او اكثر . (٣) لان القارئ والكاتب يضطران لقراءة وكتابة ٣ سطور في آن واحد ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضياع الوقت . (٤) صعوبة طبع الحروف المشكولة من وجهة مطبعية فنية . على ان الكتابة بالاقتراح المعروض عليكم خلو من هذه الصعوبات كلها فضلاً عن محسناتها الاخرى التي منها :

١ — كفاية تعلم ٣٢ شكلاً بدل ٢٣٠؟؟؟!! .. (٦) قابلية هذه الحروف للكتابة المتصلة او المنفصلة حسب الارادة سواء في الطبع او الرسائل (٣) كتابة الكلمات كاملة معبرة عن أصوات جميع حروفها فلا خوف من خطأ القراءة او الكتابة (٤) ان الكلمة تكتب دون احتياج لرفع القلم باكثر من ربع المرات التي يحتاج اليها في الكتابة المشكولة (٥) نقرأ ونكتب سطراً واحداً لا ثلاثة كما هو الحال بالخط المشكول (٦) ان الكتابة بحسب هذا الاقتراح لا تبعدنا عن ماضينا لانها نسجه وليست غريبة عنهُ (٧) القراءة والكتابة بحسب هذا الاقتراح تزيل صعوبة الهمزة في اول الكلمة ووسطها وآخرها (٨) تتخلص من عدم مطابقة صوت التنوين للاشكال التي يكتب بها (٩) إن هذه الطريقة تسهل نشر اللغة الفصحى بضبط اللفظ الصحيح واتقانه بين اهل البلاد العربية وبين من يتعلمها من الاجانب (١٠) التخلص من صعوبة تمييز الالف المقصورة عن الالف العادية

ولو لم يكن لهذا الاقتراح من حسنات سوى اجتناب نفقات الكتابة الحاضرة لكفى به ولهُ حسنات اخرى عدا اجتناب تلك العراقيل والقيود المانعة لانتشار اللغة الفصحى حتى بين اهلها !

فابتسم وقال إذن انت تتكلم عن تجربة قلت ولولا ذلك ولولا غيرتي على اللغة العربية لما كلفت نفسي عناء البحث في هـذا الموضوع الخطير ٩ سنوات على اني سأعرضهُ على المجامع العلمية في البلاد العربية بعد مراجعته للمرة الاخيرة واحضار النماذج الكافية فقال أحسنت اقرأ لي ماذا كُتب في الجامعة عن تاريخ الحروف فبدأت بقراءة مقدمة المقالة وشرع يقرأ معي وبعد قليل توقف عن القراءة عمداً النظر في المقالة فنظرت اليهِ لأرى ما سبب توقفهِ عن القراءة إذ قرأ كلة على غير لفظها الصحيح فقلت لهُ عفوكم يادكتور إن مثل هذا السبب دعاني لهذا الاقتراح فاذا كنتم وانتم من أعلام اللغة العربية تضطرون لتضييع الوقت بامعان النظر حتى تقرأوا كلة بصورة صحيحة فكيف بالآخرين الذين لم يصرفوا لتعلم العربية ما صرفتم من الجهد والمثابرة وبديهيٌ ان سبب ذلك ليس تقصيراً منكم استغفر الله ان يكون ذلك بل هو نقص في طريقة الكتابة فقد قال الرصافي شاعر العراق في النشرة الثالثة لجمعية « تعميم معارف واصلاح حروف جميق » في الامبراطورية العثمانية ص ٢٨ ما نصهُ :

« درست العربية زهاء عشر سنين على اعلم رجل بها ومارستها طول حياتي وحفظت كثيراً من شعر الاوائل فاستعنت بهِ على ضبط مفردات اللغة وقلت الشعر حتى زعم بعض الناس اني اجيده كل ذلك وأنا اليوم اذا قرأت كتاباً او قصيدة من الشعر فلا آمن الخطأ عند قراءتها اللهم الاَّ في الكلمات التي كان لي سابق معرفة بها . هبني اعتصمت من الخطأ في اعراب اواخر الكلمات بما اعرفهُ من قواعد علم النحو ولكن بماذا اعتصم من الخطأ في اوائلها او اواسطها سواء اكانت من الاسماء او من الافعال الثلاثية ومصادرها فان امر هذه الكلمات كلها راجع الى السماع وما تعرفهُ من قواعد الصرف لا يجدي نفعاً ولا يغني من الرجوع فيها الى السماع شيئاً . فيجب اولاً أن أعرف كل كلة على حدة بمراجعة معاجم اللغة واحفظها في ذاكرتي حتى يتسنى لي أن أقرأها على وجه الصحة عند ما اصادفها في كتاب او في قصيدة وذلك مالا استطيعهُ أنا ولا غيري من الناس إذ لا شك ان الاحاطة بكل مفردات العربية مع ضبط الحركات متعذر على اقوى ذاكرة في الانسان . أجل إن ذلك متعذر إلا على السليقة التي كان العرب الخُلَّص بها يعرفون لغتهم وتلك السليقة معدومة

اليوم البتة . ولو كنت وحدي مخطئاً في القراءة لحملت ذلك على جهلي بالعربية وفرط غباوتي عنها ولكني حضرت مجالس علمائها الكبار وجالست منهم من يعد ابن بجدتها فرأيتهم يخطئون مثلي حذو القذة بالقذة

« فعرفت ان هذا الخطأ لم يكن من جهل وأدركت ان هنالك ثلمة يجب سدها وأن الأوائل قد أدركوا هذه الثلمة وفطنوا لها إذ حاولوا سد خللها بالشكل وجعل الكتابة مشكولة غير ان عملهم هذا كان خداعاً وسعيهم عاد مخفقاً لأن في الشكل من الصعوبة وخصوصاً على المؤلفين والمترسلين ما دعا الى تركه إلا في القرآن الذي قد يؤول الخطأ في قراءة الفاظه الى الكفر . ومن اجل تلك الصعوبة نرى كتب القوم غير مشكولة على أن هذه الصعوبة قد اصبحت متضاعفة في المطبوعات فإن علامات الشكل تستلزم متاعب جمة في الطباعة كما هو معلوم لدى اهل هذه الحرفة

« وقصارى القول ان فن القراءة عندنا من أصعب الفنون لتوقفه على انهم المتوقف على القراءة. وبهذا يظهر الفرق في هذه المسألة بيننا وبين غيرنا من الامم الراقية في العصر الحاضر وذلك اننا نفهم لنقرأ وغيرنا يقرأ ليفهم ؟ . . . . » معروف الرصافي

***

قد تركت بقية مقال شاعر العراق الاكبر لأن الاستشهاد به قد تم والمقام قد ضاق وان كان في بقيتها استشهاد اعظم على أنها من جهة اخرى توضح السبب الذي يعوق نشر اللغة الفصحى بين العامة حتى المتعلمين من ابنائها إذ ما الفائدة من قراءة الكتب والجرائد والمجلات العربية قراءة غير صحيحة ؟ !

ثم ترك الجريدة من يده وقال كل ذلك حسن فإذا توفقت في نشر هذه الكتابة في القدس فكيف يكتب أهل بغداد ودمشق والقاهرة فقلت له تعلمون ياحضرة الدكتور ان هذا الاقتراح يمس الامة العربية بل امم العالم الاسلامي بأسرها فلا بد من عرضه على المجامع العربية كما ذكرت لكم سابقاً وهذه الهيئات صاحبة الاختصاص في الموضوع تأخذ على عاتقها النظر في هذا الاصلاح من جميع وجوهه وطرق تنفيذه فقال أوتعتمد على المجامع ؟ ماذ تفعل المجامع ؟ أنا أعرف المجامع ودرجة تأثيرها . عندنا مثل الالماني يقول «من المستحيل أن تجمع الناس تحت ربطة واحدة » (كناية عن ان الناس لايجتمعون على رأي واحد)

فقلت حسن ما تقول فهل كان الخط معجماً في صدر الاسلام فقال كلا واول ما اعجم

من الحروف هو الباء. فقلت وما الدافع الذي جعلهم يجعلون الحروف فيما بعد؟ قال ضبطاً لالفاظ القرآن الكريم خاصة واللغة العربية عامة. فسألتهُ وهل كان الخط مشكولاً؟ قال كلاَّ بل شكل فيما بعد والدافع لذلك ايضاً هو الدافع السابق نفسهُ

فقلت وكيف اجتمع العرب والمسلمون تحت « بريطة » التنقيط (على حد المثل الالماني) ثم الشكل ولا يجتمعون تحت « بريطة » الحروف العربية الناتجة عن الحركات والدافع لهذا هو نفس الدافع للتنقيط والشكل والنية حسنة والعمل حسن

فسكت سكوت من لزمتهُ الحجة برهة ثم قال هل تفكر بأن اصحاب الجرائد والمجلات سيكتبون بهذه الحروف الاربعة الناتجة عن الحركات فقلت لهُ متى اقتنعوا بفائدتها وسهولتها للطبع والقراءة اتبعوها لان سهولة القراءة في الكتابة الجديدة سوف تكثر من قراء الجرائد والمجلات والكتب وطريقة الكتابة هذه لا تكلف اصحاب المطابع شراء حروف جديدة أو دراسة أبجدية جديدة كما حدث في تركيا لان الحروف موجودة من الاصل

ثم قال وكيف تكتب القرآن الكريم وتقرؤهُ فقلت لهُ بهذه الحروف لانها عربية كالحروف الاخرى. ثم قال تظنُّ ان رجال الدين يقبلون كتابة القرآن الكريم وقراءتهُ بهذه الحروف؟ فقلت وما المانع من ذلك أليست هذه الحروف هي نفس الحروف المطبوع بها القرآن الكريم الموجود الآن في جميع انحاء العالم وهل حينما نزل الوحي كتب بهذه الحروف؟ فقال كلا بل بالكوفي. قلت وهل كان القرآن منجماً كما هو الآن؟ قال كلا بل اعجموه وشكلوهُ حينما اختلط العرب بالاعاجم وخيف ان يعلق فهم القرآن الكريم على المسلمين. فقلت ونحن نفعل مثلما فعل آباؤنا في صدر الاسلام لضبط الفاظ القرآن بصورة صحيحة وعدم الاشتباه بقراءتها. فقال انك ستلاقي صعوبات جمة في هذا السبيل وان كانت النية حسنة والعمل حسن فقلت لهُ « لا بد دون الشهد من ابر النحل » ثم استأذنتهُ بنشر الحديث باحدى المجلات العربية خدمة للغة العربية فاذن بكل لطف ورغبة في ذلك وكان العقرب يعانق الدقيقة العاشرة بعد الساعة الثامنة مساء فاستأذنتهُ بالانصراف شاكراً لطفه وخدمتهُ اللغة العربية بجد وثبات فقال لقد صرت ممنوناً جداً لهذه المقابلة والبحث في اهم موضوع يلذ لي البحث فيه وارجو ان توافيني بالحالات التي يمر بها هذا الاقتراح بعنواني هذا وقدم لي بطاقة باسمهِ وعنوانهِ فشكرت لهُ ذلك

جزيل الشكر وقت مودعاً القدس ابن ابي سلمى

القرآن والبحر [1]

لقد اشار الاستاذ هـ باور (H. Bauer) في مقالة نشرها في احد اجزاء الانسكلوبيديا الاسلامية عن كلمة « فُلْك » الواردة في القرآن بمعنى السفينة او القارب الى ما كان لجريان الافلاك في البحر من قوة التأثير على محمد وقال هناك انهُ يظهر من بعض مواضع في القرآن [2] ان النبي العربي كان يرى في تسخير امواج البحر للناس وحملها لسفنهم المصنوعة بايديهم آيات شاهدات على رحمة الله . وقد كان في وسع الاستاذ باور ان يزيد على ذلك ان تصورات القرآن عن البحر وعواصفه تمتاز بشدة جلائها وقوة وصفها وان محمداً الذي لم يعرف بسعة تخيلاته في وصف الطبيعة حتى في وصف جنات النعيم صور لنا تصويراً جليًّا ذا حياة جريان الافلاك في البحر (النحل ١٤) وتسيير الله للناس فيه ويصف فرحهم وهم في الفلك « تجري بهم بريح طيبة » وشدة خوفهم « اذا جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان » (يونس ٢٢) ويشبه حياة الكفار « بسراب بقيعة » او « بظلمات في بحر لجيّ يغشاهُ موج من فوقهِ موج من فوقهِ سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها » (النور ٤)

انا لسوء الحظ لا نجد في السيرة النبوية التي لا تزال الابحاث الحديثة تزعزع ثقتنا بها مواداً كافية نقدر معها ان نجيب عن السؤال الآتي وهو كيف ومتى تحصلت لدى محمد تصوراتهُ الجلية عن البحر وعواصفه وهذا السؤال في نظري على جانب عظيم من الاهمية لان وصف البحر وماله علاقة بالبحريين الموضوعات التي لم يطرقها الشعر العربي وعلى الاخص الجاهلي منهُ

من المعلوم ان اصحاب السيرة النبوية لا يذكرون عن رحلات النبي البحرية او رحلاته الى احد شواطئ البحر شيئاً بل هم لا يذكرون شيئاً عن زيارته للعراق القريبة من مكة كجدة وشعيب (يذكر الطبري ١ : ١١٣٥ المرفأ الاول في حديثه عن السفينة اليونانية التي القتها الامواج على ساحل البحر واستفادت منها قريش يوم جددت بناء الكعبة ويذكر المرفأ الثاني في حديثه عن هجرة المسلمين الاولى الى بلاد الحبش وهذا المرفأ كان الى جنوب جدة [3]) نعم ان السيرة تحدث عن رحلة النبي الى سوريا في قافلة لعمه أبي طالب ثم في قافلة

---

(١) للاستاذ العلامة ڤيلي بارتولد (W. Barthold) عضواً كاديمية بطرسبرج العلمية نقلها الى العربية الاستاذ بندلي الجوزي (٢) وذكر منها : ابرهيم ٣٢ والنحل ١٤ والاسراء ٦٩ ولقمان ٣١ وفاطر ١٢ (٣) ج ٦ ص ١٤٨ و ١٩٣ (من طبعة ليدن)

اخرى لخديجة التي تزوجها بعد ذلك الا انها لا تذكر شيئاً عن مجيء النبي الى غزة مثلاً وهي اقرب مدن سوريا البحرية الى بلاد العرب حيث صاروا بعد الاسلام يزورون قبر هاشم جد محمد الا ان رحلة النبي الى سوريا هي من التفاصيل التي يشك في صحتها العلماء المتأخرون ومنهم الاب Lammens [1] الذي حار كيف يوفق بين ضآلة التخيلات التي أبداها النبي في وصف جنات عدن وقوتها في تصوير البحر وعواصفه Comment consilier cette indigence descriptive avec l'hypothèse de ses voyages en Syrie? لا تنكر ان هرشفلد [2] احد المستشرقين المعاصرين يظن ان الآية القرآنية (الصافات ١٣٧ و١٣٨) الذي يقول فيها محمد للقريشيين — بعد ان وصف لهم هلاك اصحاب لوط — « وانكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل » تدل على معرفة النبي لاحد شواطئ البحر الميت . الا ان هذا الرأي ضعيف وغير مقنع ومثله الحديث الذي ورد ذكره في السيرة ورواه ابن سعد والواقدي عن الزهري وهو ان محمداً صحب قافلة لخديجة الى سوق حباشة في تهامة (وتهامة عند العرب [3] هي الارض الحارّة المسايرة للبحر يُضمّ اليها احياناً بعض القرى البعيدة قليلاً عن البحر ككلّة مثلاً) الا ان سوق حباشة لم يذكر بين المواقع البحرية بل لم يحددوا مكانه فهذا ياقوت الحموي لا يعرف عن حباشة الا ما جاء في الحديث المذكور آنفاً والمرفوع الى الزهري. وفي كتاب لابي عبيدة حيث دعيت سوق حباشة بسوق قينقاع اي قبيلة بني قينقاع اليهودية التي كانت نازلة في المدينة والتي طردها النبي بعد ذلك منها . على انهُ لم يقم حتى الآن دليل على ان اولئك اليهود ، وهم سكان المدينة ومحترفوها الذين لم تكن لهم اراض، كانوا يسكنون شواطىء البحر او انهم كانوا على الاقل يتاجرون هناك

ان كلة بحر العربية (ومثلها كلة دريا الفارسية) تدل على البحر والنهر الكبير كما يظهر ذلك جليًّا من الآية « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً » (الفرقان ٥٣) ومن الآية « وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابهُ وهذا ملح اجاج ومن كلٍّ تأكلون لحماً طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر... » (فاطر ١٢) ثم من اقوال المفسرين وقد قيل في الآية الاولى « ان الله جعل بين البحرين برزخاً وحجراً محجوراً » ووردت فيها كلة فُرات بمعنى عذب وفرات كما هو معلوم اسم النهر المعروف فاذا اعتبرنا كل ذلك جاز

(١) « مهد الاسلام » (في القرناوية) ج ١ ص ٩٠

(٢) انظر كتابه : New researches into the composition and exegeris of the Qoran, 28:

(٣) اطلب في معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ك ١ ص ٩٠١ — ٩٠٣ م

لنا ان نقول ان الجناس المذكور (فُرات — الفرات) لم يجئ هنا عفواً وان محمداً أراد من الآية الثانية التي ذكر فيها ان الناس يستخرجون من البحرين — العذب والملح — ما يحتاجون اليه من الحلي الاقلاك التي كانت تمخر في بحر الهند او في خليج العجم وفي الفرات فاذا صحّ هذا الافتراض كان البرزخ الذي اقامهُ الله بين البحرين هي تلك الرمال التي كانت تفصل الفرات عن خليج العجم يؤيد ذلك ان اكبر شعبة للفرات كانت وتتفرع الشعبة الغربية وهي التي كانت تجري امام الحيرة وتنور في البطائح وان الشعب الصغيرة فقط كانت تبلغ دجلة وتتحد معهُ قبل ان يصب في البحر. ومعلوم ايضاً ان كتبة العرب كانوا حتى في العصرين التاسع والعاشر يعتقدون خطأ ان المسافة بين الحيرة والبحر حديثة العهد وان الحيرة كانت في الاعصر السابقة مرفأ على شاطئ البحر وعليه وبما ان محمداً كان يعرف بعض القرى الواقعة على شاطئ الفرات وقد ذكر منها (البقرة ٥٨) مدينة بابل وهي المدينة الوحيدة بعد مصر التي ورد ذكرها في القرآن من المدن الواقعة خارج جزيرة العرب يجوز لنا أن نفترض ان محمداً اراد بالبحرين في الآيتين المذكورتين سابقاً نهر الفرات وبحر الهند

وانها لجديرة بالاعتبار تلك الرابطة المعنوية التي جعلها القرآن بين الملاحة وبين عبادة الله الاحد وقد سبق الاستاذ مكدونلد Macdonald فنبّه في مقالة عن « الله » نشرها في الانسكلوبيذيا الاسلامية أن سكان مكة كانوا يلجأون الى الله وهم في اشد حالات الخطر وقد استشهد على ذلك ببعض الآيات ومنها « ثم اذا مسكم الضرّ فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون » (النحل ٥٣ و٥٤) الاّ انهُ يؤخذ من اربع آيات اخرى (يونس ٢٢ الاسرى او بنو اسرائيل ٦٩ الفرقان ٦٥ ولقمان ٣١) ان استغاثة الناس بالله واعطائهم الوعود بان لا يعبدوا الاّ الله وحدهُ كانا يكونان في ساعات الخطر من العواصف البحرية وان عودهم الى الشرك كان يحدث بعد وصولهم الى البرّ يؤيد ذلك ويستظهرهُ حكاية رواها الطبري في تاريخه (١ : ١٦٤) عن ابن اسحاق ولم يذكرها ابن هشام ولهذا لم يستفد منها A. Sprenger (١) ولا تداولتها ايدي علماء اوربا. وخلاصة هذه الحكاية ان عكرمة ابن ابي جهل احد اعداء محمد الالداء (٢) الذين لم

(١) مؤلف كتاب « حياة محمد وتعاليمه » واحد مشهوري المستشرقين . م

(٢) وهو الذي عناه حسان بن ثابت في بيته :

فلا تأمنا يا ابن أم مجالد اذا اقتحمت حرب واعصل نابها

(انظر ديوانه طبع H. Hirschfeld ص ٦٤) ورواه ابن هشام (٣ : ٢٣٩)

فلا تأمنا يا ابن ام مجالد اذا اختبطت حرباً واعصل نابها

يشملهم العفو يوم الفتح اراد ان يذهب الى البحر ليلحق بالحبشة قال « فلما اقتربت من السفينة لاركبها قال لي صاحبها لا تركب السفينة يا عبد الله حتى تقر بوحدة الله وتكفر بجميع الآلهة فاني اخاف ان انت لم تفعل هذا ان تهلك في السفينة فقلت له هل لا يركب احد البحر الا اذا اعترف بوحدة الله وجحد كل اله دونه [1] فقال نعم لا احد يركب البحر الا اذا كان له ايمان صادق فقلت اذن مالي افارق محمداً وقد جاءنا بذات الشيء ان الآلهنا في البحر هو والله نفس الآلهنا في البر وعندها عرفت الاسلام ودخل قلبي »

ولا حاجة لان نبين للقارىء ان هذه الحكاية التي يعزونها الى عكرمة لا تستند على ادلة ثابتة والاصح انها مختلقة او محرفة وذلك لان عكرمة كما هو معلوم قد نالهُ العفو يوم الفتح بواسطة امرأته ام حكيم التي اعتنقت الاسلام قبله وقد جاء في رواية اخرى انها ذهبت تطلب زوجها الذي فرّ الى اليمن واتت به الى النبي وجاءت في رواية ثالثة مأخوذة عن كتاب لموسى بن عقبة احد اسلاف ابن اسحاق حكاية عن الواقدي تفاصيل تختلف عما سبق قيل فيها ان ام حكيم بعد ان نالت العفو لزوجها من النبي ذهبت تطلبهُ فوجدتهُ في احدى قرى تهامة الواقعة على شاطىء البحر وقد ركب السفينة فاخذت تلوّح بيدها وتقول «يا بن عمي اني اتيتك من ارحم الناس ومن ابر الناس ومن خير الناس فلا تهلك نفسك وقد طلبت لك العفو منهُ فعفا عنك ». فقال لها عكرمة هل فعلت هذا ؟ فقالت « نعم فعلت وجدتهُ عنك فعفا عنك » فعاد عكرمة معها ولما اقترب من مكة قال رسول الله لاصحابه « لقد جاءكم عكرمة ابن ابي جهل مؤمناً ومهاجراً فلا تسبوا اباهُ لان سبّ الميت يؤذي الحيّ ولا يصيب الميت » ثم ذكر بعد ذلك مقابلة عكرمة لمحمد

الا انهُ يؤخذ من كلام اليعقوبي المؤرخ الشيعي (٣ : ٦٣) ان عكرمة لم يهرب من مكة بل لم تتوجهُ الظروف الى ذلك فقد ذكر المؤرخ المذكور ان النبي امر بعد فتح مكة بلالاً ان يصعد الى سطح الكعبة ويؤذن فلما سمع القرشيون الاذان اكبروهُ وقال عكرمة ابن ابي جهل وخالد ابن اسيد « بلال بجأر فوق الكعبة » وقال غيرهم مثل ذلك فارسل رسول الله اليهم رجلاً فقالوا لهُ « نعم قد قلنا هذا وانا لنستغفر الله على ذلك » فقال محمد اني والله لا اعلم ماذا اقول لكم . قد حان وقت الصلاة فمن اقامها منكم فليس عليهِ من حرج ومن لم يقمها فاني لمقدّمهُ وقاطع رأسه » فيستنتج من هذا الحديث ان عكرمة

(١) انظر ايضاً كتاب المغازي للواقدي ج ٥ ص ٤١٠

حضر اول صلاة اقامها النبي في الكعبة [١]

ويقرب من هذا الحديث — حتى في عباراته — حديث آخر عن هرب عكرمة لابن اسحاق ذكر فيه هرب رجل آخر من القرشيين وهو صفوان بن امية نسيب النبي (كانت ام محمد بنت جدّ صفوان) قال ابن اسحاق « ان صفوان بن امية خرج يريد جدة ليركب منها (بحراً) الى اليمن فطلب عمير بن وهب (احد اقرباء صفوان وخال النبي) الى محمد ان يؤمنهُ فأمنهُ فخرج عمير يطلب صفوان حتى ادركهُ وهو يريد ان يركب في البحر فقال « يا صفوان فداك ابي وامي الله الله في نفسك ان تهلكها » واخبرهُ انهُ جاء « من ابن عمه محمد افضل الناس وابرّ الناس واحلم الناس وخير الناس عزّه عزّك وشرفه شرفك وملكهُ ملكك » فانتنع صفوان — بعد ان تردّد قليلاً — بصحة كلام عمير وعاد معهُ الى محمد [٢] »

فلو عرضنا هذه الاحاديث بعضها على بعض لتبين لنا منها مقدار عنصر « الاختلاق الادبي » الذي ادخلهُ الكتبة المتأخرون حتى على الاخبار المتعلقة بسني حياة النبي الاخيرة ناهيك عن التي لها علاقة بالدور المكي من حياته ومع ذلك فاننا نجد بين الحكاية المنسوبة الى عكرمة وبين الآيات القرآنية التي اوردناها سابقاً عن استنانة العرب بالله تعالى في البحر وعودهم الى الشرك في البر مقارنة ظاهرة حتى لو عددنا الحكاية المذكورة من مبتكرات الخيال . وقد يجوز ان تقل الركاب من جزيرة العرب الى الشاطىء المقابل لها في البحر الاحمر كان وقتئذ في ايدي الحبش المسيحيين وان هؤلاء كانوا يخافون ان يصيبهم غضب الله ان وجد في قاربهم رجل مشرك. فان صحّ هذا الافتراض كان لنا في الآيات المذكورة دليل جديد على ان تصورات محمد عن الله تكوّنت تحت تأثير الفكرة المسيحية عن وحدة الله لا الفكرة اليهودية وهو ما تؤيدهُ كل يوم الابحاث العلمية عن منشأ الاسلام وتاريخ الدور الاول منهُ

---

(١) انظر ابن هشام — السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ من الطبعة المصرية والطبري ١ : ١٦٤٤ — (٢) ومما نعرفه عن عكرمة بعد اسلامه انه اشترك في قتال اهالي عمان حين ارتدوا في خلافة ابي بكر واصابوا منهم مغنماً وقتل جرماً ثم اشترك بعد انصرافه من عمان في قتال بني وليعة والاشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي وقاتل الروم يوم اجنادين فقتل هناك مع من قتل من المسلمين اما امرأته ام حكيم فانها تزوجت بعده خالد بن سعيد بن العاصي بن امية فقتل في معركة يوم المرج (سنة ٦٣٦) فلما بنيها معاوية انتزعت عمود الفسطاط فقاتلت به « فيقال انها قتلت يومئذ سبعة نفر وان بها لرمق الخلق » (فتوح البلدان ص ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٠٢، ٤١٤، ١١٨) م

سوريا ولبنان في نظر الغرب

خلاصة لاشهر الكتب الفرنسية

رواد الشرق

هذا هو كتاب بوردو الثاني في مجلدين ضخمين . رائع قيم . لم يقم قبلهُ بمثله أحد . لقد اودعهُ ذكر اهم الاهم من الذين زاروا سوريا منذ عهد الصليبية الى يومنا هذا . ففي المجلد الاول يحدثنا عن الحجاج الى الاراضي المقدسة قبل الصليبية كوالد وليم النورماندي، الملقب بالفاتح . والذي مات وهو في طريق رجوعه . يحدثنا عن كبار افراد الصليبيين . عن بوهيمند الثاني . عن ريمون دا كنان، وريتو دي شاتيلون ، وجود فروى دي بويون وغيرهم من كبار وعظماء . ولا يحدثنا فقط عنهم بل عن صلاح الدين ايضاً . عن اشياء يجهلها اكثرنا اتم الجهل . يحدثنا عن اسبلاء الصليبيين على اكثر انحاء سوريا ثم انسحابهم منها. ولا يقف عند ذلك . بل يتلوه بحث مستفيض مملوء لذة وفائدة . عمن تلاهم من العظماء ، كنابليون وشاتوبريان ووليم ري ، ودي فوجيه . والبرنسيس دي بلجيوزو ، واللادي استر ستانهوب، وريتان وغليوم الثاني ورينه بازان وسواهم . وفي مجلده الثاني عن ثلاثة فقط اتخذهم موضوعاً لبحث طريف هم لامرتين . وميشو، وموريس بارس . . . . ولكن هيهات ! انني لي ان اصف ما فيه ! ماذا انقل بل ماذا اهمل ! كلهُ مفيد وكلهُ جميل لذيذ ! لقد ملأ بوردو كتابهُ هذا بمستندات، ومعلومات ثمينة. وبحث في كتب تفيد تاريخ سوريا فائدة جلى . خصوصاً في عهد الصليبيين الذي قلما نعرف عنهُ في الشرق شيئاً إلاَّ ما قرأناهُ في امثال ابن جبير وصلاح بن يحيى وامثالها . جميع هذه سبكها في قالب بليغ يشهي القلوب. وكتابهُ ايضاً ليس كتلك الكتب التي يشحنها ويكدسها اصحابها بالمستندات ، وباسلوب جاف خشن يدعو الى السآمة والملل . فما يقرأ الانسان صفحة منها حتى يلقيها في زاوية النسيان فهي لهُ درس عنيف يستلزم جهداً وعناء وبذل فكر . لا ! فكتاب بوردو كلهُ حياة وبهجة. ان قارئهُ لا يملُّ قط . فبينما هو يتنقل في حدائقه الغناء ويجني فواكه اللذة والابتهاج اذ هو يقطف ازهار الفائدة والاطلاع دانيات حيث شاء وكيف قلبهُ . فالاسلوب سلس ومفيد ومغرٍ . . ورب قائل يقول : انهُ يفيد سوى ابناء الغرب ولكن

رويدك ياصاح ! ففي قولك ما هو بعيد عن الحقيقة. ان فيه فائدة لكل سوري ولبناني ، ولذا يجب ان يقرأه كل سوري . واردد ايضاً انهُ يجب ان يقرأهُ كل سوري صميم ولبناني صميم ويطلع على محتوياته . مهلاً ! على رسلك ما بالي اراك ترمقني بطرفك ثم تغضيه بتهكم وازدراء دع عنك العجب والخيلاء فلست اقول عبثاً . فان فيه من المعلومات النفيسة ما ليس يعرفهُ جل ابناء الشام . وما لا اصفهُ ولا اقدر ان اصفهُ في هذه السطور القليلة ولا تظن اني ابالغ اذا دعوتهُ « معلمةً سورية ولبنانية » فهو للسوريين كنز ادبي عظيم ومعين لا ينضب يرشدهم عما خفي عنهم ويجلي عن اعينهم غشاوة طالما عاقتهم واخفت عنهم اشياء

انا لا نقدر ان نأتي بشيء منهُ هنا . ولا ان نقتطف منهُ شيئاً فانا لا ندري ماذا نقتطف وماذا نترك ! وماهو برحلة تنشر ملخصها ورواية نكتفي بكلمة عنها . بل هو مجموعة ملاحظات وبحوث عن سوريا وكتب عنها وحسبنا ان نقدر سعة جهد المسيو بوردو وبراعة نقده وحذاقته الخارقة في التاريخ التي مكنتهُ من اخراج هذا الكتاب الباهر الجليل والذي هو ملجأ مفيد نافع وجليس لا يملُّ وحسبنا ان نقول عنهُ انهُ اراد في عمله هذا ان يلقي النور على اشياء مخفية ومظلمة واشياء موجودة ولكنها مهملة واحب ارشادنا اليها وتشويقنا وقد ظهر فيهِ عظيم الباحث والتاريخي والاثري

في جبل الدروز

حينما كانت الثورة السورية على اشدها . برز هذا الكتاب الى الوجود ولم يكن بوردو يود نشره لولا حصولها اذ كان يود نشره ضمن تاريخ رحلتهِ الذي يعدنا في مقدمة هذا الكتاب بنشره بعد حين

يحدثنا في كتابهِ هذا اولا عن غليوم ري Guillaume Rey اكبر رحالة اثري دخل حوران في القرن المنصرم ويحدثنا عن كتابهِ الثمينين اللذين نالا شهرة عظيمة في اوربا جمعاء ولدى المستشرقين الاثريين ولعلهما اهم ما كتب عن آثار الافرنج في سوريا وعنوانهما « دروس في العمارة الحربية الصليبية في سورية وجزيرة قبرص » و« المستعمرات الافرنجية في سوريا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر » ثم يقتطفات من « رحلتهِ في حوران وشواطئ البحر الميت »

ثم يحدثنا كيف تمكن من زيارة حوران . فقد كان في حفلة اقامها الجنرال غورو ، في قصر الصنور « الذي يشبه قصر علاء الدين » حيث اجتمع رؤساء طوائف سوريا وعشائرها اجمع . فهناك كانت فتيات بيروت ودمشق تمر بجانب عقلاء الدروز واشرافهم. هناك حيث كانت الملابس الرسمية السوداء تتماوج مع العباءات الحريرية ، والكوفيات

الموشاة بالذهب . في وسط هذا المشهد الباهر وقف بوردو يتحادث مع الجنرال غورو الطيب والقومندان دينان Denain ، قائد القوات الجوية ، في جيش الشرق ، وقد أشار عليه غورو بزيارة حوران . لكنهُ اعتذر ان ليس امامهُ غير يومين . اذ بعد يومين سيودع سوريا . وقد نظم برنامج اعماله . ولكن غورو قال لهُ انهُ سيصحبهُ الى غبطة بطريرك الموارنة . فاجاب بوردو « اذن لم يبق سوى يوم » ولكن القومندان دينان سألهُ « أانك جلد على عشرين ساعة ؟ »

— لا شك ألم احارب ؟

— ولكنهُ جلدٌ على كل صدمات النقل ؟ سأذهب غداً في الساعة الرابعة ، لاتفقد فرق البقاع ، واذا سمح الجنرال (غورو) آخذك معي ، وتطير الى جبل الدروز وفي نصف الليل تكون في بيروت . وعليه فبعد غد تذهب ، مع الجنرال الى لبنان

فان غورو بحركة سرور ، البستهُ حلة الشباب . وقال : من المحال ان يزار جبل الدروز من بيروت في اربع وعشرين ساعة

ولكن القومندان دينان اعترض : اهذا ما تقوله ايها الجنرال ؟

— « لكنهُ صعب ! »

وافترق عنهما غورو . واختفى في وسط الامواج الانسانية . وبقي بوردو مع دينان الذي قال لهُ : انك ستبصر كل شيء ، فالطيارة سيدة البسيطة وفي السويداء سيقابلك الترجمان ترنجا Trenga وهو يعرف كل شيء ، عن دين الدروز وعاداتهم ، وسيحدثك عنها . وسيقدمك ايضاً الى « بابا الدروز » وستزور معهُ اثار قنوات الرومانية

ثم تفارقا وما لبث ان قابل بيير ليوتي (ابن اخي المرشال ليوتي) مع الاخوين تارو Tharaud . وتحادثوا معاً عن الدروز ومعتقداتهم وعاداتهم وعن سوريا والحُ . ثم تركَ القصر ، وذهب ليأخذ قسطهُ من الراحة ، قبل ان يأتي دينان . لكنهُ احب ان يعرف ، من هم هؤلاء الذين سيزورهم ، ويجول في بلادهم في الغد ، فتناول كتاباً على طاولته ، اعاره اياها بيير ليوتي المذكور ، وابتدأ يقلبها

انها لعادة حميدة ، ان يعرف المرء شيئاً عن بلاد سيزورها ، وهي عادة ، امتاز بها الافرنج ، وبالاخص الفرنسيس ، ولكن من منا نحن ابناء الشرق يقرأ كتاباً واحداً ، عن بلاد المغرب ، أو فارس ، او اي بلدة يبغي ارتيادها ، لترويح النفس وقضاء عطلته ؟ لا اظن احداً يفعلها ! ان الحكمة تقضي على المرء ، ان يعرف البلاد التي يسافر اليها والشعوب التي تقطنها . وهذه من اسرار تقدم الاوربيين . واستيلائهم على مستعمرات كثيرة

جلس بطالم، ويختار ملحوظات من حوادث ١٨٦٠ المشؤومة وعن الدروز ودينهم، ويا اليها ، واورد جملة منها في كتابه هذا نضرب عنها صفحاً لضيق المقام ، ولشهرتها عند اكثر القراء الكرام . وعند ما انتهى اذا بوقت الرحيل قد ازف . فارتدى لباس ركوب الخيل، واستعدَّ وكانت الساعة الرابعة صباحاً ،فاذا برفيق السفر، قد وافى . فذهبا معاً الى قصر غورو ، فتناولا طعام الفطور في تلك الساعة المتأخرة من الليل او المبكرة من الصباح ، وكانت افواج الراقصين لا تزال تموج في قاعاته

استقلا سيارة . وحيث ان بوردو لم يكن قد ذاق طعم الكرى بعد، لاشتغاله بالمطالعة انتهز الفرصة ونام هنيهة . فلما وصلا رياق استطيا طيارة لدى انبثاق اشعة الشمس الذهبية ، وتكسرها على ثلج جبل الشيخ. يا لهُ من منظر بهيج من الجو ا لبنان بوديته ، وجباله ، وحزونه ، وسهوله ، كالكف المبسوطة تحت بصره !

هاكهما اخيراً مع الترجمان زنجا . ركبوا الخيل وقال لهُ زنجا انهُ سيأخذهُ الى قنوات حيث يسكن زعيم الدروز الروحي فساروا اليها ورأى بوردو كثيراً من آثارها البديعة ووصفها وصفاً شيقاً . ثم انتهى بهم السير الى قصر هذا الرئيس المحترم . واذن لهم بالدخول . فقابلوهُ . وبعدئذٍ قابلوا سليمان الاطرش امير الدروز حينئذٍ

هذا ملخص هذا الكتيب. وقد اودعهُ ملاحظات شتى مفيدة عن الدروز وحوران وتبسط قليلاً في كلامه عن مقابلته لرئيسهم الروحي . وما سألهُ هو . وما اجابهُ ذاك . مما نكتفي بالاشارة اليها . ونحيل القارئ عليه في مكانه

هذا الكتيب ،وان لم يكن ذا شأن كبير كتبه عن سوريا — واهمها وُاد الشرق يملأ نا املاً . وحسبنا انهُ يعلمنا عن عزم بوردو على نشر رحلته الى سوريا ، بعد ان يستوفي جمع المعلومات الكثيرة النفيسة . فهو يريد ان يظهر للغرب والمدنية ، ان الشرق « الذي لا يتغير » قد بدأ بالتغير. وها هو يتماوج ويتقلب ويندفع مع تيار التقدم ، بعد ان ركد القرون في بدء كتابه يحدثنا بقوله : —

« اني اجمع مذكرات رحلتي في سوريا ، وقد تأخرت عن نشرها ،حيث اردت حين رجوعي ان اكملها باستدراكات اكثر قيمة . ان زائر البلاد ليخمد نشاطهُ امام ما كتب عنها طائفة من الرواد المشهورين. لكن الشرق القديم التغير هو اليوم في تقدم وكما تسري الرعشة في ابدان الجياد العربية اذ تشعر بالفضاء الطلق كذلك تسري فيه رعشات طويلة من عام لآخر تكيف الوثائق تبعاً لسير الوقائع وساتي بوثائق لاني اسمع من الشرق اصواتاً تدعوني وها اني اقطع من مذكراتي تباً جولتي الوجيزة في جبل الدروز »

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناه ترضياً لمعارف وانهاضاً لهمم وتشحيذ للاذهان. ولكن المهمة فيما يدرج فيه على اصحابه نحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) الناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطولة

بين العصرتين ضوط والكرملي

١ — أعريبات ؟ للعلامة الاب انستاس الكرملي

إني من الذين يقولون : « ان المرء اذا كتب في موضوع ، فلا حاجة لهُ الى ان يعود اليهِ ليجادل من يخالفهُ فيهِ » اذ لكلّ باحث رأيٌ خاصٌ بهِ ، وقلما يحول عنهُ ، ولاسيما اذا كان ذلك الرأي مستنداً الى ادلة علمية في نظره

وقد كنتُ قد قلتُ بأن « الاديب » و « الخليفة » و « قريش » من الحروف غير العربية النجار . وهناك ألفاظ اخرى تشبهها بثوبها العربي لكنها دخيلة الجوهر او المادة

فقام غير واحد من ارباب اليراع وحاولوا نقض ما بَنَيْتُ ، إلاَّ إني لم اقفّ على مقالاتهم لاني قلتُ في نفسي : إنَّ الكاتب اما ان يذهب الى مذهبي واما ان يخالفهُ . فان كان يصوّبُ ما ارتأيتهُ فلا حاجة لي إلى مطالعته ، وان كان ممن يخالفني ، فلقد قرأت مثل هذه المخالفة في مصنّفات اللغويين الاقدمين شيئاً كثيراً . إذن فالصمتُ بالوقت احسن . وهكذا لم اطالع ما كتبهُ حضرة الاستاذ الكبير جبر ضوط ، ولا ما أتى بهِ حضرة الكاتب المبدع السيد مصطفى صادق الرافعي . ولما اشرتُ في مقالي الآخر الى أنَّ بعضهم اقاموا القيامة عليَّ ، فكان تلميحاً الى ما نفثهُ اقلام جماعة من ابناء وطني العراق ، إذ قابلوا نكرتي في أصل تلك الالفاظ بالشتم والسبّ والاهانة ، بل هدّدني بعضهم بالقتل اغتيالاً على ما سمعت وعلى ما جاء مسطوراً في رقعة أُنفذت إليَّ بالبريد

اما هذه المرة فان اخصّ اصدقائي واخلصهم وُدّاً كتب اليَّ ليوجّه نظري الى ما

يأتي في هلال (مايو) من هذه السنة ، فليتُ طلبه وطالعتهُ من الاول الى الآخر فلم اجد فيه شيئاً طريفاً ولا مقنعاً وعلمت ان من نشأ على فكر يعزُّ عليه ان يتركهُ . ودونك الاسباب التي لا تحملني على ان اوافق الاستاذ ضومط في رأيه ، وضومط ذاك الرجل العظيم الذي اجلّه اعظم الاجلال

قريش

لما قلت ان لفظة « قريش » غير عربية الاصل ، كان ذلك رأيي الخاص بي ولا أعلم أسبقني اليه سابق ام لا

أما الدليل الذي اعتمدتُ عليه فهو ان في الالفاظ القديمة العربية من اعلام وتكرات حروفاً دخيلة في العربية . ففي نسب قريش مثلاً الياس ، والياس صورة يونانية «لاِلِيَّا» الإرَمِيَّة او « إلْياهو » العبرية . فترك السلف لغة الساميين وتمسكوا بلغة اليونانيين . وما ذلك الا لقرب مادتها من المادة العربية وخفة وزنها . والقائل بانها عربية كالقائل بان الترك والكرد وجميع امم الارض عرب . وهناك غير الياس من الاعلام التي اتخذها العدنانيون كإدْريس ، وابراهيم ، واسحق ، ويعقوب ، وعليّ ، ويونس ، الى غيرها

واما وجود النكرات في لساننا فهذا أشهر من ان يذكر وقد صرّح به حتى من كان اشدَّ الناس تعصباً للعروبة . وهل من عجب ان تسمّى قريش باسم من اصل أعجمي وقريش تنتمي الى أبيها النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن «الياس» ابن مضر . و« الياس » كما رأينا اعجمي ، ثم ان الذي يزيدني ثبوتاً في هذا القول ان بعضهم حكى في تسميتها عشرين قولاً (التاج) فلو كان سبب التسمية عربياً محضاً لما نشأت كل هذه الآراء . ومن جملة هذه الاقوال انها سميت قريشاً بمعنى القرش وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها (القاموس)

ووزن القرش ، ومادتها ، واشتقاق الفاظ منها ، كل ذلك لا يمنع ان تكون اعجمية ، واعجمية يونانية . وذلك لان اليونانيين من ديار تحيط بها البحار من كل جانب ، فهم يحارون ويعارفون بما في البحار أكثر من سواهم ، واللفظة ترى في لسانهم من قديم العهد ، فقد ذكرها صفرون السرفسطي الصقلي [وكان عائشاً في نحو سنة ٤٢٠ قبل المسيح] وصرح بكلامه عن القرش آيليا القراطي (في ٧ : ٣٠٦ وفي مواطن اخرى) . ومعنى اصل القرش في اليونانية الحادُّ الاسنان وهو يوافق هذا الوحش البحري . اما القرش فيصعب توجيهها في لغتنا الى مادة توافقهُ

اما اذا لم يرض حضرة الاستاذ نسبة هذه القبيلة الى السمك المذكور ويذهب الى

انها سميت بالقرش بمعنى الجمع من ههنا وههنا ،والكسب والتجر قلنا : وهذا يناسب ان يكون من الرومانية (اللاتينية) قُرْش Commercium بميم بين القاف والراء ومعناه ما يريد. وكانت قريش تتجر يومئذٍ مع الشام ولغة الشاميين يومئذ اليونانية والرومانية . ثم نقلت «قُرْش» الى «قرش» تخفيفاً. وسبب اصرارنا على القول بعجمتها ان سائر اللغات السامية لا تعرف القرش بالمعاني التي اوردها حضرته وغيره من اللغويين الاقدمين . فالقرش من هذا القبيل تشبه « القيل » في عجمتها وحالها ووزنها ومادتها والمشتقات منها، اذ كلها على مثالها وان اختلفت حروفها . وقد سُمُّوا بالقيل رجالاً ، كأبي القيل و« فيل» مولى زياد، والقيل البشكري . الى غيرهم، مع انهم كانوا في مندوحة عن اتخاذ هذا اللفظ الاعجمي ، لما عندهم من مرادفاته الكثيرة،ومع ذلك لم يغفلوا إذ وجدوا في هذه الكلمة الاعجمية خفة ورشاقة ومشابهة لما عندهم ما حبَّبتها لهم . وكذلك القول عن القرش

اما ان وجود الشيء في بلاد السلف يحتم من ان يلجأوا الى اتخاذ الفاظ ليست في لسانهم، او يحتم من اتخاذ الفاظ اعجمية ، فليس ذلك دليلاً قويًّا ،اذ السلف قد جمع بين الدخيل والفصيح لاسباب كثيرة لا محل لاستقصائها هنا.وكفى نسفاً لهذا الدليل ان نعرف ان ليس من شيء اشهر من الشمس والقمر ومع ذلك فان الاقدمين منا اتخذوا الالفاظ اليونانية للدلالة عليهما . قال صاحب « لسان العرب » في كتابه « ثمار الازهار » حين يذكر اسماء القمر ما هذا نصهُ : « . . . والسَّلِيني وهو اسمهُ باليونانية وقد تكلموا به »اه. وقال في ذكر اسماء الشمس : « . . . وايليوس وهو اسمها باليونانية وقد تكلموا به » : فنسأل الاستاذ الجليل: ما معنى ان السلف لفظوا باليونانيتين وعندهم عشرات من الالفاظ الدالة على النيرين المذكورين ؟ إذن وجود الشيء عند آبائنا لا يدل على انهم لا يقتبسون من مجاوريهم شيئاً من حروفهم ولغاتهم، كما انهُ لا يكرههم على وضع الفاظ صرفة لها،وعلى عدم استعمال الدخيل في كلامهم . فاتخاذ هذا الاعجمي كان مرضاً في عقول بعضهم ،على حد ما يرى من امثالهم في هذا العهد. وهناك داء آخر ولع فريق من الكتبة باتخاذ الحوشي في ترسلهم ، وطائفة اخرى منهم باستعمال العامي المبتذل في حين انهم في غنى عنهُ

إذن : قد تجتمع صحة المرية ودواؤها ، والالفاظ المحضة والدخيل في زمن واحد، لكن لا في شخص واحد ، بل ربما وقع هذا الامر أيضاً لعلة في دماغ الكاتب ، لا يمكنني ان اعرفها ، ولعل الاطباء يعرفونها . وهذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

اطلنا الكلام في هذه الكلمة لان امثالها كثيرة ، ولان الادلة على نقض ما يعن في الخاطر هي على هذا القرار . جئنا الآن الى لفظ

الخليفة

مادة هذه الكلمة عربية، والاشتقاق عربي مقيس، والوزن عربي محض، ومع ذلك نقول: ان الكلمة غير اصلية في لغتنا، لان نظام قوة « الخليفة » بمعنى رئيس القوم في الدين وغيره والقائم بالامور مقام الرئيس الاصيل النائب عنهُ، من الامور التي اختص بها الاغريق والرومان. ولهذا نرى الفاظاً عديدة تدل على الرئاسة وهي مأخوذة من الاقوام غير العربية المجاورة لاجدادنا. ولما نقول « ألفاظاً » نجمع فيها ما يتعلق بالدين والدنيا على السواء. فأمثال الدِّينيَّات: الجاثليق، والبطريرك والاسقف، والمطران، والجَمْقَليون والساعود، والسطوس، والايل، والحبر، والصير، والرباني الى غيرها. واما الدُّنيويات فاشياء: الدقس، والنقوس، والدعوس، والطوس، والقدوس، والداقوس، والسرسور والزرزور، والزرزار، والزردار، والزروار، والسقسير، والسقسار، والقسطار، والاطربون، الى غيرها وتعدُّ بالعشرات. فهذه كلها ليست من العربية في شيء. وان وجَّه لها اللغويون وجوهاً عربية

اذن الخليفة من هذا القبيل. اما ان الامام الثعالبي كان قد سبقني الى هذا المقال فكنت اجهله. واظن ان جعله الخليفة بين الالفاظ الفارسية لا يدل على انها فارسية الاصل حقيقة بل اعجمية. مهما كانت تلك العجمة فارسية النسب صريحة الايرانية أم غير ايرانية كاليونانية او الرومانية أو العبرية او الارميَّة، اذ رأيتُ بين تلك الكلم التي اوردها الامام الثعالبي ما يرجع بعضها الى لغة وبعضها الى لغة اخرى اعجمية من اللغات التي ذكرناها

وهنا نعيد بعض الادلة التي ذكرناها في لفظة « قريش » في ان وجود الشيء عند سلفنا العرب لا يمنعهم من اتخاذ الفاظ اعجمية للدلالة عليها

بقي الآن الى اللفظة التي قامت لها القيامة وقعد حضرة الاستاذ الكبير وهي:

الاديب

واول كل شيء اني لا اجيب على كلمات او عبارات الهزء والسخرية التي جاءت على قلم حضرة الاستاذ فهي وان كان لها محل ومفيدة في بعض الاحوال فليس الآن محلها هنا ولهذا اغضّ الطرف عما وجههُ اليَّ من الالفاظ القارصة. بل أذهب توًّا الى موضوعي واقول: ان سيدي الاستاذ ينقاد للانخداع بسهولة لا مزيد عليها لانهُ لا يحكم الا على الظواهر، وقلما يمدّ نظرهُ الى بواطن الامور. ان « الاديب » في نظره عربي

لان منهُ « الادب والتأدب وادّبهُ وتأدب » الى غيرها . ولكن ان الكلمة اذا عربت حق تصرف لنا ان تصرف فيها اللفظة العربية المحضة

هذه كلمة « المسك » بمعنى المشموم المشهور فانها تشق منهُ مسَّكهُ تمسيكاً ودواء تمسَّك وتمسَّك الرجل الى غيرها من الاشتقاقات . فهل يُقال يا ترى انها عربية وقد اجمع اللغويون على انها اعجمية صرفة ؟ نعم ، حينما لم يَبْدُ لهم وجه التعريب ، لم يقولوا بعجمتها لكن اليوم ذهب مدّعي البعض من المستعربين وقام النقدُ مقام النقل ولا يفيدنا بعد الآن : قال شيخي ، ونص فلان . إن النقل يذوب امام النقد كما يذوب الشمع بين يدي النار . فيا أستاذي ان «الاديب» غير عربي مهما كان وزنهُ واشتقاقهُ ومادتهُ . والسبب : ان معناهُ يدل على اتقان في الحضارة لم تتهيأ يومئذٍ للسلف . ومن «الاديب» ولدت سائر المشتقات على حدّ ما تُرى اشباههُ في المسك وغيره من الحروف التي لا تحصى كالكيّس (الذي منهُ الكياسة) والترف ، والظرف ، ونحوها وان لم يذهب الى القول بعجمتها بعضهم او كلهم . فكل ذلك لا يغير من اجنبيتها بشيء

واغرب ما جاء في رد حضرة استاذي انهُ يحيلني على مطالعة بعض اسفار التوراة لورود « الادب والاديب » فيها . وانما يفعل مثل هذا إذا كان النصُّ اصليًّا صحيحاً ، والحال ان الاصل عبريّ العبارة ولا ورود للادب بالمعاني التي يشير اليها ومتفرعاته في تلك المنزلات . فكيف ساغ لهُ ان يحيلني عليها ؟ ولو نقل لي احد ان الاستاذ جبر ضومط يقول ذلك القول لما صدقتهُ ، لاني أُجلّهُ عن ان يتوسل بهذه الوسيلة إلى اثبات مدعاهُ لكن اسمهُ الصريح في ذيل المقالة يؤيد لي ان الناطق بتلك العبارات حضرة استاذي حفظهُ الله . فلا اعلم كيف اجمع بين علمهِ الغزير وبين هذا الرأي القطير الذي انزههُ عنهُ ؟

نعم ان كلمة الادب وردت في نصّ التوراة العبرية (راجع سفر الملوك الاول ١ : ٣٣) لكن بمعنى الذوب والذوب من الاسى . وورد في سفر الخلق (٢٥ : ١٣) وسفر الايام (١ : ٢٩) اسم ولد من ولْد إسمعيل يعرف بأدبئيل والمفسرون قالوا في معناهُ انهُ مشتق من الأدْب (بفتح فسكون) اي العجب فيكون مؤداهُ أعجوبة الله . هذا اقدم ما جاء عندنا من النصوص التي تذكر لنا الادب ، اي انهُ بمعنى العجب . وعندنا ان العجب تصحيف الادب من باب تفخيم الحروف فانهم جعلوا الهمزة عيناً من باب المضغة ثم لفظوا الدال جيماً على لغة اخرى كما قالوا في الابد : ابلج ، وفي دفّ : جفّ ، وفي الدفة : السجفة ، وفي دهوره : جهوره ، الى غيرها . وهنا لا اتعرض لتأويل التي أتى بها لتأييد مدعاهُ ان الادب مشتق من معنى الدعوة . اني لا اظن انهُ يقبل رأيهُ هذا اذا ماخلا إلى شيطانهِ

ألا يرى القارئ ان تلك الادلة التي ابتدعها حضرة استاذي لا تماسك ولا تناصر، فكيف يريد ان يقنع بها ابناء هذا العصر، ابناء النقد والتحليل والتحليل ؟

ألم يقرأ ما كتبه الاستاذ الدكتور طه حسين في كتابه «في الادب الجاهلي» ص١٩ من الطبعة الثانية اذ يقول : « فليس لنا من النصوص او القرائن العلمية الواضحة ما يبين لنا ان لفظ « الادب» قد اشتق من الادب » بمعنى الدعوة الى الولائم، او قد اشتق من الأدآب جمع دأب . ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو اننا لا نعرف نصًّا عربيًّا جاهليًّا صحيحاً ورد فيه لفظ الادب والشيء الذي لا شك فيه ايضاً هو اننا لا نعرف ان لفظ الادب قد ورد في القرآن . وكل ما نعرفه هو ان هذه المادة قد وردت في حديث مهما يكن رأي المحدثين فيه فليس هو بالحجة القاطعة على ان النبي قد استعمل هذه المادة وهذا الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: « أدبني ربي فاحسن تأديبي » هذا الحديث لا يثبت حكماً لغويًّا الا اذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك او كان من الراجح على اقل تقدير انه صح بلفظه عن النبي . ولكننا بعيدون عن هذا كله . فنستطيع اذن ان نقول في غير تردد : أن ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت ان لفظ « الادب » وما يتصرف منه من الافعال والاسماء قد كان معروفاً او مستعملاً قبل الاسلام او ابان ظهوره ». اه بحرفه

اذن : « لا نرضى لك بما ذهبت اليه فيه ، ولكنها كبوة هيهات ان يخلو جواد من مثلها وان سلك الجدد »

٢ — اداة التعريف في التاريخ للعلامة الاستاذ ضومط

يسرنا في مقالة العلامة الاب انسطاس الكرملي في مقتطف فبراير (شباط) المار انه يختمها بقوله — كما ذكرناه خواطر مرت في سماء الفكر ونحن لا نجزم بها ومن احب ان يدحضنا او يردنا فليأتنا ببيناته وادلته على ما قلنا . ونحن اول من يتهم نفسه اذا ما رأى شعاع الحق بادياً في كلام الخصم انتهى : — ونحن لا ننكر على الاب عباراته هذه من جهة ما فيها من الخلات بالبلاغة . ولكننا ننكر عليه ان يحسب من يناقشه آراءه خصماً له . نعم ان بعض من يردون علينا اقوالنا يردونها لانهم اخصامنا ولكن بعضهم قد يكونون من احب احبائنا واخلص اصدقائنا . ولو ان الاب المحترم عدل من حدته فيمن تصوره يرد عليه بعض ما جاء في مقالته هذه النفيسة في موضوعها لكان اجدر بعلمه وفضله ومكانته الادبية الرفيعة بل كان اجدر بفضله لو استغنى عن ذلك

الخاتمة بما جاء به في مقدّمة المقالة مما يقع في اسماعنا وقلوبنا موقعاً خليقاً بعم الاب وفضله

ايها الاب المحترم نحن لا نوافقك على اغلب ما ارتأيته في اداة التعريف ولكنا لسنا من اخصامك وما كنا الاّ من المخلصين لك ولا نزال . لكن كان يسوءنا منك ظهورك مظهر المتدّ بظنه وفضله ظهوراً ما كان يخفى على معظم قرّاء مقالاتك وفي الوقت نفسه كانت كانما يشوبها اظلال من الاستخفاف بكل رأي يخالف رأيك كانك من الذين خصوا بالعصمة

ايها المحترم نوافقك في أنّ همزة « ال » محوّلة عن الهاء لانها اخفّ على النطق ولكنا لا نوافقك في انها مقتطعة من فعل لا وجود لهُ الآن وهو فعل الوجود البرائي . واما قولك انهُ كان عندنا في سابق الازمان فيجوز ايضاً

كل هذا لا تعارضك فيه لانهُ من الجائز الممكن . واما ما أقمتهُ دليلاً على انّ هذا الفعل كان عندنا في سابق الزمان وأنّ « ها » التعريف مقتطعة منهُ فلا نوافقك فيه ولا نظنُّ احداً من علماء الفيلولوجيا يوافقك عليه ولعلك لا تخاف معارضةً من احد في كل ما تُغرب به من مماثلها ولو كان اشدّ من اغرابك في « النكاليّ » وردّه الى الاصل العربي « لاح » واليك ما قلتَ بالحرف الواحد تحت رقم (٢)

ولكن من اين اتت تلك الهاء في اللغتين الساميتين . الذي عندنا انها مقطوعة من فعل لا وجود لهُ الآن في العربية وهو هَوَه يَهْوَه[1] او هيه يهيا ومعناهُ وُجد يُوجَد (بصيغة المجهول) ولا جرم ان هذا الفعل كان عندنا في سابق الازمان والدليل ما بقي من اثره وهو الضمير الغائب في المفرد والمثنى والجمع في المذكّر والمؤنث اي هو ، هما ، هم ، هي ، هنّ ، ومعناهُ في اصل وضعه موجود ، موجودان ، موجودون وقد صارت هذه الضمائر الى حرف واحد في قولك هذا ، هذان ، هؤلا . . . وهذا الحرف سماهُ نحاتنا هاء التنبيه كما سموا تلك الهاء هاء الضمير . اما الحقيقة فان لكليهما اصلاً واحداً هو الفعل البائد المذكور انتهى ما قاله الاب

ايها الاب العلاّمة يُفهَم من القطعة التي نقلناها عنك ان الفعل هوه يَهْوَه او هَيَه يَهْيَه (الفعل الدال على الوجود) متقدّم على الضمير لان الضمير مقتطع منهُ ثم تقول ان « الهاء » في هذا ، هذين ، هؤلاء مقتطعة ايضاً من ضمير الغائب اذن هي مقتطعة من الفعل البائد المذكور وان نحاتنا سموا هذا الحرف هاء التنبيه جهلاً منهم للحقيقة التي اكتشفتها انت . ونحن نقول يا ليتك صبرت حتى اعدت النظر فيما خطر لك وورّيت في فكرتك هذه قبل ان اذعتها فان سماء الفكر كالسماء التي فوق رؤوسنا والخواطر التي تمرُّ

(١) والهاء البرائية المتطرفة هي الالف المقصورة في العربية

في هذه كالنيوم ذات الالوان الجميلة التي تمرُّ في تلك لا تلبث احياناً كثيرة أن تتقشع وهيهات ان ترجع كما كانت اولاً

وقبل ان اذكرك بما لا اظنه يخفى على علمك عند تروّيك اسألك هل وجدت احداً من المشتغلين بمثل بحثك بين علماء الفرنساويين او الانكليز او الالمان او الايطاليان يقول بقولك هذا إي بردّ ضمير الغيبة وادوات التعريف في العربية وغيرها الى فعل الوجود العبراني اصلاً لها جميعها . انا اشكُّ في انَّ احداً يقوى على هذا القول او يقدم عليه غيرك

ايها المحترم انت تعلم من غير ان اذكرك أن ثم مذهبين في اللغة مذهب التوقيف ومذهب النشوء والارتقاء . اما مذهب التوقيف فقد جاء عنهُ في كتابنا نحن المسيحيين ما يأتي :

وجبل الربُّ الإلهُ من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فاحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم فهو اسمها فدعا آدم باسم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية . واوضح من ذلك ماجاء في كتاب اخواننا المسلمين . (وعلَّم آدم الاسماء كلها . . .) « ٣١ البقرة » . . .) . الواضح من هذين الاقتباسين انَّ الذين يأخذون بمذهب التوقيف يرون ان الاسماء قبل الافعال . والضمير من الاسماء ومن اقدمها واخصها . وهذا عند التأمُّل ينافي ما زعمتهُ اي ان ضمير الغيبة مقتطع من هوه او هيَهْ « الفعل المبهات في العربية والدال على الوجود المطلق »

واما اذا ذهبت مذهب النشوء والارتقاء فما اظنهُ يخفى على علمك ان هذا المذهب يقدّم الاصوات الطبيعية الدالة على الانفعالات والأعراض النفسانية على الاسماء والافعال والحروف ولا تزال لغة الحيوانات مقصورة على هذه الاصوات . ثم اضيف اليها الاشارة ولا تزال الاصوات والاشارات اهم جزء في لغات بعض منحطّي الشعوب الهمجيَّة لحد هذه الساعة وقلَّ ما عندهم من المجرّدات العقلية . ولعلَّ معظم اقاطهم ما اخذوهُ عن الاصوات الطبيعية او ما اشتقوهُ منها واقرب ما يُمثَّل به قاقَتْ الدجاجة وزقزق العصفور

واكثر الاصوات دلالاتٍ هو هذا الصوت « ها » فانهُ للتنبيه وما يترتب على التنبيه بدلالة القرائن . ومن ادوات التنبيه ادوات النداء وهي آ . وأيا . وهَا . وهَيَا . واي . والهمزة وكلها تحوُّلات من « ها » والنداء بواسطة القرائن الطبيعية والعقليَّة ينقلب الى اغراء او استغاثة او تعجُّب . او تحيُّر . او تذلُّه . او توجُّع وتحسُّر . او ندبة . وكل هذه الاغراض وفوقها اغراض أخرى ومن جملتها التعريف مما يُدلُّ عليه بهاء التنبيه . واي شيء ادل على التعريف من هذا الصوت المنبّه والاشارة . قل اعطني . ها كتابي واشر اليه . قلها واشر الى زيد تفهم من الجملة الاولى مقصود القائل باسرع

واقل كلفة مما لو قلت اعطني الكتاب ولم تشر . بل ومما لو اشرت لكن أخّرت اسم الاشارة . وتفهم من « ها زيد » مع الاشارة ما تفهمهُ من هذا زيدٌ والصورة الاولى أسهل على اللفظ من الصورة الثانية اذا لم تشر بيدك او برأسك او بعينك

فالها اذن هي حرف التعريف ومع الايام انقلبت الى همزة للتخفيف وذلك من عهدٍ غير بعيد كما بيّن ذلك العلامة جويدي في محاضراته لطلبة الجامعة المصرية وجُمعت في كتاب أرجّح انهُ وصلك واطّلعتَ عليهِ في حينهِ . على انها لا تزال على الالسنة بصورة « هل » على الاصل ولا تقطن لذلك

اذا كانت « ها » هي الاصل في اداة التعريف فمن اين او كيف جاءت اللام في لغة مضر والميم في لغة حمير ؟

انا لا اشكّ أن قد كنا نحن واخواتنا السريانيون نستعمل نفس الاداة الواحدة اعني « ها » مدّات متطاولة غير أنّ السريان دوّنوها في اقدس الكتب واقدمها فثبتت على الالسنة كما هي واما عندنا فكانت تخفّف او تبقى على لفظها

وكانت « الها » وحدها او مخففها عندنا وعندهم على السواء ولا يزال الحال على ذلك الى الآن مع الحروف المسمّاة بالشمسيّة . فانهم كما يقولون « هشّمايم » نقول نحن أسّماوات واما مع الحروف القمريّة فهم يقولون هَا « آرض » ونحن نقول أل « أرْض » اي هم يقفون على حرف المد وأمّا نحن فنقف على حرف الغنّة . وحروف الغنّة ثلاثة اللام والميم والنون ومعنى الوقف عليها انّا نقلب حرف المدّ الى حرف غنّة

والحسّ يشهد أن الوقوف على حرف الغنّة بدلاً من الوقوف على حركة الاشباع مع الحروف القمرية هو اسهل على النطق وأشهى في السمع فليراجع كلّ شعوره في لفظ « هَابحْر وهاكْتاب » ولفظ « هَلْ بحْر وهَل كْتاب » او « ألْ بحْر » و « أل كْتاب » . انّ السريان مَسْمَعَهُم المدوّن في كتاب مقدّس مفروض عليهم أن يقرأوا كل يوم آيات كثيرة منهُ فتحجّرت الاداة عندهم دونما فانها بقيت حية فتغيّرت الى ما يوافق بداهة الفطرة اي الى ما هو اسهل نطقاً واحسن او اشهى في السمع وقعاً كما ذكرنا . فوقف المصريّون على اللام ووقفت حمير على الميم وخُفّفت الهاء الى الهمزة ولكنها بقيت على الالسنة لحد هذه الساعة عند كثيرين ومن جملتهم فيما أرجح الاب انسطاس وإنْ لم يفطن لذلك . مَنْ لم يقل منا « أعْطني هَل كْتاب » . لان في الهاء ظلاً من المعنى لا يؤدّى بمحوّلتها اعني بالهمزة . ولهذا الظلّ عاشت هل ايضاً لكن على الالسنة وهم يحسبونها من قبيل استعمال العامة المرفوض عند محبي العربية والمحافظين على فصاحتها

الهمزة اداة تعريف بعد الهاء

أيها الاب المحترم . رأيناك في هذا الجزء من المقالة ربطت ضمير الغيبة بفعل الوجود العراني هَوَه يَهْوَه[1] او هَيَه يهيه الذي قلت انهُ كان مشتركاً بيننا وبين اخواننا العبرانيين وزعمت ان هذا الضمير مقتطع منهُ . وعذرك في ذلك ظاهرٌ لامكان هذا الاقتطاع بسهولة. ثمَّ زعمت أنَّ « ها التعريف المشتركة كانت بيننا وبينهم » مقتطعة من هذا الضمير المقتطع من الفعل وهذا هو السبب في دلالتها على التعريف وقد رددنا عليك هذا واعذرني اذا قلت هذا التخبط الذي توصلت بهِ الى اكتشافك الغريب الذي صرَّحت انهُ لم يسبقك اليهِ احد ونحن نسلم لك بحق هذه السابقيَّة ونعتقد انك ستبقى فيها سابقاً ومبتكراً معاً ولك عذرك فيهِ لانك رأيتَ رابطاً لفظيًّا يربط هذه الهاء وضمير الغيبة بفعل الوجود هذا ولكن ما هو الرابط بين ما كنت فيهِ وبين ما وثبتَ اليهِ في هذه الترويسة واليك ما قلتهُ بالحرف الواحد : وهكذا فعل اسلافنا فانهم حوَّلوا الهاء همزةً واخذوا ينطقون بها عوضاً عن الهاء . وقد شاع ذلك في نحو الثلثة الثالثة قبل المسيح — وقد وصل الينا من ذلك قول المؤرخين الاقدمين « اطورية » اي الجبلية بتقدير البلاد فالاطوريون « جبليُّون » واسمهم مشتقٌّ من الطور بمعنى الجبل لعم انَّ هناك رجلاً انتسبوا اليهِ وهو يطُور او إطُور من ابناء اسمعيل (راجع سفر اخبار الايام الاوَّل) الاَّ انك تعلم انَّ ابناء الاقدمين كانت تتخذ بالنظر الى ما سيكونون عن امرهم طالع معنى « قاشين وهابيل وشيث ويوسف الى غيرها وتتمدَّ بالعشرات بل بالمئات » انتهى قولك بحرفهِ

فما دخل هذه القطعة هنا وعلى هذه الصورة ايضاً بالموضوع الذي كنت فيهِ ؟ واغرب منهُ ما جاء لك بعد ذلك من شرح اداة التعريف عند اليونان وصلتَ فيهِ من الهمزة الى « التاء مضافة الى حرف معوَّت هو « O » فنشأ من اجتماعهما « تو To » اما الحقيقة فاداة التعريف هنا هي التاء لاغير . اه »

ثمَّ سألت نفسك من الآخذ عن صاحبهِ نحن ام اليونان ؟ ورجَّحت جانب اليونان. الاَّ أنك عدت فختمت سؤالك بقولك « اما انَّ الناطقين بالضاد اتخذوا التاء اداة للتعريف في زمن من الازمان . فهذا مالا ترتاب فيهِ كما شرحهُ لك الآن . اه »

التاء او التاء اداة تعريف في العربية القديمة

راجعت شرحك كما هو تحت هذا العنوان عدَّة مرَّات وبكل اسف اقول لك انهُ يصعب عليَّ ان اصارحك بما شعرت بهِ بعد تلك المراجعات ولكني اكرِّر هنا ما قلتهُ

(١) الهاء العبرانية المنطوقة في الالف المقصورة عندنا

قبلاً وهو باليتك لم تُولَع بردّ المفردات اليونانية واللاتينية الاحادية الهجاء او الثنائية الى اصول عربية ولا وضعت مبدأك الذي اوصلك من Volpes الى عُلَب الى ثَعْلَب او ثَعْلَب الى انّ التاء او الثاء حرفا تعريف : ثم دعمت برهانك او ايضاحك على صحة ما زعمت فجاء هذا على شاكلة كل ما سبقهُ او تأخّر عنهُ في مقالتك. والى القارئ الصابر ما قلت : « وتاء التعريف بالتثّاة او تاهُ (بالمثلثة) باقية في الفاظ كثيرة عربيّة لا يكاد يفطن لها المتكلم لتعوّدهِ النطق بها بلا فكرة فامثلة التاء المثّاة التُّثْفُل ومعناهُ الثعلب او كما صحّحها كثيرون : جرو الثعلب واصلهُ « الطفل » وهو الولد الصغير من الانسان والحيوان : فلا جرم ان اصل الكلمة « تطفل » او الطفل طفل الحيوان ثم غيروا شيئاً من التركيب وقالوا تثفل وخصّوهُ بجرو الثعلب . ثم جئتَ في آخر هذه العبارات بما قالهُ التاج : (واللسان ايضاً) قال شيخنا اتفق ائمّة اللغة والصرف قاطبة ان التاء الاولى في اوله زائدة على ما عرف في الاوزان الصرفية له . فهذه شهادة واضحة على ان التاء زائدة لكنهم لم يعلموا انها كانت للتعريف واخذنا اليوم نقول : التثفل « اي الطفل » باداتين للتعريف اداة قديمة (التا) واداة حديثة (ال) كما يقول الفرنسويون اليوم : La Al Coran . انتهى النقل عنك بالحرف الواحد

فمن يقوى غيرك ان يستنتج كما استنتجت ويمثّل كما مثلت. أإذا كانت التاء في تثفل زائدة أيكون ذلك برهاناً على انها للتعريف ؟ واذا كان الفرنساويون يدخلون « ها » على الاعلام والمعارف بلغة غيرهم افيقوم هذا دليلاً عندك على ان (ال) عندنا تدخل على المعرّفات (بأل) في لغتنا ؟ ولم تكتف بالتثفل وهو لفظ قلما يدور على الالسنة وقلما قرأه اديب في كتاب ادب ايضاً فزعمت ان (تاء) تمساح . وترمس . وتنضب . وتذرح وترعوت . وتذنوب هي ادوات تعريف ولم تبالِ بروح العربية الساري فيها منذ القدم الى الآن اي انها لا تدخل ادوات التعريف لا على ما فيهِ « أل » التعريف فقط بل على المعارف اجمالاً . ولم تكتفِ بذلك بل زعمت ان التاء محوّلة عن التاء تكون حرف تعريف بعد ان كنت فضلتها اسوة بالتاء في اصالتها كما هو ظاهر مما ذكرتهُ في (الرقم ٤)

واغرب ما في هذا الرقم ما ختمتهُ بهِ مما لا يمكن لي ولا لغيري فيما اظن ان يُعتبرهُ مما اتيت انت بهِ واليك هو بحرفهِ:« بقي علينا ان نذكر معنى الثعلب فان الباحثين عن اسرار اللغة لم يصلوا الى حقيقة سبب هذه التسمية فلو علموا انها عربية الوضع لعلموا انها مشتقة من الثَّلْب وهو الرجل الذي لا يطمع فيما عنده وذلك لدهائهِ والثَّلْب هنا كالثَّلْب بالثاء للكل من يناوئهُ والثعلب هو كذلك فانهُ معروف بدهائهِ حتى انهُ ليضرب بهِ

المثل : فانظر كيف ان اللغة العربية تهتك لك استار الاسرار وتتيح لك معضلات المعاني. انتهى

لا ايها الاب العلامة ليس العربية هي التي هتكت استار هذه الاسرار بل انت الذي هتكتها . وهنا اقول اني استغربت منك انك اكتشفت ان التاءات الزائدة في تمساح وترمس وتنضب وتذرح وترغوت هي اداة التعريف وغفلت عن ان تحسب الياءات الزائدة في يربوع ويعفور ويعبوب ويرقود ويسوب الخ اداة تعريف مع ان ردّها جميعها الى تلك الاداة اسهل على الذهن واقرب الى القبول من ردّ تاء تمساح وترمس وتاء تُرمة

اللام اداة اخرى للتعريف

قلت ايها السيد تحت هذا العنوان ان سلفنا « كانوا يستعملون الهاء ما داموا مخالطين للعبرانيين . ثم نطقوا بالهمزة والتاء حينما كثر اختلاطهم باليونان ذلك لان هذين الحرفين اهون في النقط من الهاء فاما ان يكون السلف نفسهُ احدث هذا التغيير واما انهم تلقوه عن اليونان . لكن بعد ذلك تغلب الرومان على الشرق الادنى فاخذوا لهم اداة اخرى لمثل تلك الغاية . وتلك الاداة هي اللام التي لم تظهر الا بعد اختلاط بني يعرب ببني الاصفر (الرومان) وانت تعلم ان ليس في اللغة اللاتينية اداة تعريف بل يستعملون اداة الاشارة Ille باختلاف صيغها اذا اضطروا الى مزيد في التعريف والتحقيق فيقولون مثلاً Ille Homo اي هذا الرجل اذا ارادوا تعريفهُ . فاستعمل السلف نفسهُ اللام التي هي الحرف البارز في الكلمة اداةً لهذه الغاية فقالوه لرجل انتهى النقل عن الاب . وبيان خطإ الاب هنا مما يطيل نقدنا لحد لا يطيقهُ صبر اكثر القراء ولكني اقول ان من يتروّى مقالة الاب هذه ومقالتهُ التي ادرجها في الهلال ورددنا على بعض ما فيها لا يعجب من غرابة مكتشفاته فقط بل يعجب من مقدرته على عدم توخي الصراحة كأنما هو قد درس فن التوجيه اليأني درساً خصًّا فيختار من ثمَّ العبارات التي يدفع بها اعتراضات الناقد مهما كانت ويظهرهُ بمظهر مَن لا يُحسن فهم فحوى الكلام ولا اقول هذا افتراء على علامتنا الفاضل فانظر كيف بدأ كلامهُ في هذا العنوان بما يوهمك ان العرب اخذوا التعريف بالالف والتاء عن اليونان فلما وصل الى آخر ما جاء به ليحدث هذا الايهام عاد فقال إمَّا ان يكون السلف نفسهُ احدث هذا التغيير واما انهم تلقوهُ عن اليونانيين

وهكذا فعل ايضاً لما اراد ان يقول ان العرب اخذوا التعريف باللام عن الرومان فانهُ عاد في آخر عباراته فقال « فاستعمل السلف نفسهُ اللام التي هي الحرف البارز في الكلمة اداةً لهذه الغاية . ولو اسرَّ على صراحته لكان ينبغي ان يقول (هذه اللام) لا « اللام » وفي « كلتهم » او لفتهم لا في « الكلمة »

واخيراً ادعى الاب ان هذا الحرف (ولكن من يعرف اي حرف يريد الاب هنا؟) « قد وصل الينا في الرقم التي وجدها الاثريون في ديار العرب ». من ذلك الرقيم الذي وجده المنقبون عن امرئ القيس البدء واظن الاب يشير الى ما ذكره عن هذا الرقيم العلامة الاستاذ جويدي في محاضراته للجامعة المصرية المطبوعة في مجلة تلك الجامعة منذ ما ينيف عن خمس عشرة سنة

ايها المحترم ان العلامة جويدي يقول — وفي عصرنا عز المسافرون على كتابات وجيزة خطت على الصخور في النواحي التي بين دمشق والعلى ولغة هذه الكتابات هي العربية القديمة وغالبها كتابة خطت على قبر ملك اسمهُ امرئ القيس الذي مات سنة ٣٢٨ ب . م ويقول ايضاً ان التعريف في كتابات العلى هو بحرف الهاء لا بالالف واللام وتاريخ هذه الكتابة سنة حرب نبط اي في اوائل القرن الثاني المسيحي كما اشرت انت الى ذلك نقلاً عنهُ في الراجح. وبنو الاصفر كانوا في ذلك الحين قد مرَّ عليهم في مخالطتهم بني يعرب مئة وخمسون سنة ونيف ومع ذلك كانت اداة التعريف فيها الهاء واما الكتابة على قبر امرئ القيس البدء فيختلف ما ذكرتهُ انت عنها عما ذكره العلامة جويدي . أنت قرأت او نقلت

في نفس امرئ القيس بن عمرو ملك العرب ذو اسر التاج وملك الشعوب ووكلهُ لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغهُ. واما العلامة جويدي فيقول عنها انها مكتوبة بالاحرف النبطية ولكنهُ يكتبها بالعربية وقد كتبها هكذا

في نفس امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهُ ذو اسر التاج (أَسَر . لَبِس) وملك الاسدين ونزار وملوكهم وهرب مذحج — وملك ابنهُ (وهنا اسمان لا يقرآن) الشعوب ووكلهم فراس للروم (وكلهم جعلهم) فلم يبلغ ملك مبلغهُ هلك سنة ٣٢٨

يظهر ايها الاب ان قراءة جويدي لا تتفق مع قراءتك في ادخال اللام على (فرس) وتكتبها (فراس) ومن الفعل وكلهم اي جعلهم قبلها يظهر ان اللام في (للروم) هي حرف الجر المعروف لا اداة التعريف والذي اراه انا ايها الاب (١) ان قراءة العلامة جويدي اتم من قراءتك وأخلص من شائبة الغرض الظاهرة اظلالهُ في قراءتك او نقلك (٢) لي رأيي الخاص في قراءة اللفظة التي صوَّرها العلامة جويدي هكذا (فراس) واليك هو

ان في الخطِّ النبطي المكتوب فيهِ هذا الاثر صورة واحدة للفاف والفاء ومثل ذلك للسين والشين وهو خلوٌ ايضاً من علامة التشديد . وبناءً على ذلك يصح في هذه الصورة اي « فراس» ان تقرأ فراس. وفراش وفراس وفراش وكلها بالتشديد او بدونهِ وبفتح

الحرف الاول او ضمّه او كسره . وعندي اقتضاء المعنى الذي يناسب الفعل ، وجعلهم ، يجب ان نقرأها تُرّاش للروم. وقُرّاش جمع قارش اسم فاعل من قرش لاهله اي كسب او تجر ويكون معنى ازرقيم ان ابن امرء القيس الذي ملك الاسدين وزار جعلهم اي الاسدين وزار وملوكهم تجّاراً للروم كما كانت قريش قبل الرسالة بل قبل زمان هاشم جدّ الرسول تجّاراً للروم فانهم اخذوا من الروم الايلاف اي الاذن بالتجارة: فكانوا وهم تجار الحجاز بل العربية في ذلك الوقت يحملون تجارة اليمن وحضرموت ونجد وارض البحرين الى سوريا وفلسطين كما كان التدمريون من قبلهم . ولا شك ان ملوك الحيرة من اللخميين كانوا وكلاء على تجارة الروم يحملون العرب على نقل رقائق الهند واطياب حضرموت وذهب اوفير (ارض وبار) وارض بني عقيل ولؤلؤ البحرين من فُرَض خليج فارس الى تدمر ومن هناك الى الروم وربما كان عمالؤهم يبتّرون اليهم هذه الواردات واخصّها رقائق الهند واطياب حضرموت وخيرات اليمن عن طريق عدن الى النقبة ومنها الى سالع او البتراء

(٣) واخيراً اختم مقالتي هذه التي قد طالت جداً بفضل مدّعيات علامتنا الاب انستاس وذكر الآراء المتضاربة جنباً الى جنب على طريقة لا يضارعهُ فيها احد كما اشرنا الى ذلك . ومع انتقادي الشديد هذا على مدّعيات الاب في مقالته هذه لا ازال من المعترفين بمقدار علمه وادبه وفضله

جبر ضومط

عن الجامعة الاميركانية في بيروت

في سبيل العربية

نشرنا في غير هذا المكان من (المقتطف) مقالاً ضافياً للدكتور ابي شادي استعرض فيه اهمّ المباحث الشاغلة للاذهان في هذا الوقت عن نهضة اللغة العربية ، وقد عقّب عليه بنقط تمثّل خلاصة بحثه رأينا ان ننشرها مستقلةً في هذا الباب لتكون اساساً للمناظرة او المناقشة لدى من يشاء من الباحثين والكتّاب. وهذه هي خلاصة البحث كما دوّنها:—

(١) يُرتقب ان تنشأ لغةٌ عالميةٌ بين اللغات الناشئة ، والراجح انها سوف تكون اللغة الانجليزية ، بيد انّ هذا لن يحول دون استمرار اللغات القومية ، كما انّ حبّ اللغة الوطنية لا يعني التجرّدَ من الروح العالمية او ضعفها

(٢) اللغة العربية لسانٌ حيٌّ عظيمٌ ، ولها قدرةٌ مدهشةٌ على التوطّن وعلى التكيّف الاقليمي ، فكونها لسانَ الامم العربية جمعاء لا ينافي اتخاذَها لساناً وطنيًّا لكل

أمة من تلك الامم ، مصطبغةً في كلٍّ منها بالصبغة الوطنيّة التي تلائمها ، كما هو شأنُ تكيف اللغة الانجليزية في بريطانيا وفي اميركا مع ان الاصل واحد

(٣) الجمودُ نحو الماشي اللغة الوطنية والاستهتارُ سيّان في اضعافها ، دون ان تكون من وراء ذلك ادنى فائدة للثقافة العالية ولا لخير الانسانية ، لانّ الطبيعة البشرية لن تكتفي بلسانٍ مشترك بل لن ترى مُغنياً عن الالسنة القوميّة لتكون مستودع اسرار الامم وملجأ احلامها وهمومها وامانيها ، فالخيرُ كلُّ الخير في تفهُّم هذه الحقيقة حتى لا نضيّعَ جهودَنا عبثاً ، فنصون كرامة اللغة وكرامتنا

(٤) العنايةُ الحقّةُ باللغة تُحتّم ان تشمل جزئياتها وكلياتها على السواء في جميع المظاهر ، لان التهاون في المسائل الجزئية قد يؤدّي تدريجيًّا الى افساد الكليات . ومن اجل ذلك تكون اصابةُ الرأي والرجاحة في ان نحفل بكلّ ذي مساس باللغة من خطٍّ وترقيمٍ وطبعٍ وانشاء وتأليف الخ . لان كلّ هذا من المظاهر التي لها اثر في مكانتها بين اللغات بل وفي حياتها

(٥) لا فائدة من المباهاة بسعة العربية ومن التعلّق بذلك إذْ لا جدوى من هذه السعة النظريّة ، وانما الفائدةُ الصحيحةُ والفخرُ المقبول يتّصلان بنشاطنا في تطويع اللغة وحسن استعمالها وسعة تطبيقها في غير تطرُّفٍ او جمودٍ . ولغتُنا رحبةٌ طيّعة ، جديرة بالثقة بها ، وقادرةٌ على مجاراة العصور كما يدلُّ ماضيها الباهر في مدنيّات شتى . فان كان ثمّت قصورٌ فهو في طباعنا واذهاننا ، وليس التعلّق بالفخر الكاذب الاّ نوع من القصور . وليست مجاراةُ الزمن شيئاً ، ولا حرج منها على اللغة ولا مساس بكرامتها ، وحسب مَنْ يشكّون في ذلك ان يتأملوا جهودَ جمعية فقه اللغة الانجليزية للتوفيق ما بين المجائين الانجليزيّ والاميركيّ لاجل مصلحة اللغة ذاتها ، دون ان يُعَدّ ذلك ماسًّا بكرامتها في شيء

(٦) تأليفُ المجامع اللغوية امرٌ ضروريٌّ لبثّ الحياة الدائمة في اللغة ، وانما يتحقّق ذلك متى كانت هذه المجامعُ نواةً تمثّل بيئات الثقافة المتنوعة وتعبر عن آرائها وتحقق رغباتها ، لا ان تكون محافل تعيينية لا صلة لها مباشرة ببيئات العلم والادب الفعالة وكل مزاتها أنها صورة ما تقضي به رغبات الحكام وحدهم !

(٧) القاعدة التقليدية في انشاء المجامع اللغوية ثم تقسيم هيئاتها الى لجانٍ اختصاصية صورية يُنافي طبيعة حاجتنا الملحة ، إذ الواجب أن تكون هذه اللجان هي الاساس في صورة هيئات خارجية محترمة كلٌّ منها متخصصةٌ بعلمٍ او فنٍّ او أدبٍ ، ثم يختار منها

المندوبون تأليف المجمع اللغوي الذي يكون بهذه الكيفية مجمعاً نابضاً بسموع الكلمة قوي النفوذ شديد الصلة بثقافة عصره عظيم الاثر فيها ، وللمجمع بعد ذلك أن ينظم كيانه وأن يوزع جهوده كما يشاء ، ما دام الاساس النيابي الصالح محققاً

(٨) في الامكان عملياً توحيدُ جهود المجامع اللغوية في العالم العربي عن طريق المؤتمرات فضلاً عن المراسلة ، وقد خطت فعلاً لجنة الاصطلاحات العلمية (للجمعية الطبية المصرية) الخطوة الاولى في هذا السبيل . وتدلُّ الظواهر على وجود رغبة عامة صحيحة في تحقيق ذلك ، وهذا ما يؤيدهُ اختباري الشخصي

(٩) لم تنشأ مشكلة الترجمة والتعريب وما يحفُّ بهما من عقبات ومثبطات للعاملين الاَّ من تدخل غير المتخصصين في ما لا يعنيهم من شؤون اللغة ، وبذلك يسيئون الى اللغة التي يدَّعون الغيرة عليها كما يسيئون الى النهضة الفكرية . ولو اننا عينا بتأليف الهيئات الاختصاصية المتنوعة وبتدعيمها وحفظنا لها وحدها الكلمة العليا في ما يخصها من ذلك لَحُلَّتْ المشكلة ووفر الانتاج واستفادت اللغة وشقيَّ العلوم والآداب ولهانت بعد ذلك اعباء المجامع اللغوية ، إذ سيكون جُلُّ العمل موكولاً الى تلك الهيئات وفي مقدمة ذلك تأليف المعاجم العلمية والفنية والادبية المتنوعة ، ولا تكون وظيفة المعاجم سوى توحيد الجهود ، والهيمنة اي الاشراف الاعلى عليها ، والتنظيم والاقتراح ، والحكم بينها في مواضع الاختلاف ، وتنفيذ رغباتها الناضجة في غير تعنت او إبطاء

(١٠) آن الأوان لخير اللغة والعلم معاً بأن نعترف (أسوةً بجميع الأمم المتقدمة) بوجوب استعمال لغتين عليتين : الاولى ذات مسحة أدبية قومية لتستفيد منها جمهرةُ المتعلمين من الحركة العلمية المتواصلة ، والثانية ذات مسحة دولية قوامها التعابير والمصطلحات العلمية السليمة المتعارف عليها بين جميع الامم الراقية لاجل خدمة المتخصصين بهذه العلوم ولاجل خدمة اللغة العربية العلمية ذاتها . وبناء على ذلك تكون الترجمة العلمية الادبية لنشر العرفان العام غير اللغة العلمية الصرفة لخدمة اصول العلم ودقائقه في غير ما التباس . وعلى هذا النحو جرت جميع الامم القوية في عصرنا الحاضر ، وكلها تعتز بلغاتها كما تعتز بعريتها ، ولم تر في ذلك الا خير العلم والادب والانسانية . واما الاستشهاد بأساليب القدامى فيناقي بتاتاً ما تحتمهُ نهضة هذا العصر التي تشب وثوباً فوق كل خيال ، بحيث اتسعت دوائر البحوث العلمية اتساعاً هائلاً جعل قانون الاصطلاحات الدولية العلمية امراً لا مفرَّ منهُ توحيداً للجهود وحرصاً على نفائس العلم ، فان أبينا ذلك فنحن وحدنا الخاسرون

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مقام العلم في تهذيب المرأة

خلاصة الخطبة الانكليزية النفيسة التي القتها الآنسة اليس مرشاق في الحفلة التي اقامتها كلية البنات الاميركية بالقاهرة لتوزيع الشهادات على مستحقاتها في آخر مايو الماضي

في خلال حديث دار بين مدام كامبان والامبراطور نبوليون قال الامبراطور : ان طرق التعليم القديمة لا تجدي نفعاً . فاذا يلزمنا لكي نقوم الشعب تعليماً وافياً ؟

فاجابت مدام كامبان : « أمهات » !

فوقع الجواب موقعاً حسناً لدى الامبراطور فقال : هـذا نظام كامل للتعليم في كلمة واحدة . فلتوجّهْ عنايتك لتدريب الامهات حتى يعرفن كيف يعلمن اولادهنّ

***

ايها السادة : ليست الغاية من حياة المرأة ان تكون زينة لحياة الرجل في ساعات فراغه ولا ان تكون خادمة خاملة خالية من قوى الشعور والتفكير . انها تحيا لنفسها كما تحيا لغيرها . والتبعات الكبيرة التي تلقى على عاتقها في ميدان الحياة تحتاج في القيام بها الى العقل المثقف والقلب العطوف . انها لا تستطيع ان تحقق الغرض الاسمى من كيانها بالمزينات التي تمرّ مر السحاب مهما عظم ما تنفقه المرأة في سبيلها من الوقت والمال . لان هذه المزينات وان حبّبت جمالها وشبابها روعة ورشاقة لا تغني قتيلاً في شؤون الحياة العملية . وما اكثرها في البيت والمجتمع !

واذا نظرنا الى الموضوع نظرة اجمالية وجدنا ان اساليب التعليم التي توافق احد الجنسين توافق الجنس الآخر كذلك . والثقافة التي يتثقف بها عقل الرجل تصقل عقل المرأة وتهذب نفسها . وكلما ارتقت قوى الاثنين — العقلية والنفسية — ارتقاء متناسباً انتظمت اعمال الاجتماع وتمهد السبيل الى الرقي العام

البيت — مملكة المرأة . وهو الركن الذي تقوم عليه الحضارة الحديثة . اذ فيه يتلقى كل مولود ، ذكر كان او انثى ، اعلى مبادئ الخلق والادب او اسفلها . انهُ يتأدب هناك بادب يلازمهُ في حداثته وشبابه وكهولته ولا يفارقهُ الاَّ عند مفارقة الدنيا

***

ان العناية الالهية تعهد بصحة النشء الجديد الى المرأة . فمهما تبلغ من اسمى درجات المحبة والتفاني والعطف لا تستطيع أن تكون ذات اثر مفيد فعال في هذه الناحية من نواحي الحياة البيتية والقومية الاَّ اذا استعدت استعداداً علميًّا وعمليًّا للاضطلاع بعملها الخطير . انها لا تستطيع ان تجعل بيتها مقراً لتعمّ الصحة — صحة الجسد وصحة العقل وصحة الادب — اذا لم تجرِ على مقتضى الشرائع والنواميس الطبيعية التي حققها العلم واثبتها . ان الجهل بهذه الشرائع والنواميس — الجهل بالحقائق الاساسية عن تركيب الجسم البشري ووظائف اعضائه — الجهل بفوائد الهواء الطلق والماء النقي وقواعد الطعام المغذي — كل اولئك اسباب ترجع اليها وفيات الاطفال المروّعة في انحاء العالم، مع ان التقدم الحديث في فرعي الطب المنعي والعلاجي قد مهّد امام الاطفال الذين يولدون في هذا العصر سبيل الحياة الطويلة المفعمة بنعم الصحة . فيجب على كل امرأة ان تفهم فهماً صحيحاً تلك العلوم التي تعلمنا كيف نحفظ اجسامنا وعقولنا — واجسام الذين يعهد الينا بهم وعقولهم — في اكمل حالات الصحة والنشاط . هذه العلوم تحسب الآن ركناً اساسيًّا من اركان التعليم الحديث في مدارس الاولاد والبنات على السواء

***

على ان الانسان لا يحيا بالخبز وحدهُ . وفي البيت عناصر اخرى تؤول الى توفير اسباب البهجة والسعادة لا يمكن ان يوفرها الاَّ عقل امرأة قد تثقف باساليب الثقافة العلمية . فدرس الطبيعة مثلاً ، يكشف للمرأة ولاولادها بواسطتها عن عجائب السموات والارض من جهة، وعن غرائب الحياة في انواع النبات والحيوان من جهة اخرى . وهذه الحقائق هي الركن الذي تقوم عليه اصول التربية الفنية التي لا يستغني عنها في هذا العصر انسان مثقف . وعلاوة على ذلك ان درس الطبيعة يشيع في نواحي البيت نور البهجة والحبور الذي لا يستمدُّ الاَّ من فهم صحيح لطرق الباري في خلقه

***

ولا تنحصر فائدة العلوم للمرأة في البيت والرجل والاولاد بل تتعداهم الى قومها .

ففي كل ميدان من ميادين الحياة العامة تستطيع المرأة ان تتولى زعامة الاصلاح الاجتماعي في كثير من اخطر نواحيه. لقد قيل حقاً ان الفضل في سن قانون منع المسكرات في اميركا وتطبيقه الى حدّ بعيد يعود الى جمعية نسوية تدعى جمعية الاعتدال النسوية المسيحية

ان مقام المرأة الخاص في البيت، وسيطرتها على تهذيب اولادها وتعليمهم، وحرصها في تناول نفقاته وحفظ ميزانيته تمكنها من ان تدرك — كما لا يستطيع غيرها — ان البيت الهنيّ يجب ان يكون بيتاً خالياً من شرور السكر. هذه الصفات تؤهلها بصفة خاصة لمقام الزعامة في مكافحة شر المسكرات وهو من اعظم الشرور التي مُني بها العمران

وزد على ذلك ان اصلاح السجون وانشاء مراكز العناية بالاطفال والملاعب الخاصة بهم للعب والنزهة ووقف الاموال على المستشفيات الخاصة لتوليد الامهات الفقيرات وتأسيس الجمعيات الدولية للتعاون على مكافحة الشرور الاجتماعية وانشاء جمعية الصليب الاحمر التي قدمتها المرأة باستعدادها للبذل والخدمة — كل هذه وجوهٌ من وجوه الاصلاح لا تبحث فيها معاني الحياة والنشاط الاّ اذا عنيت بها لساء تفهم فهماً علميًّا صحيحاً خطر الشرور المختلفة التي يجب القضاء عليها. هذه طائفة من اعمال الاصلاح في كل مجتمع حديث تفسح امام المرأة المتعلمة ميدان الزعامة والخدمة

***

ويكفيني القول في هذا المقام ان العمران الحديث انما هو نتيجة من نتائج التفكير العلمي. فالماء الذي نشربهُ والطعام الذي نغتذي به والدور التي نأوي اليها وكل وسائل المواصلات والمخاطبات التي تربط الافراد والشعوب، بل وكل الوسائل المتبعة في تعليم الصغار وتهذيبهم واعدادهم لميدان الحياة والعمل — كل هذه الاركان وكثير غيرها من وسائل الحضارة انما هي نتيجة التقدم الحديث في المكتشفات والمخترعات والمرأة في كلٍّ منها مكانة خاصة وأثر خطير

هذا هو النداء الذي يوجههُ العمران الى المرأة

لحالتها الخاصة اكبر اثر في حالة قومها العامة. بل ان حالتها عنوان لحالة قومها. فحيث تراها جاهلة ترى الشعب جاهلاً بوجهٍ عام. وحيث تراها متنورة متعلمة ترى المجتمع راقياً. اذ لا يستطيع قوم ان يرتفعوا عن مرتبة وضعوا فيها نساءهم

لذلك اذا علّمتَ المرأة فقد علمت الرجل. واذا وسعت امامها آفاق الحرية العقلية فقد مهدت سبيل الحرية العقلية لشعبها. فالبيت وحدة الامة. والشعب نسيج الامهات

الاجازة الصيفية : سر الصحة والجمال

الرياضة والنوم

جاء فصل الصيف واخذ سكان القاهرة وغيرها من مدن الشرق يهجرونها الى المصايف زرافات ووحداناً . فمنهم من يقصد الى اوربا ليمكث في مدن المياه المشهورة فيها او في المصايف البحرية ليستفيد من الرياضة في الهواء الطلق او الاستحمام في ماء البحر . ومنهم من يقصد الى الجبال جبال لبنان او جبال سويسرا او غيرها من جبال اوربا . ومنهم من يكتفي بالذهاب الى شواطئ الاسكندرية او بورسعيد او رأس البر . فكيف ترى ان تقضي اجازتك يا سيدي الكريم ؟ هل تنتقل من مقرّ عملك حيث تتقيد بقيودهِ الكثيرة الى مصيف تتقيد فيهِ من جديد بقيود اخرى من الزيارات والسهر وحضور الحفلات المختلفة . اذاً فالاجازة لا تجدي نفعاً سواء كانت في الاسكندرية او في صوفر او في شامونى اذ لا يجب ان ينظر الناس الى الاجازة لظرفٍ الى مدة يكسبون فيها صحة بالكيلو . ان الصحة لا تقاس ولا توزن فهي انتظام في وظائف الاعضاء واستجمام للقوى وهذا الانتظام لا يجيءُ الاّ عن طريق الحرية تطلق للاعضاء فتنام حين تشعر بالكرى اخذاً بمعاقد الاجفان وتستيقظ حين تشعر انها اخذت كفايتها من الراحة وتتروض على رمال الشاطئ او في الاودية والجبال وصاحبها باسم مضاحك خالٍ من هموم الدنيا . فاذا انت فعلت ذلك فاجازة اسبوعين تقضيها على ما تقدم اكثر فائدة لك من اجازة شهرين تقضيها في بلدة يؤمها الكبراء فيقضي عليك ان تعيش فيها عيشاً احكم قيوداً وانقل ظلاً من عيش المدينة والعمل الذي فررت منهُ

وما يصحُّ على الرجال يصحُّ على النساء كذلك . فليس شيء كالطبيعة يزيد الجمال . والتروض في الهواء الطلق يكسب الوجه لوناً وبهاء يغنيانهِ عن المساحيق والادهان ويعدّل القد حتى يصير احمل مما يصيرهُ المشد . ومن اراد ان يكون طلق المحيا يتدفق البشر من وجههِ فعليهِ ان ينظر في امر جسمهِ ويجعلهُ نشيطاً بالرياضة . واليق رياضة بالمرأة المشي الذي يكسبها الرشاقة وخفة الحركة وحسن التثني فضلاً عن تورُّد الوجنتين . على انهُ يجب ان يجعل للمشي نظام مخصوص لكي ينفع النفع المطلوب . واللباقة والخفة في

المشي والحركة من مقوّمات الجمال المهمة ورب حسناء ذهبت فجاءة مشيها وثقل حركتها برونق حسنها ورب امرأة يقرّبها لين تثنيها ولباقتها من القلوب مع أنك اذا نظرت الى صورتها الفوتوغرافية لم ترَ فيها شيئاً يجملها من الجيلات. ففي الجمال شيء غير اللون وحسن التكوين . وكثيراً ما تسحرك راقصة على المرسح بخفة حركتها ولباقتها فاذا رأيت صورتها لم تجدها فتاة كما تصورت. فعلى المرأة ان تعرف كيف تحرك يديها وتدير رأسها وكيف تقعد وتقوم . ولا شيء يكسب الرشاقة واللباقة والخفة في الحركة مثل الرياضة البدنية المعتدلة في الهواء المطلق اما الافراط في التروض فيضر بالجمال . فاذا ذهبت سيدتي لقضاء الاجازة الصيفية في بلد من البلدان فلا تُهملي ترويض جسمك بما يتاح لك فيه من اسباب الرياضة ووسائلها. ولتكن الرياضة معتدلة وليكن اقبالك عليها اقبالك على عمل سارّ. فاذا اصبحت تنظرين الى الرياضة لظرك الى واجب يجب قضاؤه فقدت اهم مزايا الرياضة واهم فوائد الاصطياف

والنوم الكافي ضروري لبهاء الطلعة ورونق العينين. وما من احد الاّ ويعرف ضرورة النوم واهميتهُ ومع ذلك يخسر كثير من الفتيات حافيتهنّ وجمالهن بقلة نومهن. فمن كان عليه ان ينهض باكراً وجب عليه ان لا يطيل السهر. ومن كان عليه ان يطيل السهر كالمشتغلات فعليه ان لا ينهض باكراً . ومن يقضي يوماً كاملاً من كل اسبوع في النوم تتحسن صحتهُ ويزداد مظهرهُ رونقاً . وتسهل الاشارة بالنوم ولكن كيف السبيل الى ذلك اذا كان الانسان يقضي وقتاً طويلاً مستلقياً ولا ينفي. ففي مثل هذه الحال قد تفيد اشارة الدكتور الكسندر بريس وهي « اجعل جسمك في الوضع الذي ترتاح اليه اكثر من غيره وهو عادة الاستلقاء على الجانب الايمن مع انحناء قليل في الركبتين. ثم اطبق فكك من غير ان تضغط شفتيك وارخ فكك الاسفل ولسانك واغمض عينيك غمضاً غير عنيف واجعل غطاءك الى ما فوق اذنك اليسرى وبذلك يتمتع احساسك بالنور والصوت وترتخي بعض عضلاتك . ثم ابدأ بارخاء عضلاتك الاخرى بادئاً بعضلات القدمين فعضلات الرجلين فعضلات الفخذين فعضلات الذراعين وذلك بتصورك العضو الذي تريد ارخاء عضلاته جامداً ملقى في الفراش ثم تخيّل ان عينيك تنظران الى بُعد . فتتجهُ افكارك باجمعها الى ارخاء العضلات ولا تلبث ان يطل عليها وتسكن مخيلتك تتفي »

ان الاجازة الصيفية حيثما تقضى يجب ان تمكن الانسان من ان ينام نوماً كافياً لا يتخللهُ اضطراب او انزعاج . فبالرياضة المعتدلة في الهواء الطلق ونور الشمس المنعش والنوم الكافي الخالي من القلق تنتجمُ القوى وتنتظم وظائف الاعضاء ويكسب الانسان قوة ونشاطاً فيعود بهما الى عمله شاعراً انهُ السيد الذي تنقاد لهُ الامور

مصل جديد

اخترع في فرنسا مصل جديد حلَّ محل الدم الذي يلقنهُ الاصحاء للمرضى في معالجة كثير من الادواء — فقد أُعلن حديثاً في اجتماع عقدهُ المجمع العلمي الفرنسي أن الدكتور (ليون نورمه) الجراح بالجيش استنبط مصلاً يضاعف عاجلاً عدد كريات الدم الحمراء في جسم مريض . ويقال ان قاعدة المصل المشار اليهِ بعض أملاح من حامض الليمون . ذلك ان الاطباء أدركوا بالاختبار ان عملية نقل الدم من شريان شخص سليم الى شريان سقيم لا تنجح اذا كانت كرياته في دم المعطي تختلف عنها في دم المعطى فاذا لم يحقق الطبيب من نجاح العملية قبل اجرائها استعمل هذا المصل مكان دم المعطي

ويتوقع الجراح ان هذا المصل لا يستغنى بهِ عن النقل الدموي حيث يتفق دم الواهب مع دم الموهوب لهُ في نوعهِ . الا انهم موقنون بنجاحهِ في انقاذ حياة بعض المرضى الذين لا يجدون مانحاً يمنحهم دماً نقيًّا من أدران الاوصاب وكذا حين يكون القيام بعملية التلقين الدموي في الحال من المحال . وقد اختبر هذا المصل في مائة كلب فقدت مقادير كبيرة من دمائها قابلٌ ٩٥ كلباً منها . ويزعم المطلعون ان تجربته في الخلائق البشرية قد اسفرت عن النجاح . وقد اخذت تستعملهُ طائفة من مستشفيات باريس

حديث صحي — العناية بالاطفال

لباس الطفل

كريم — ارجوك ايها الصديق ان تقول كلمة في ثياب الطفل وانواعها وما يلائمهُ منها في فصل الصيف والشتاء فالآراء فيها متباينة

الدكتور — فائدة الثياب للطفل تكون على قدر مناسبتها لجسمهِ تمام المناسبة فالضيقة تزعجهُ وتقيِّد حركات صدرهِ واعضائهِ في حالتي التنفس والحركة وتضغط على معدتهِ واحياناً تكون السبب في اثارة القيء بعد الرضاعة وامتلاء المعدة . والواسعة تزعجهُ ايضاً فانها تتجعد وتطوي طيات غير متناسقة تحت جسمهِ وهذا التجعد يحدث في الجلد ما يشبهُ القروح

واذا استعملت الدبابيس في بعض ثيابهِ فالحذار كل الحذار لئلا تسبب له المآمن خدش تحدثهُ في الجسم

وفي سائر الاحوال يجب ان يكون قميصهُ من الفانلا الناعمة وكذلك رباط بطنهِ ويجب ان تغطى قدماهُ ولكن من غير ان تقيَّد حركاتهما بهذا الغطاء وفي الصيف يجب ان تكون ملابسهُ قطنية ناعمة رقيقة اما في الشتاء فصوفية ناعمة ويشترط ان يلبس الطفل وهو ملقى على فراشهِ او في حجر والدتهِ

كريم — اية فائدة من حزام البطن

الدكتور — انهُ يسند جدار البطن ويقويه ويمنع حدوث فتاق وحتى تضمن هذه الفائدة يجب احكام وضعه على البطن فتشبكهُ بالقميص من فوق وبالرفادة من أسفل وتجعله عريضاً بمقدار البطن

كريم — كم تقدر مدة استعمال الحزام

الدكتور — يستبدل بهذا الحزام القطني آخر كتاني اضيق منهُ قليلاً في نهاية الشهر الثالث ومدة استعمال هذا تطول الى ١٨ شهراً

كريم — كثيراً ما يقع نظري على سيدة تحمل طفلها وكانها تحمل رزمة ملفوفة من البفتة السمراء ومربوطة بقطعة مزركشة الالوان ولولا بروز قدمي الطفل من طرفها الاسفل لما كان يتبين لاحد انها تحتوي على طفلها فهل من ضرر في تعرية قدمي الطفل فائدة صحية

الدكتور — ليس من فائدة صحية في تعرية قدمي الطفل سواء كان ذلك في الصيف او في الشتاء وهي عادة متأصلة في الام المصرية لجهل تاريخ اتصالها بها وانكر فائدتها ان كان احد يظن ان لها فائدة بل اقول انها مضرة ينشأ عنها الزكام والمغص المعوي والاسهال وغير ذلك من الامراض المزعجة الخطرة . كذلك ليس من فائدة صحية في لف الجسم وتطويقه بكثير من الثياب الثقيلة بل في هذه العادة ايضاً ضرر جسيم والغريب ان معظم الاطفال في مصر وغير مصر يرتدون ثياباً تزيد اضعافاً على ما تحتاج اليه اجسامهم منها

دميانة — كيف نعتني بالفوط

الدكتور — يجب استبدال الفوط او الروافد حال اتساخها او بلها والروافد المبلولة تحفظ في وعاء محكم الغطاء وتغسل في اول فرصة تسنح

دميانة — هل نستعمل فوطة مبلولة مرة ثانية قبل ان نغسلها

الدكتور — لا شك ان استعمال الفوطة مرتين قبل غسلها يسبب تسيطاً وطفحاً مزعجاً فتغيرها عند ما تبتل او تتسخ احفظ لسلامة الطفل واضمن لراحته

دميانة — هل من شروط تذكر هنا في غسيل الفوط

الدكتور — اهم شروط يجب السير عليها في غسيل الفوط هي ان لا تترك حتى تتشف باوساخها بل يجب ان تغسل في الحال غسيلاً يزيل عنها القذارة ثم تحفظ في المكان المعد لها الى ان يتسنى للمربية او الوالدة غسلها وتنظيفها كما يجب وفي جميع الاحوال يجب ان لا تستعمل الفوط الرطبة

باب الزراعة والاقتصاد

انضاج الثمار بالغاز

كان اهل الصين في العصور القديمة ينضجون الفواكه ومنها الكمثرى الفجة بوضعها في غرفة محكمة ثم حرق البخور حولها . فاقتبس علماء هذا العصر ذلك الفن فاخذوا ينضجون الاثمار المختلفة الأنواع بطرق صناعية شتى تقوم بقطف الفاكهة من أشجارها قبيل نضجها ثم اتمام الانضاج بالوسائل الصناعية الناجلة فتكتسب الفاكهة رونقاً وجودة من الطعم فينتفع الزراع ببيعها مبكراً

ومما استخدم لهذه الغاية غاز الإثيلين فنجح نجاحاً باهراً — وقد قام بتجاربه الاستاذ ور . ب . هارڤي من أساتذة مدرسة مينسوتا الجامعة وغيره من العلماء متوخين تسهيل الطريقة ما أمكن كي يستطيع غير العلماء مباشرتها بنفقات قليلة وقد اشرنا الى تجاربه ونتائجها في مقتطف اغسطس ١٩٢٧ صفحة ٢٣٧

وقد تسنى انضاج الموز والطماطم والكرفس والاناناس والبطاوي والبرتقال والليمون الزهير والليمون الاضاليا والليمون الهندي به فجاءت من اشهى ما يؤكل

اصلاح الارض وتحسينها

٢

قد وضعت وزارة الاشغال جدولاً باقطار مواسير الفتحات التي تجيز للملاك وضعها على نفقتهم بالنزع والمصارف العمومية اتماماً ومصبات للمراوي والمصارف الخصوصية — محررة بنسبة الاطيان المنتفعة منها في الوجه البحري ومصر الوسطى عدا الفيوم وستذكر بعد . وقد اثبت الجدول فيما يلي وبازائه القطاعات المناسبة للمراوي بالجهات الشمالية والجهات الجنوبية ومثلها مصر الوسطى محررة بمعرفة محمد بك الالفي من كبار مهندسي وزارة الاشغال بعد تعديلات اجريتها فيها لتتقارب ومشاهداتي الخاصة — هذا عدا ما يجب ان تكون عليه تلك القطاعات مع سائر الظروف التي ستذكر عقب الجدول

قطاعات المراوي

قطر المسورة بالسنتر	مقدار الايمان بالفدان	في الجهات الجنوبية بالسنتر: العمق	القاع	القمة	في الجهات الشمالية بالسنتر: العمق	القاع	القمة
١٠	١٠	٣٠	٣٠	٦٠	٣٠	٣٠	٦٠
١٢٫٥	٢٠						
١٥	٣٠	٣٥	٣٥	٦٠	٤٠	٤٠	٨٠
١٧٫٥	٤٥						
٢٠	٦٥	٤٠	٤٠	٨٠	٥٠	٥٠	١٠٠
٢٢٫٥	٨٥						
٢٥	١١٠	٤٠	٤٠	١٠٠	٦٠	٥٠	١٣٥
٢٧٫٥	١٣٥						
٣٠	١٦٥	٥٠	٥٠	١٢٥	٧٠	٦٠	١٦٠
٣٥	٢٣٥						
٤٠	٣١٥	٥٠	٥٠	١٥٠	٨٠	٦٠	٢٠٠
٤٥	٤٠٥	٦٠	٦٠	١٨٠	٨٠	٧٠	٢٢٠
٥٠	٥١٠	٦٠	٨٠	٢٠٠	١٠٠	٧٠	٢٤٠
٥٥	٦٢٥	٧٠	٨٠	٢٢٠	١١٠	٨٠	٢٧٠
٦٠	٧٦٠	٨٠	٩٠	٢٥٠	١٢٠	٩٠	٣٠٠
٦٥	٩٠٠	٩٠	١٠٠	١٨٠	١٦٠	٩٠	٣٤٠
٧٠	١٠٦٠	١٠٠	١١٠	٣١٠	١٦٠	١٠٠	٣٦٠
٧٥	١٢٢٠	١١٠	١٢٠	٣٤٠	٢٠٠	١٠٠	٤٠٠
٨٠	١٤٠٠	١٢٠	١٢٠	٣٦٠	٢٠٠	١١٠	٤٢٠
٨٥	١٥٩٠	١٢٠	١٤٠	٣٨٠	٢٣٠	١١٠	٤٥٠
٩٠	١٧٩٠	١٣٠	١٥٠	٤١٠	٢٥٠	١٢٠	٤٩٠
٩٥	٢٠٠٠	١٣٠	١٦٠	٤٢٠	٢٨٠	١٢٥	٥٣٠
١٠٠	٢٢٣٠	١٤٠	١٧٠	٤٥٠	٣٠٠	١٣٠	٥٦٠

العادة ان لا ينقص عمق اصغر مروى عن ٣٠ سنتمتراً حتى لا يقسم الطوارى المرض لها بالغيط

الميل ½ الى واحد

الميل ¼ الى واحد

الميل ١—١

هذه الميول في الارض السوداء . اما في الارض الرملية فيجب ان تكون اكثر كما سيذكر في فصل آت

ملحوظة — كلما كان الانحدار اقل كما في الجهات الشمالية لزم ان يكون قطاع المروى اكثر وكذلك نسبة عرض القاع الى العمق لتسهيل جري الماء . اه

هذا عدا ان عمق المروى الخصوصي يتعلق (١) بعمق الترعة السمومية فان فرش ماسورته يصمم غالباً على ان لا يعلو عن قاعها الا بما يساوي ربع عمقها تقريباً أو حسب منسوب التحاريق ليمكن الانتفاع من اوطى منسوب للمياه فيها ان لم يكن بالراحة فبالروافع — فاذا كان عمق الترعة مثلاً فان قاع المروى لا يعلو عن قاعها الا ٥٠ سنتمتراً واذاً يجب ان يكون عمق المروى عن الفتحة ١٫٥٠ م وهذا بفرض ان منسوب سطح الارض بجوار الترعة اوطى من منسوب فيضانها بـ ٢٥ سنتمتراً فقط فاذا كان اوطى من ذلك قل عمقه بحسبه واذا كان اعلى زاد عمقه بحسب زيادة علوه (٢) بمنسوب الارض التي يمر فيها وحساب انحدار القاع فمثلاً اذا أريد انشاؤه بعمق متر في ارض متناسبة الارتفاع مع الانحدار المناسب لتسهيل سيولة الماء فيحفر بهذا العمق ولكن اذا كان بعض اجزاؤه اعلى مما قبله ومما يليه بـ ٥٠ سنتمتراً مثلاً وجب زيادة العمق فيه بهذا القدر حتى يمكن توصيل المياه الى ما يليه ووجب قبل ذلك تعلية جسور الجزء الذي قبله حتى يمكن ان يحمل المياه اليه كما ينبغي

ملحوظات

(١) اقطار المواسير موضوعة بحيث تصمم الترع على ان يمكن ان تعطي للفدان اولاً في مناطق القطن ٣٥٠ متراً مكعباً من الماء في كل اسبوع من اسبوعين في فصل الفيضان (اي رية واحدة كل ١٤ يوماً) حيث لا تقفل الترع السمومية عادة بل يكون الماء فيها اسبوعاً عالياً واسبوعاً واطياً . اما في سائر الفصول فالمياه محدودة بالمناوبات . ثانياً في مناطق الارز ان يكون الري لمدة اربعة ايام من ثمانية اي رية واحدة كل ثمانية ايام اربعة منها دور عالي واربعة منها دور واطي — وفي احوال استثنائية يزاد القطاع لمناطق الارز حيث يجعل التصرف ٦٥ متراً مكعباً بدلاً من ٥٠

(٢) حيثما تكون الارض واقعة على ترعة رئيسية ذات عمق كبير تعطى لها عادة فتحة صيفية تستعمل في الصيف بعمل فرشها كما ذكر قبلاً اما في فصل النيل حيث يعلو الماء كثيراً تستعمل فتحة نيلية اعلى من الفتحة الصيفية وتقفل هذه

(٣) اذا استعملت سحارات بدل المواسير لتعدية ماء الري او التصرف تزاد سعة السحارات نحو ٢٠٪ في الاقطار الكبيرة واكثر من ٤٠ ٪ في الاقطار الصغيرة

(٤) يحمل المروى من الماء اكثر من سعته المحفورة في الارض بقدر ما تحتمله جسوره فوقها حيث يلزم للري بالراحة ان يعلو الماء فوق سطح الارض نحو ٢٥ سنتمتراً او حيث

يلزم تملية جسوره في بعض اجزائه الواطية لتحمل الماء الى الاجزاء العالية التي تليها كما ذكر قبل

(٥) ومما تفيد ملاحظتهُ ان تكون فتحة المروى الخصوصي في اقرب موضع متصل او ممكن اتصاله باول الاطيان حتى يمكن ان تستفيد هذه من اول موضع ممكن من الترعة السمومية فلا يتقدم عليها ما يمكن ان تتقدم هي عليهِ من فتحات الاطيان الاخرى واهم ما يلزم ذلك اذا كانت الترعة السمومية صغيرة (توزيعية) او عليها دوافع كثيرة تؤثر فيما يجاورها

***

جدول عن تصرف المواسير في الثانية بالمتر المكعب ريًّا وصرفاً وعن قطاعات المصارف بقلم محمد بك الالفي

قطر الماسوره	مقدار الاطيان	التصرف في الري	التصرف في الصرف	القطاع عمق بالسنتمتر	القطاع قاع بالسنتمتر	القطاع لحد ١٦٥ فداناً كقطاع مستق صغيرة
٣٥	٢٣٥	٠ر١٣				
٤٠	٣١٥	٠ر١٨				
٤٥	٤٠٥	٠ر٢٣	٠ر٧	٥٥	٥٥	هذه هي القطاعات التي علؤها ماء
٥٠	٥١٠	٠ر٣٠	٠ر٩	٦٥	٦٥	الصرف ولكن يجب ان يكون اصغر
٥٥	٦٢٥	٠ر٣٦	٠ر١١	٦٥	٦٥	مصرف (زاروق) لاصغر قطعة من
٦٠	٧٦٠	٠ر٤٤	٠ر١٣	٧٠	٧٠	الارض خالياً من الماء بعمق نحو
٦٥	٩٠٠	٠ر٥٢	٠ر١٥	٧٥	٧٥	٦٠ سنتمتراً على الاقل ليمكن تجفيف
٧٠	١٠٦٠	٠ر٦٠	٠ر١٨	٨٠	٨٠	التربة واحلائها للزراعة او اكثر
٧٥	١٢٢٠	٠ر٧٠	٠ر٢١	٨٥	٨٥	بحسبما تسمح به حالة المصرف
٨٠	١٤٠٠	٠ر٨٠	٠ر٢٤	٩٠	٩٠	العمومي او اذا كان الصرف
٨٥	١٥٩٠	٠ر٨٦	٠ر٢٥	٩٥	٩٥	بالآلة واذاً يلزم ان يزداد العمق
٩٠	١٧٩٠	١ر٠٣	٠ر٣٠	١٠٠	١٠٠	٦٠ سنتمتراً فاكثر عما هو وارد
٩٥	٢٠٠٠	١ر٢٠	٠ر٣٦	١٠٥	١٠٥	بالجدول اما عرض القمة فحسب
١٠٠	٢٢٣٠	١ر٣٠	٠ر٣٩	١١٠	١١٠	الميل

ملحوظات

(١) لاجل معرفة التصرف في الثانية نورد المثال الآتي : ٢٢٣٠ فداناً × ٥٠ مم للفدان يومياً = ١١١٥٠٠ مم ÷ ٨٦٤٠٠ ثانية الموجودة في ٢٤ ساعة = ١٫٣٠ م م في الثانية هذا في الري

(٢) اما في الصرف فانما يصرفهُ الفدان = ٣٠ ٪ من ماء الري او ١٥ مم ومثلها تتشربه التربة ومثلها يذهب في التبخر و ٥ مم فقد وحساب ١٥ مم لصرف الفدان هو في المصارف العمومية الصغيرة اما في المصارف الخصوصية فاكثر من ذلك وفي المصارف العمومية الكبيرة اقل

(٣) كلما كثرت الفتحات من المروى للري كان تصرفه اتم فالمروى الذي فتحت منهُ (٥) مطلق في الارض لري زرعها يكون تصرفهُ اكثر من الذي فتحت منهُ (٣) مطلق

***

جدول المياه اللازمة يومياً لكل فدان وهو الذي تحسب على موجبه رخص الآلات او روافع الماء

نوع الزراعة		في مصر العليا	في مصر الوسطى	في الوجه البحري
صيفي	قطن	٣٦	٣٠	٢٤
	قصب	٤٠	٣٦	٠٠
	ذره	٤٠	٣٦	٠٠
	ارز	٠٠	٠٠	٦٠
نيلي	ذره	٣٦	٣٠	٢٤
شتوي	قمح وشعير ورسيم وفول الخ	١٦	١٤	١٢

تبني المناوبات الصيفية على ان زراعة الصيف لا تزيد عن نصف الزمام وان يروى القطن رية واحدة كل ١٥ او ١٨ او ٢١ او ٢٤ يوماً وان يروى الارز رية واحدة كل ٨ او ١٢ يوماً حسب حالة المياه

***

جدول قطاعات الترع في الفيوم بقلم محمد بك الالفي وتصرفها باعتبار ان يعطى للفدان الواحد ٣٠ م من المياه يومياً

مقدار الاطيان	التصرف في الثانية بالمتر المكعب	قطاع الترعة العمق بالسنتمتر	القاع	
٤٠٥	١٤ر.	٦٥	٨٥	القطاع اللازم قبل الـ ٤٠٥ فدادين
٥١٠	١٨ر.	٦٨	٩٥	يكون كقطاع مستق صغيرة
٦٢٥	٢١ر.	٧٠	١٠٠	في الفيوم لا توجد فتحات
٧٦٠	٢٦ر.	٧٥	١١٥	عراسير يطبق عليها الجدول السابق
٩٠٠	٣١ر.	٧٨	١٣٠	بل توجد فتحات ذات اعتاب
١٠٦٠	٣٦ر.	٨٢	١٤٠	عرضها بنسبة الزمام لكل ٢٠٠٠
١٢٢٠	٤٢ر.	٨٧	١٥٠	فدان متر واحد اولكل ٢٠ فداناً
١٤٠٠	٤٨ر.	٩٠	١٧٠	سنتمتر واحد ويرتفع الماء فوق
١٥٩٠	٥٥ر.	٩٠	١٧٥	العتب ٥٠ سنتمتراً في فصل
١٧٩٠	٦١ر.	٩٧	١٩٢	الفيضان اما في غيره فحسب
٢٠٠٠	٧٢ر.	١٠٢	٢١٠	حالة المياه
٢٢٣٠	٧٨ر.	١٠٣	٢١٥	

وتروى ارض الفيوم (الا قليلاً) بالراحة في كل فصول السنة وفي المناوبات تتساوى ايام الادارة وايام البطالة وايام الدور العالي وايام الدور الواطي فيكون كل منها ٧ او ٨ او ١٠ حسب حالة المياه ولا يزرع فيها ارز صيني وتعطى مواسير ساعدة لزراعة الارز الليلي وغسيل الارض الملحية في فصل النيل

احمد الالفي

تعتيق الخمر بالكهربائية في ساعتين

ظل الكرامون من الاوربيون مئات من السنين لا يعرفون وسيلة لتعتيق الخمر غير نقلها من برميل الى آخر بالطريقة المعروفة باسم التقطير . وقد اعلن كيماوي فرنسي خبير في صناعة النبيذ استنباطهُ طريقة جديدة لتعتيق الخمر تدور على تعريض الخمر الحديثة الرخيصة لتيار كهربائي متناوب من قوة ١٢٠٠٠٠ فولط فتعتق الخمر وتكتسب في ساعتين فقط طعماً ولوناً لخمر انقضى عليها قرن كامل من الزمان وكل ما تقتضيه هذه العملية وجوب استعمال خمر جيدة لان التعتيق السريع انما هو نتيجة التغيرات الكيماوية التي تحدث في الزيوت المطيبة لها وغيرها من العناصر الداخلة في تكوينها

مكتبة المقتطف

ابراهيم باشا في سوريا

تأليف سليمان بك ابو عز الدين — صفحاته ٣٤٤ مصورة — طبع بالمطبعة العلمية ببيروت

لقد اسدى سليمان بك ابو عز الدين خدمة جليلة لتاريخ الشرق الادنى في الحقبة التي وقعت فيها غزوة جيوش محمد علي لسوريا . وجعل الذين يقرأون صفحاته يشعرون انهم يطالعون تاريخاً محصاً ملخصاً من مئات الروايات والمؤلفات تتبع فصولهُ بعضها بعضاً كانها الحلقات المترابطة في سلسلة تامة التكوين. وقد جعلهُ « تاريخ بدء النهضة الحديثة في الشرق الادنى واحوال سوريا في عهد محمد علي وثورات السوريين ودروز حوران على حكومته وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية ومطامع دول اوربا في البلاد العثمانية »

***

وقف المؤلف الفصول الاولى من كتابهِ على زحفة محمد علي باشا وطموحهِ الى التوسع والاستيلاء على سورية . وبيان اسباب الحملة على سوريا — كطموحهِ لتوسيع دائرة حكمهِ وتوطيد اركانهِ باستخدام ما في سوريا من خيرات ورجال وبابعاد خاصة بلاده عن الحدود العثمانية واقامة حاجز حصين بينهما .. (ص ٥١) وكيف توثقت الرابطة بينهُ وبين الامير بشير الشهابي ويلي ذلك فصلان احدهما يشتمل على وصف حالة سوريا بوجه خاص والسلطنة العثمانية بوجه عام حين بدأ عزيز مصر في تنفيذ عزمهِ والآخر على موازنة بينهُ وبين السلطان محمود الثاني والعوامل السياسية والاجتماعية التي نصرت الاول وخذلت الثاني . وقد نشرنا هذا الفصل برمتهِ في مقتطف يونيو الماضي ص ٣٠ ومنهُ يتضح للقارىء اسلوب المؤلف في استنباط الحقائق التاريخية وسوقها في بلاغة تواتيها سهولة التعبير ووضوح المعنى

ثم عرض للمعارك المختلفة التي خاضتها جيوش محمد علي واساطيلهُ من حصار عكا وفتحها الى معركة الزراعة التي كانت على صغرها — معركة فاصلة لان انتصار ابراهيم باشا فيها شدّد عزائم جنودهِ ومحالفيهِ ونزع الشكوك من نفوس المترددين الذين كانوا يرتقبون رجحان احدى كفتي الميزان . . (ص ٨٣) ثم الى فتح دمشق في ١٦ يوليو سنة ١٨٣٢ الى موقعة حمص الى احتلال حلب في ١٥ يوليو سنة ١٨٣٢ الى معركة بيلان

٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢ (ويلان مضيق واقع على طريق القوافل بين حلب والاسكندرونة) الى معركة قونية في ٢١ دسمبر ١٨٣٢ التي اسر فيها رشيد باشا الصدر الاعظم وقائد الجيوش العثمانية العام واصبح بعدها ابراهيم باشا وكأنهُ على ابواب الاستانة

هذا الجزء من الكتاب يصح ان يدعى الجزء الحربي وفيه وصف المعارك المذكورة وغيرها وصفاً حربيًّا دقيقاً بطالعهُ القارىء متشوقاً لمعرفة ما تكشف عنهُ المعركة من مصير الجيشين المتحاربين وضلعهُ في الغالب مع ابراهيم باشا لما يبديه من الحنكة والبسالة

ولما توغل ابراهيم باشا في الاناضول بلغ النزاع بين السلطان محمود ومحمد علي درجة دقيقة جدًّا جعلتهُ ذا صبغة سياسية عامة واصبحت تسويتهُ خاضعة لمقتضيات السياسة الاوربية. هنا يتم الجزء الاول من الكتاب وهو يشتمل كما تقدم منا على ترجمة محمد علي واستعداده لغزوة سوريا وتفاصيل هذه الغزوة

اما فصول الجزء الثاني فتشتمل على وصف مسهب لحكومة محمد علي في سوريا وترتيباتها الادارية والقضائية والمالية والثورات التي عقبتها التي نشأت عن اوامر محمد علي القاضية باحتكار تجارة الحرير وتحصيل الفرده اي فريضة الرؤوس ونزع السلاح واجراء التجنيد بزيادة الضرائب واهمها ثورة فلسطين والاضطراب في الشام — في طرابلس وعكاء وصافيتا والحصن — وثورة النصيرية (وقد وقعت كلها سنة ١٨٣٤) ثم ثورة دروز حوران (سنة ١٨٣٨) وقد تلا ذلك حوادث سياسية ووقائع حربية خطيرة لا مكان لذكرها

وبالجملة فان كتاب ابو عز الدين بك تاريخ نفيس تقرأهُ فيأخذ بمجامع قلبك كالرواية الشائقة وتعهد معانيهُ بالتمحيص والتدقيق فتجدها مستمدة من مؤرخي العرب والفرنجة بعد احكام العقل في رواياتهم واستنباط الحقائق بالقياس والموازنة

طرابلس الفيحاء

تراجم علمائها وادبائها

تأليف عبد الله حبيب نوفل — صفحاته ٣٠٠ قطع المقتطف — طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام

تراجم الراحلين من العلماء والفضلاء تراثٌ يهتدي به الناشئون . اذ ليس اوقع في نفس الناشيء من الاطلاع على ما في سير الرجال من الفضائل والمناقب فيدرك ان العلى لا تنال الا بالكد والمثابرة وسهر الليالي . وهذه الحقيقة اصبحت من الاركان التي تقوم عليها نزعة خطيرة من نزعات التربية الحديثة . فمدرسو العلوم يرون ان التلميذ المبتدىء لا يستطيع ان يدرك مبادىء العلوم مجرَّدة فيعتمدون الى تجسيمها وضرب الامثلة عليها .

وهم يريدون ان يقرؤه كذلك بالاكباب على درسها فيسردون له سير العلماء الذين كشفوا مبادئها وما لاقوه في حياتهم من المشاق — كضعف الصحة وقلة المال وتنديد المزاحمين بسلمهم — وكيف تغلبوا على كل ذلك . فيشغف التلميذ بما في الترجمة من عناصر الرواية الاخاذة فيقبل عليها اقبال الظمآن على الماء لانها فعلاً تروي ظمأه النفسي فتحبب اليه العلم الذي اشتغل به ذلك الرجل وتغريه بدرسه

وطرابلس من اشهر مدن الشام بعلمائها وادبائها ووفرة المتعلمين فيها من قديم الزمان « وحسبك ان عالماً كابي العلاء تلقى العلم فيها » . وقد قال الدكتور كريليوس ڤانديك « ان طرابلس بلدة العلم والعلماء » . لذلك نرحب بهذا الكتاب النفيس الذي يحتوي على تراجم نحو مائة وخمسين عالماً وادبياً من علماء الفيحاء وادبائها . وقد احسن المؤلف في اختيار الذين لبّوا دعوة ربهم لان ترجمة الاحياء محفوفة بالمصاعب اهمها تعذّر التجرّد في التقدير والنقد لصداقة او نفار بين الكاتب والمترجَم

والكتاب اقرب ان يكون معجماً للادباء والعلماء الطرابلسيين المترجين منه الى كتاب سيَر "Biography" تغلب عليه الصبغة المدرسية التهذيبية التي قدمنا ذكرها في هذا الكلام . وحبذا الحال لو اختار المؤلف عشرة او عشرين من المترجين في هذا الكتاب وتوسع في كتابة سيرهم حتى تشمل السيرة ٢٠ صفحة مثلاً لكي يتسع امامه مجال التحليل والتصوير — تحليل الصفات والمناقب التي امتازوا بها وتصوير آثارهم في ميدان الفكر الذي جالوا فيه . اننا لا نحط المعاجم قيمتها وفائدتها ولكنها تخلو من شملة الحياة تتلظى في سطورها . وهذا ما يطلب لاغراء النشء بالمطالعة . فاذا كان القصد من الكتاب جعله مرجعاً يرجع اليه فؤلف الاستاذ نوفل من خيرة المؤلفات في موضوعه واذا اردنا به ان تبث في نفوس اولادنا واخوتنا حب التاريخ القومي والاعتناء بسير رجاله فيجب ان يعاد النظر في بعض السير المقتضبة التي نشرت فيه . وللكتاب مقدمة حسنة في تاريخ الفيحاء من اقدم الازمنة الى الآن

خطط الشام

دائرة معارف تاريخية — بقلم الاستاذ كرد علي — الجزء السادس — صفحاته ٤٢٨ قطع كبير ثمنه ٣٠ قرشاً — طبع بمطبعة المفيد بدمشق — يباع في المكتبة السلفية بمصر

اطلع قراء المقتطف على طائفة مختارة من مباحث هذا الجزء وكونوا لانفسهم فكرة صادقة عن موضوعاته واسلوبه وبه انتهت اللجنة التي أُلفت لنشر الخطط من عملها واعلنت عن عزمها على نشر معجم الخطط في وصف البلدان والقرى والجبال والاودية

والانهر والبحيرات وغير ذلك وهي مؤلفة من حضرات السادة بدر الداغستاني وخليل مردم بك وسامي العظم وفخر البارودي وفوزي الغزي ولطفي الحفار فترجو ان توفق في نشر المعجم كما وفقت في نشر الخطط

ولقد تيسر لحضرة الاستاذ الكبير محمد كرد علي بك وزير معارف سورية ورئيس المجمع العلمي العربي ما لا يتيسر لغيره من وفرة المراجع فضلاً عما يؤثر عنهُ من دقة في البحث وانصاف في الحكم وتحري الحقائق وسعة في المعلومات والمعارف مما جعل خططهُ في مقدمة الموسوعات التاريخية الموثوق بها

وباحث هذا الجزء خاصة بالتاريخ المدني ففيهِ وصف مسهب للبيع والكنائس والديرة ومنشئها واعظمها واقدمها ووصف اشهرها في البلاد الشامية وعمل الرهبان والراهبات . والمساجد والجوامع في اول الفتح واشهرها في البلاد الشامية . والمدارس ودور القرآن والحديث ومدارس المذاهب الاربعة والمدارس الحديثة والطبية وغيرها والخوانق والربط والزوايا والمستشفيات والبيمارستانات ودور الآثار والمتاحف . ودور الكتب والاديان والمذاهب واديان القدماء . والاخلاق والعادات عند الدمشقيين والحلبيين واللبنانيين وغيرهم . وفي نهاية الجزء سيرة مؤلفه الفاضل بقلمهِ وحسب القارئ هذه المباحث وما تفرع عليها ليدرك قيمة الكتاب مما لا يتيسر للباحث الوقوف عليها الا في كتب متفرقة

وللاستاذ كرد علي كلمة تلهف فيها على العبث بالمدارس وغيرها . فبعد ما التى اللوم على الحكومات والامة الذين سهلوا للعابثين والسارقين والمقوضين لتلك المدارس والعاملين على انتهاك حرماتها عمهم قال :

« اضاع الخلف ما ابقاه السلف معموراً زاهراً من المدارس التي كانت في العصور الغابرة غاية ما وصل اليهِ العقل البشري ظرفاً ومظروفاً وبها اثبت اجدادنا قبل القرون الوسطى انهم كانوا شيئاً مذكوراً في اتقان الهندسة والبناء وانهم على جانب من سلامة الذوق وانهم حراص على مجد امتهم وان الاعمال العظيمة لم تقم بنفسها لو لم تفكر فيها عقول كبيرة وما كانت تلك المدارس تعمر لو لم يدرس فيها نوابغ من رجال العلم والآداب ولو لم تكن ذات قانون معقول . نعم لم نعرف سر هذه الصناعة التي مثلها لنا هذه المدارس ولعلهُ يقوم في الجيل المقبل من ابنائنا علماء بالآثار والبحث يكشفون سر اعمال الاجداد كما توفر علماء الآثار في اوربا مائة سنة حتى كشفوا لامتهم اسرار البيع العظمى التي قامت في قارتهم خلال القرون الوسطى ، وعسى ان يبرهن الباحثون منا انهُ لم يقم في الارض

شيء من العظمة الاكان الى جانبه عظماء يتعهدونهُ ويعذونهُ بعادة عقولهم ، ويفيضون عليه من معين قرائحهم »

هذا ونود ان تلفت نظر اعضاء اللجنة التي وقفت على نشر الخطط ومؤلفها الفاضل الى انهُ كان يحسن عمل فهرس عام للخطط كلها ليسهل على الباحث الوصول الى غرضه في اقرب وقت وعسى ان ينشروا هذا الفهرس في كراس خاص قريباً ليتم عملهم المفيد فهذا امر لا غنية عنهُ اذا اريد استكمال الفائدة والله الموفق م . ر

جغرافية مصر في العهد العربي

ظهر القسم الثاني من الجزء الاول سنة ١٩٢٨ من كتاب جغرافية الوجه البحري المعروف عند جغرافيي العرب باسم اسفل الارض اخرجهُ الامير الجليل عمر طوسون للناس كتاباً علمياً حافلاً جديراً بان يحمل اسمهُ الكريم

يبدأ هذا القسم الثاني بالفصل الثالث متكلماً عن عصر المديريات الكبرى بعد ما تقدم له بمقدمة عن التغير الاخير الذي حدث من الوجهة الادارية في التقسيم الجغرافي بالوجه البحري اثناء حكم العرب . وفي الحق ان هذا القسم ظل معمولاً بهِ لغاية الوقت الحاضر الا في اختلاف قليل ضئيل. يقول سمو الامير ، نعرف تاريخين حصل فيهما هذا التغير :—

الاول — الروك الحسامي الذي تم في مدة تملك السلطان المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٨ م) وقد تكلم عنهُ المقريزي في الجزء الاول صحفة ٨٨ حيث قال ان المنصور امر بمساحة اراضي مصر . كذلك قال ابن اياس (جزء اول ص ١٣٧) انهُ في سنة ٦٩٧هـ أمر بمساحة الاراضي وهو المعروف بالروك الحسامي حيث بدئ بهِ في ٦ جمادى الاولى سنة ٦٩٧ (٢٠ فبراير سنة ١٢٩٨) وكان الرئيس المدعو التاج الطويل الذي شرع بعمل الكشوف المبين بها مسافة اقسام البلاد المختلفة واسماؤها

الثاني — الروك الناصري الذي أمر بعمله السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ (١٣١٥ م) وقد ذكره المقريزي في الجزء الاول ص ٨٨ واشار اليهِ ابن اياس (اول: ١٥٩) في حوادث سنة ٧١٥ للهجرة و ١٣١٥ م

ومن المهم ان يذكر عدد الاقاليم وتقسيم المديريات حسب الترتيب الهجائي اخذاً عن كتاب التحفة السنية باسماء البلاد المصرية للشيخ الامام شرف الدين يحيى بن المقرّ بن الجيعان مستوفي ديوان الجيش المتوفى في جمادى الثانية سنة ٨٨٥ (اضطلس سنة ١٤٨٠م) وهي:

١ — البحيرة — ٢ — الدقهلية — ٣ — ضواحي ثغر دمياط — ٤ — ضواحي

ثغر الاسكندرية — ٥ — ضواحي القاهرة — ٦ — الغربية — ٧ — جزيرة بني نصر — ٨ — القليوبية — ٩ — المنوفية — ١٠ — قوة والمزاحمتين — ١١ — استراوه — ١٢ — الشرقية . وهكذا اصبحت الاقاليم الصغرى التي كان عددها ٢٢ مجتمعة في ١٢ اقليماً

(١) فالبحيرة كان بندرها دمنهور (٢) والدقهلية مع المرتاحية مجتمعتين بندرها المنصورة طناح او اشمون الرمان (وكان مركز ميت غمر الحالي وجزء من مركز السنبلاوين تابعاً للشرقية) (٣) ضواحي ثغر دمياط بندرها دمياط (٤) ضواحي ثغر الاسكندرية مع رشيد وشاطئ البحر الى ادكو شرقاً وغرباً لوبيا وبوق وسترويا (بواحة سيوة) بندرها الاسكندرية (٥) ضواحي مصر بما جاورها شمالاً وعاصمتها القاهرة (٦) الغربية كانت مكونة حسب التحديد الوارد في الجزء الخامس من كتاب الانتصار لابن دقماق من جزيرة قويسنا والسخاوية والتمريسية والطنطيدتوية والسمنودية والدنجوية والمنهورية (وقال القلقشندي في صبح الاعشى بمحو نستراوه) وبندر المدبرية المحلة الكبرى (٧) جزيرة بني نصر دخلت في زمام المنوفية كما قال القلقشندي وكان بندرها ابيار (٨) القليوبية كما هي الى اليوم وبندرها قليوب (٩) المنوفية كما هي واضيف اليها بعد سنوات جزيرة بني نصر وبقي بندرها منوفية كما كان في العصر الذي قبله

(١٠) قوة والمزاحمتين كما هي (والحد الفاصل كما يقول القلقشندي بينها والبحيرة ترعة الاسكندرية) بندرها قوة (١١) استراوه كما كانت في العصر السابق ولكن اقليم رشيد ضم الى استراوه التي اختفت واختفت بعد ذلك بالغربية وكان بندرها استراوه (١٢) الشرقية كما كانت وانضمت اليها القاقوسية وبقي بندرها بلبيس

بعد ذلك اتى سمو الامير بجداول مفيدة عن المساحات المزروعة واموالها بلغ ١٦٤٠ ناحية لم يجهل مربوط المال في غير ٢٩ ناحية منها وفي نهاية الكتاب خرائط ملونة بديعة لاسفل الارض حسب الروك الناصري وخريطة للمديريات واخرى للمراكز مما يزيد في قيمة المؤلف الجامع المانع بارك الله في همة سموه وكل عامل مجتهد توفيق اسكاروس

الشيخ محمد عبده

تأليف الاستاذ احمد الشايب — صفحاته ٦٤ من القطع المتوسط — طبع بمطبعة الاسكندرية بالمطارين

يعد الاستاذ احمد افندي الشايب — استاذ الادب العربي بالمدرسة العباسية الثانوية — من خيرة كتاب مصر المتذوقين لجمال الادب العربي الى جانب شغفه بالادب الاوربي مما

ساعدهُ في دراساته المتنوّعة المنشورة في الكتب والمجلات على ان يتحفنا بالشائق من الاسلوب انصافي ، وبالمتع من نظراته الادبية الحرّة . ومن انفس ما قرأناه لهُ من الدراسات الادبية مقالاته النقدية للغزل في تاريخ الادب العربي للبهاء زهير وابن حمديس والشريف الرضي فضلاً عن الشعراء المعاصرين . وقد اتحف الادباء اخيراً بدراسته للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وهي دراسة تاريخية ادبية صرفة لعلّها الاولى من نوعها من مشربها ومنهجها باسلوب سلس رائق جدير بفضل الاستاذ المؤلف ومنزلة المترجم لهُ . وما لشك في ان كتابهُ سيقرأ باهتمام وتقدير في البيئات الادبية كما يُعنى بدراسته في معاهد العلم . وهو مطبوع طبعاً فاخراً ومصدّر بصورة الاستاذ الامام

عوائد العرب

تأليف المرحوم الخوري بولس سيور اليوناني — صفحاته ١٦٩ — طبع بمطبعة القديس بولس بحريصا لبنان

يشتمل هذا الكتاب النفيس على دروس اخلاقية وكتابية نفيسة ، حوت في تضاعيف سطورها ايضاحات دقيقة وفوائد جمة في عادات العرب ووجوه التشابه التي بينها وبين عادات الشعب الاسرائيلي قديماً . وهو مما لا يستغني عنهُ كل من اكبَّ على مطالعة الكتب المقدسة او احب الاطلاع على اخلاق فريق من ابناء البلاد السورية وعاداتها

ومن الموضوعات التي طرقها المؤلف عادات العرب في الطعام والمسكن واللباس والزواج والمرأة والقبائل والقضاء والحماية وما يقابل ذلك عند اليهود معززاً بالشواهد والاسانيد من الكتب المقدسة . ومن الغرائب التي ذكرها المؤلف قولهُ صفحة ١٠٢ تحت موضوع الولادة عند العرب « وقد حكى لي احدهم ان امرأة بدوية كانت تحصد ذات يوم مع الحصادين واذ شعرت بدنو ساعتها وانفردت الى ناحية هناك ووضعت ابنها وخبأتهُ في كومة تبن . ورجعت الى شغلها من الحصيد كأنها لم تجر شيئاً . وعند المساء حملت وليدها بطاقة التبن الى بيتها »

الخرسانة المسلحة

اهدى الينا المهندس المعماري المشهور عزيز بك خلاط كتاباً هندسيًّا نفيساً في الخرسانة المسلحة عرض فيهِ لوجوه الموضوع النظرية والعملية وضمنهُ جداول مفيدة جدًّا مبنية على اتم التراسخ والاختبار الواسع لا بدَّ ان تصير مرجعاً للمهندسين وغيرهم من الذين يباشرون اعمال البناء بما تحتوي عليهِ من الفوائد الجزيلة

التربية بالقصص

تأليف حامد القصبي المهندس — صفحاته ٦٤ قطع صغير — طبع بمطبعة بنك مصر

الغاية من هذا الكتاب تهذيب الاطفال بمطالعة قصص تتضمن المبادىء الادبية العالية بحسنة فيفهمونها بدلاً من ان تساق اليهم مجردة في خطبة او عظة فلا يدركون ما يريدهُ الخطيب او الواعظ . وقد اشار المؤلف الى ذلك حيث يقول « . . . ذلك لاني في مطالعاتي في الكتب الانجليزية عثرت على عدد كبير من القصص التهذيبية التي تتضمن الحكمة والموعظة الحسنة في اسلوب شائق وعبارات خلابة يقصد بها الى تربية الناشئين تربية خلقية سهلة . فعوَّلت على ترجمتها لاعطي منها صورة واضحة لطالبات مدارسنا وطلابها . . . الخ »

ولما كانت الغاية من هذا الكتاب وما هو من قبيله وضعهُ بين ايدي الاطفال لمطالعته والاستفادة منهُ فيستحسن ان تكون محتوياتهُ خالية من كل لفظ خارج عن المألوف . واكثر القصص انكليزية والمانية وحبذا الحال لو اضاف اليها المؤلف بعض القصص المستقاة من مصادر عربية فللخلفاء وغيرهم من افاضل العرب قصص ونوادر توازي على الاقل نوادر « فردريك الكبير » و« سوفيت » و« جورج الثالث »

محاورات رينان الفلسفية

تأليف الفيلسوف ارنست رينان — ترجمة الاستاذ علي ادهم — صفحاتها ١٦٢ مطبعة النعمان

الاستاذ علي ادهم كاتب بليغ جزل الالفاظ صافي الديباجة حسن الاطلاع على المذاهب الفلسفية يسوق اليك مبادئها في غير كلفة او عناء . لذلك تفتح كتابهُ هذا لتقرأ جانباً من مقدمتهِ في سيرة رينان وفلسفتهِ — وانت تحسبها الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب — فتسترسل في قراءتها لما تحتوي عليهِ من المعاني البديعة في اسلوب بليغ . ففي الصفحات التي يوازن فيها بين كارليل ورينان تقع على نموذج من كتابتهِ بلغ فيهِ حدَّ الاجادة معنىً ولفظاً

اما محاورات رينان فغنية عن الوصف لشهرتها ، وهي تحتوي على موجز لمعتقداتهِ الفلسفية في شكل محاورات لان المحاورة تسمح للانسان ان يتناول الوجوه المختلفة للمسألة دون ان تضطرهُ الى حكم جازم في الموضوع . وقد عني المترجم جهدهُ في تحري الامانة في النقل « لاني لم استطع ان اسيغ فكرة التصرف في الترجمة » . فالكتاب تحفة فلسفية ثمينة وعسى ان يكون لهُ بين الادباء والمفكرين المكانة التي يستحقها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله انيا فليكرره سائله وان لم نخرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كان

(١) الشبان والشيوخ

مصر . هل من مصلحة الامم ان توكل اعمالها الى شيوخها او الى شبانها

ج . يتعذر تعيين الحد الفاصل بين الشباب والشيخوخة . فقد كان اللورد كرزون يحسب شاباً حين تقلد منصب حاكم الهند مع انهُ كان في الاربعين من عمره . وحسب الناس الرئيس روزفلت شاباً حين تسلم مقاليد الرآسة في الولايات المتحدة بعد وفاة رئيسه مكنلي مع انهُ كان حينئذٍ في الثالثة والاربعين من عمره . والولد البالغ الثامنة من عمره ينظر الى الرجل البالغ الثلاثين ويحسبهُ شيخاً طاعناً في السن ولكنهُ حين يبلغ هو سن الثلاثين يتذر بصغر سنه عما يبدو منهُ من الطيش وزرق الشباب . لذلك تتعذر الاجابة عن سؤالكم جواباً دقيقاً . انما يقال بوجه الاجمال ان الشبان يتصفون بالقوة والهمة والرقة والشيوخ بالحكمة والحنكة وزن الامور بموازينها . فالامنية المثلى التي تنشدها كل امة هي طائفة من الشبان في حكمة الشيوخ ورزاناتهم او طائفة من الشيوخ في همة الشبان ونشاطهم . والمرجح ان سنّ الحداثة يتقدم بتقدم الحضارة حتى لقّب بعض الناس هذا العصر بعصر الشبان مع اننا لم نرَ فيه من الشبان النوابغ مَن أتى من الاعمال المجيدة ما هو خليق بان يقابل باعمال داود والاسكندر وبونابرت وشلي وكيتس وموزار وفوكس وبت وغيرهم . ولكننا نرجح انهُ اذا احصيت اعمار الرجال المتولين اكبر مناصب الادارة والسياسة والمال والتعليم في اوربا واميركا وجد متوسطها اقلّ من متوسط اعمار الذين كانوا يتولونها منذ قرنين . واشهر مثل على ذلك المستر پاركر غلبرت الذي تولى تنفيذ مشروع دوز فانهُ كان في الحادية والثلاثين من عمره حين تقلد

هذا المنصب مع ان مستقبل اوربا الاقتصادي — او بالحري مستقبل العالم — كان متوقفاً على احكامه وقراراته حتى دعاه بعضهم قيصر اوربا الاقتصادي . وبالامس قرأنا ان الاميركيين ولّوا فتى يدعى هنشز في الثلاثين من عمره رآسة جامعة من اكبر جامعاتهم هي جامعة شيكاغو وقد كان قبيل ذلك عميداً لكلية الحقوق بجامعة ياىل . فمصلحة الامة تقضي بان تقلّد شيوخها المناصب التي يحتاج تقلدها الى خبرة وحنكة وتعقّل وان تجعل مساعديهم من الشبان المتفوقين في قوة العقل وقوة الخلق فيأخذون عن رؤسائهم اساليبهم في معالجة الامور حتى اذا انفسح أمامهم ميدان العمل ساروا فيه جامعين بين حكمة الشيوخ وهمة الشبان . والبلاد التي تطفئ الروح الدمقراطية في طبقاتها تفسح مجال الظهور للشبان النوابغ لان الترقي فيها نصيب الجدارة لا نتيجة الاسبقية

(٢) النائبات الانكليزيات

طنطا . ما هو عدد النساء اللواتي فزن بالانتخاب لعضوية مجلس النواب البريطاني في الانتخاب الاخير والى اي الاحزاب ينتمين

ج . في مجلس النواب البريطاني الذي انتخب في ٣٠ مايو الماضي ثلاث عشرة سيدة تسع منهن ينتمين الى حزب العمال وثلاث الى حزب المحافظين وواحدة الى حزب الاحرار . واشهر هذه السيدات دوقة اتول وقد كانت سكرتيرة برلمانية لمجلس التعليم في وزارة المحافظين الاخيرة . واللايدي استور وهي اميركية الاصل واول امرأة انتخبت لمجلس النواب البريطاني (١٩١٩) واللايدي ايفيا Iveagh واللايدي استيا موزلي ابنة اللورد كرزون والمس ميجان لويدجورج ابنة زعيم الاحرار وعمرها ٢٧ سنة والمس مرغريت بندفيلد التي تقلدت وزارة العمل في وزارة العمال الجديدة وقد كانت وكيلة لها في وزارة العمال السابقة . وهي اول سيدة انكليزية تقلدت منصب وزير

(٣) كتاب تربية الدواجن

الاسكندرية . اين يوجد كتاب تربية الدواجن او اي كتاب لعلم تربية الدواجن

ج . نظنكم تشيرون الى كتاب تربية الدواجن الذي وضعهُ الامير مصطفى الشهابي مدير املاك الدولة بدمشق الشام وقد سبق للمقتطف نشر فصولا منهُ . هذا الكتاب لم يظهر بعدُ ولا نعرف كتاباً عربيًّا غيرهُ في الموضوع

(٤) زراعة التبن

شوشتر ايران . كيف يزرع التبن وكيف يروى واي ارض اصلح لزراعته وما هو ميعاد زراعته وما هو تاريخهُ

ج . المقام لا يحتمل التبسط ولكن

اليكم اهم الحقائق عن البن وقد نشرنا مقالة مسهبة في جزء سابق سنعود الى نشرها في الجزء القادم اتماماً للفائدة

البن العربي وجد اولاً في بلاد الحبشة ونقل منها الى بلاد العرب ثم الى غيرها من البلدان الحارّة. واكتشف البن بريًّا في غرب افريقية ثم نقل منها الى جزائر الهند الغربية. ولنباته جذور طويلة لذلك يطلب الارض العميقة التربة

يؤخذ بزر البن الذي لا يزال في قشره البرّاني ويزرع في مساكب مثل مساكب التوت وبعد مضي سنة يقلع بطينه وينقل الى حيث يراد زرعهُ وفي السنوات الثلاث الاولى تكون غلتهُ طفيفة وبعد ذلك تكثر. وشجر البن يشبه شجر البرتقال ولكنهُ لا يكبر مثلهُ فلا يزيد علو الشجرة الى اربعة امتار وورقهُ مثل ورق البرتقال وزهرهُ زكي الرائحة كزهره

(٥) عمر الارض

اندياناپوليس بالولايات المتحدة. بماذا يقدر عمر الارض الآن؟

ج. احدث تقديرلهُ ٣٤٠٠٠٠٠٠٠ سنة وهو للسر ارنست رذرفورد العالم الطبيعي الطائر الصيت صاحب المباحث المشهورة في بناء المادة الكهربائي

(٦) الانسان والطيران

باهيا البرازيل. هل للانسان اثر يذكر في ترقية الطيران من وجهتيه العلمية والصناعية فاننا لم نسمع ان عالماً او مستنبطاً منهم اشتهر بين زعماء هذا الاسلوب الجديد من اساليب النقل والانتقال. ولكننا قرأنا مؤخراً ان اثنين من طياريها وهما فرانسسكو جمز واغناتسيو ايغليسياس طارا من اشبيلية باسبانيا الى باهيا بالبرازيل. ولا بدَّ انكم قرأتم عنهما او رأيتموهما. وقد كان غرضهما ان يطيرا الى ريوده جانيرو فنفد بنزين الطيارة فنزلا في باهيا

(٧) السبرمان

بغداد. هل ترجمت رواية برنارد شو التي عنوانها «مان آند سوبرمان»

ج. لم نسمع انها ترجمت. ولكن برنارد شو يقدم لكل رواية من رواياته بمقدمة مسهبة يتناول فيها الاغراض العلمية والفلسفية التي تنطوي عليها الرواية. وقد ترجم مقدمة هذه الرواية او لخصها الاستاذ سلامه موسى منذ نحو عشرين سنة. اما لفظة السبرمان فقد وضعها برنارد شو ليدل فيها على الانسان المنتظر نشوؤهُ من الانسان الحالي وتكون نسبتهُ الينا كنسبتنا الى القرود

باب الأخبار العلمية

احلام وحقائق

هذه صورة فنية بديعة نشرتها احدى المجلات الاميركية مصورة بها مدينة المستقبل — وهي لا تختلف كثيراً عن نيويورك الآن — رامزة الى الحضارة العلمية الصناعية وفوزها في مختلف ميادين العمران . فانت ترى ان مباني المدينة صروح ممردة وطرق المواصلات بينها طيارات كبيرة وصغيرة وبلونات مسيّرة ضخمة وجسور معلقة وبواخر كالتي البروج السائرة تؤم مرفأ المدينة وتقلع منهُ . اما عجائب العلم والاستنباط التي كانت احلاماً بالامس واصبحت اليوم حقائق لا يلتفت لها الناس لانهم الفوها فلا يمكن ان تظهر في هذا الرسم المصغر . والواقع ان ارتقاء العمران منذ قامت اركانهُ على العلم والصناعة متآخيين متآزرين كان ارتقاء سريعاً يتعذر معهُ التنبؤ بما يكنهُ الغد في ثنايا . قد كنا نحسب قبل بضع سنوات ان مخاطبة صديق لنا يفصل بيننا وبينهُ بحرٌ خضم حلمٌ يصحُّ لو صحت الاحلام . فاذا نحن اليوم نخاطبهُ ونراهُ في آن واحد . واذا رائد متقدم يحلق بطيارته فوق القطب الجنوبي ويتخاطب منها مع مدينة نيويورك التي تبعد عنهُ نحو عشرة آلاف من الاميال . وكلُّ هذا قد تمَّ في السنوات العشر الاخيرة بل في الخمس الاخيرة منها . وهذه المدة اذا قيست بتاريخ الارض منذ تكونها الى الآن كانت اقلُّ من ثانية في قرن . ولما كان هذا النوع من البحث يغري العقول بالمطالعة والاستقصاء لما يثيرهُ فيها من الدهشة والاعجاب رأينا ان نذكر من حين الى آخر بعض عجائب المستنبطات والمكتشفات تحت هذا العنوان

عصر الانسان او عصر الحشرات

يودُّ كل من الناس ان يتصور ان الانسان سيد المخلوقات وان الوفاً من السنين قد انقضت عليهِ وهو كذلك . ولكن العلماء يهزأون من دعواه . فان احدهم يذهب الى اننا لا نزال في عصر الحشرات

واذا كنت في ريبة مما نقول فوجه السؤال الى الدكتور هورد احد علماء قسم الحشرات بوزارة الزراعة الاميركية. انهُ يسرد لك الدليل اثر الدليل — وكل ادلته مؤيدة بالتجارب والارقام — ان الانسان لم يتغلب على الحشرات بعدُ في النزاع بينهما للسيطرة على الارض. (القطر المصري وحدهُ يخسر ما قيمتهُ اكثر من سبعة ملايين من الجنيهات بسبب الحشرات التي تفتك بمزروعاته رغم الوسائل العلمية التي تتخذ لمكافحتها) فالحشرات تفتك بخشب بيوتنا وتسطو على مزروعاتنا فتتلفها وعلينا وعلى حيواناتنا فتفشو فيها الامراض الخبيثة فاذا شئنا ان نتغلب على جاهيرها وجب ان ننفق على ذلك اكثر مما تنفقهُ على كل اساطيلنا. ومتى قرنا عليها في هذا الكفاح اصبنا ابداناً وكنوزاً تفوق كلَّ ما افتتحهُ وغنمهُ القواد العظام امثال الاسكندر وقيصر ونبوليون. واذا لم نفُز بشيء الا باسترداد المناطق الاستوائية والسيطرة عليها فكفانا غنيمة

هذا حلم من احلام العلماء اليوم. ولا بد ان نفوز بتحقيقهِ في المستقبل القريب «ان غداً لناظرهِ قريب». ان جنود العلم معبأة الآن لمكافحة المكروبات وغصن النصر كاد يلتوي بين ايديهم. واليك احدث الانباء من ميادين المعركة: لقد فاز الدكتور كرمس Kremse المهندس الالماني باستنباط مادة كيماوية لتنقية مقادير كبيرة جداً من الماء بنفقة قليلة. وجامعة خرايفسولد تؤيد ما يدّعيهِ. فاذا وضعنا ما وزنهُ غرام ونصف غرام من هذه المادة في ١٢ الف مليون لتر من الماء نقتها من المكروبات وطهرتها من سمومها. انك اذا اخذت هذا المقدار من الماء وصنعت منهُ بحيرة لبلغ طولها ميلاً وعرضها الفي قدم وعمقها ٣٥ قدماً. فسلام على الحمى التيفودية! وسلام على كل الامراض التي تنقل مكروباتها بالماء!

اننا ننتظر عالماً يفعل بالحشرات المضرة ما فعلهُ هذا العالم بمكروبات الماء

نزهة الى فندق نبتون

نبتون في خرافات اليونانيين الهُ البحر. ويؤخذ من انباء اميركا انهم شرعوا يبنون مطيراً في المحيط الاتلنتيكي على ٣٠٠ ميل الى الجنوب الشرقي من مدينة نيويورك طولهُ ١٢٠٠ قدم وعرضهُ ٤٠٠ قدم وعلوهُ عن سطح البحر ١٠٠ قدم. وعلى هذا المطير ينتظر ان يبنى فندق ضخم يحتوي على مطعم تستطيع ان تتناول فيه اشهى المآكل. هذا هو مطير ارمسترلغ الذي وصفناهُ وصفاً مسهباً في مقتطف فبراير الماضي وصورناهُ. وهو حلُم كان يجول في عقول الرواد الشجعان من الطيارين الذين يحلمون بجعل الطيران بين اميركا واوربا امراً مألوفاً. انهم ينوون

الآن مطيراً واحداً . والمرجح انهُ لا تنقضي بضع سنوات حتى ترى المحيط الزاخر بين اميركا واوربا مرصعاً بهذه الجزائر الصناعية الضخمة تسهيلا للسفر الجوي بين القارتين.

لقد كتب بعض كتاب الصحف ان العمل مقضيٌّ عليهِ بالفشل لانك لن تجد اناساً يتبرعون بالمعيشة على هذه الجزائر النائية المنقطعة عن كل اسباب الحياة. ما اجهل هؤلاء الكتاب بنزعة العصر! من يقول ان الموظفين في مطير من هذا القبيل تائهون عن اسباب العمران؟! انهم اذا استفلوا طيارة بحرية منهُ بلغوا نيويورك قبلما يبلغ كاتب هذه السطور الاسكندرية بالقطار السريع

ولا بدَّ ان نسمع قريباً أن مباني من هذا القبيل اقيمت في مناطق القطبين بل في الادغال الكثة المتنائية الاطراف كبلاد الكنغو وسفي الامازون والصحاري القاحلة كالصحراء الكبيرة وصحراء تركستان. ان كلَّ آتٍ قريب

اللغة الصينية والتلغراف

هل بلغك انهُ يستحيل على الصينيين أن يرسلوا رسائل تلغرافية بلغتهم؟ ذلك لان اللغة الصينية هي لغة تصويرية فلا يستطاع تحويل الفاظها الى شفرة مورس الدولية المستعملة في التلغراف الدولي. ولكن انقلاباً حديثاً في وسائل الابراق مكَّن الصينيين فجأة من استعمال احدث وسائل المخاطبات اللاسلكية . ذلك ان اتقان نقل الصور بالتلغراف اللاسلكي يمكن الصيني الذي يريد ان يرسل تلغراقاً بلغته من ان يرسلهُ كما ترسل صورة فوتوغرافية بدلاً من ان ترسل الفاظهُ لفظاً لفظاً

جزيرة انس الوجود

انس الوجود جزيرة صغيرة بجانب شلال اصوان طولها نحو اربعمائة متر وعرضها نحو ١٣٠ متراً وهي مغطاة بالخرائب والانقاض اشهرها خرائب هيكل ايسس الذي شرع في بنائهِ بطليموس فيلادلفس (٢٨٦ ق م) واتمهُ الملوك الذين خلفوهُ وبذل الصناع اقصى مهارتهم وللملوك غاية كرمهم ولذلك جاء من ابدع الهياكل المصرية الباقية بعد هياكل طيبة وادفو . ويوصل اليهِ بروافين من الجهة الجنوبية ولهُ برجان على بابهِ الاول طولها ١٢٠ قدماً وارتفاعهما ستون قدماً وعليها صورة بطليموس فيلو متر وقد رفع فأس الحرب وهمَّ بضرب عدد من الاسرى بعد ما امسك بنواصيهم . وفي الباب كتابة صغيرة تشير الى وصول الجنود الفرنسية الى ذلك المكان حينما غزوا القطر المصري. وداخل الباب دار فسيحة فيها عند اليمين صف من العمد المزخرفة ووراءها صف من الغرف وعند اليسار هيكل صغير وفي صدرها باب آخر يدخل منهُ الى دار الهيكل ثمَّ الى الهيكل نفسهِ . ويقال ان

هذا الهيكل جعل كنيسة في القرن السادس عشر لذلك يرى رسم الصليب على بعض حجارته

هذا الهيكل الفخم تردد ذكره مؤخراً في الصحف العربية والافرنجية بعدما اقرت الحكومة المصرية مشروع تعلية خزان اسوان . ولا يخفى انهُ حينما بني خزان اسوان اولاً تكونت بحيرة من الماء المخزون فيه غطت مياهها قرى النوبيين ووصلت الى رؤوس نخيلهم وعلت على جزيرة انس الوجود حتى بلغت ارض هيكلها فوقف فيها كانهُ نابت من الماء. فاذا عُلّي خزان اسوان الآن غمر الماء الهيكل كلهُ وفقد القطر المصري اثراً من اهم آثاره التاريخية. ولكن بعض العلماء يذهب الى ان تغطية الماء لهُ تذيب الاملاح العالقة بالبناء وهي التي تفتت الحجر فيكون الهيكل مغموراً بالماء اسلم منهُ وهو نصف مغمور به فقط. ونحن نقول اية فائدة نجنيها من كنز في قعر البحر اذا كان على ان مصلحة الملايين من سكان مصر مقدمة على مصلحة الافراد من العلماء والسيّاح . فاذا كان من اثر تعلية الخزان وغمر هذه الهياكل بمائهِ درٌّ الخيرات على مصر وزيادة راحة اهلها ورفاهتهم فالعلم لا يخسر شيئاً كبيراً اذا غمر هيكل انس الوجود فان الهياكل المصرية الباقية في انحاء القطر تفوقهُ فناً وصناعة وقيمة تاريخية. وترى صورة هذه الجزيرة في اول هذا الجزء

ثياب من الاسبستوس

الاسبستوس اي الكتان الصخري او حجر الفتيلة فلزٌّ ليفيٌّ لا يحترق من نوع الرخام المرق رخو النسيج يؤلف من خيوط دقيقة تشبه الياف الكتان. وقد اعلن الاستاذ بول كاردالكياوي في دار الكيمياء الصناعية بمدرسة فيلادلفيا الكلية للصيدلة والعلوم انهُ ينتظر احداث زي جديد للثياب تصنع من الياف الاسبستوس وهي كالحرير في رونقه ولا يضيرها الحامض من المواد اذا سقط عليها ولا تؤثر فيها النار اذا شبت فيها

قال : وقد سبقنا قدماء الرومان في غزل الكتان الصخري ونسجه ثياباً فكانوا اول امة خلطت خيوطهُ المدنية اللينة بالكتان الطبيعي لصناعة اكفان الموتى لتودع فيها رفاتهم عقب حرق جثثهم على اكوام الحطب التي تضرم فيها النار لذلك الغرض. والعالم المشار اليهِ موقن ان هذه الصناعة لا تقتصر على الخبراء فيتاح لهم نسج اقمشة كالحرير طلاوة ولكنها تفوقهُ في المتانة والبقاء وسهولة التنظيف اما بقطعة مبللة من الاسفنج واما بخرقة مرطبة بالماء البارد . هذا فضلاً عن رخص ثمنها بالنسبة للمواد الاخرى التي تنسج منها الاقمشة في هذه الايام . ومما يروى في هذا الصدد ان شرلمان كان عنده غطاء مائدة مصنوع من الاسبستوس إذا اتسخ التي هبة في

التيران فينظف مما يعلق به من الادران . وكان نجار الصين في القرن السابع عشر يتجرون بمناديل من الاسبستوس . وقد الفت طائفة الاسكيمو القاطنة في بلاد لبرادور منذ عدة اعوام صناعة فتائل المصابيح من نسيج حجر الفتيلة

العين الكهربائية واستخدامها

إذا مالت الشمس للغيب وعم ضوؤها في الشفق لم يستطع امرؤ القراءة اذا رغب فيها الا باجهاد عينيه — ولا يخفى ما في اجهادها من الضرر ولاسيما لطالبات المدارس العليا وطلابها وغيرهم ولذلك رأت مديرات المدارس العالية للبنات في الولايات المتحدة تلافي هذا الضرر باستخدام البصاصة اي العين الكهربائية وهي كما قلنا في الاعداد السابقة بطارية كهربائية نورية تلتقط النور الطبيعي وتحوله الى تيار كهربائي يضعف او يقوى بضعف النور او قوته

وتودع العين الكهربائية في صندوق صغير فتراها كأنها جهاز للمحادثات اللاسلكية بجوار نافذة غرفة الدرس حيث توصل بمركز التيار الكهربائي فاذا مر الضوء من النافذة انعكس على البطارية وما دام الضوء الطبيعي كافياً للمطالعة براحة تبقى العين الكهربائية ساكنة حتى اذا بلغت ضؤولته حداً معيناً تؤذي معه عيون التلميذات اذا طالعن وقتئذ رددت العين الكهربائية تأثيره في اداة مثبتة فيها تتم الدورة الكهربائية فتنير الغرفة حالاً بالنور الكهربائي — ويرى المهندسون الكهربائيون انه سينجم عن استخدام هذا الجهاز فوائد عديدة ومنها انه إذا ترك استعمال الانوار الكهربائية تحت تصرف مديرة المدرسة وحدها ربما نتج منه ضرر لفريق من التلميذات اللواتي يحرمن من الضوء الطبيعي الكافي للجلوس في زوايا الحجرة التي لا يصل اليها الضوء كافياً للمطالعة فيضطررن الى اجهاد ابصارهن والمعلمة لا تدري بما يقاسينه. ولما كان التنوير المبكر مضيعة للمال كان استخدام العين الكهربائية في تلك المدارس سبباً في اقتصاد مبالغ لا يستهان بها

أحدث وظائف الراديوم

يستعمل الراديوم ، وهو اثمن المواد المعدنية المستخدمة في علاج الامراض وغيرها — في مصنع من مصانع الصمغ المرن بمدينة لينغراد عاصمة روسيا لوقاية المنسوجات من النار . والسر في ذلك ان للراديوم خاصية عجيبة واقية من النار إذ يجعل الهواء المحيط به اكثر توصيلا للتيار الكهربائي عما هو عادة. تحقق هذه الميزة مديرو المصنع ورأوا الشرر يتولد من الكهرباء الاحتكاكية فيتاب الانسجة التي تصنع من الصمغ المرن وذلك عند مرورها

بالاساطين فتضطرم النار في المصنع حيث تكون الحجرة مملوءة بالبخار الساخن المخصص لتجفيف تلك المنسوجات وهو قابل للاحتراق — فعمدوا الى الاستعانة بالراديوم . وبفضل دقيقة من الراديوم غدا المصنع المشار اليه في مجرة من الخطر لان ذرة من ذلك العنصر العجيب ترشح الكهربائية من الاسطوانات الى الهواء ترشيحاً بطيئاً لا يؤذي شيئاً بدلاً من جمعها وصيرورتها مصدراً لتوليد طاقة كافية لانتاج شرارة كبيرة

ولما كان المقدار المستعمل من الراديوم ملغراماً واحداً كانت نفقات هذه الطريقة الحديثة لا تزيد على بضعة ريالات ولا تستلزم الحال تجديد الراديوم لأنهُ يظل قائماً بعمله خير قيام قروناً متوالية

أحدث الآراء في الأميبا

الأميبا حيوان دنيء ذو خلية واحدة يتركب من نواة وبروتوبلاسم عجيب وشكلها يتغير تغيراً مستمراً باخراج زوائد من جسمها . هذا هو المعروف عند العلماء منذ كشفها روزل فون روزنهون العالم الالماني المتخصص في علم الاحياء الدقيقة اي المكروسكوبية إذ وصفها في عام ١٧٥٥ بأنها كائن حي ذو خلية واحدة وهي ادنى اشكال الحياة الحيوانية

والعلماء في حيرة من ذلك العهد اذ استعصى عليهم تعليل تحرك ذلك الكائن الحي الدقيق بلا سيقان وبغير زعانف وما شاكلها من وسائل التنقل العادية أو الظاهرة . وكان الرأي المرجح عند معظم علماء الحيوان ان الاميبا تدفع بذاتها الى الامام وتنقبض من الخلف بدٍ أن الدكتور . س ماست الاستاذ بمدرسة جونس هوبكنس الجامعة في مدينة بلتيمور قد قلب الرأي المتقدم ذكره رأساً على عقب إذ تحقق من فحص الاميبا انها تعوم في الغدران والجداول التي تعيش فيها باذابة جانب من جسمها من الخلف فتلقة المادة المذابة الى الامام فتتجمد عند رأسها مكررة هذا العمل مراراً كي تستطيع التحرك حركة وافية بحاجتها

أما : كيف تتصرف الاميبا هذا التصرف العجيب ؟ ومن أين تستمد القوة اللازمة لذلك ؟ فهذا بحسب رأي الاستاذ ماست مازال سرًّا غامضاً

سطح عوام لانقاذ الغرقى

احدث الوسائل للنجاة من غوائل البحار عند غرق البواخر سطح عوّام اخترعهُ المستر دنكان كامبل الانكليزي كي ينقذ من الباخرة الغارقة فيسبح على حدته حالاً محل قارب كبير للانقاذ . ويرى مخترعهُ انهُ لو اتيح استعماله في النكبات الملاحية الحديثة

انكثيرة العدد لا تفقد الوفاً من ضحاياها

يثبت هذا القارب على دكة الباخرة تثبيتاً وثيقاً في مهبر ذي اصلاب حديدية حيث تنطبق نواطحهُ تمام الانطباق على حدود الباخرة فيلتحمها ولا يعترض هذا الالتحام الا ما تقتضيهِ سهولة انفصال القارب عنها ووقايتها من احتكاكه بها فتوقى بادوات من الصمغ المرن او غيره من المواد . وتلافياً لازلاق القارب نحو جانب الباخرة باهتزازها قدصنعت قاعدتهُ على شكل يتفق مع تحويف المهد الحديدي فيها — وفي قاعدة القارب اسنان تدخل في تجاويف ملائمة لها صنعت في صلب الباخرة فتمنع تحرك القارب تحركاً جانبياً ولا تعوقهُ عن الانفصال والعوم مستقلاً بذاتهِ عند اشرافها على الغرق. ومتى بدت اية علامة من علامات الخطر قصد الركاب الى حُجَر الزورق فاذا ضاقت بهم هم ومن يصحبهم من الملاحين صعد هؤلاء على سقفهِ فوق الحُجَر . وبرك ايضاً في القارب جهاز للتلغراف اللاسلكي ليدل ابواخر الباخرة عباب البحار على مكانهِ . ويكون مزوّداً بالمؤن في كل وقت استعداداً للطوارىء

ولما كان اختراع هذا الزورق مبطلاً لعمل قوارب الانقاذ المألوفة فالمخترع يظنُّ انهُ سيفوز عليها جميعاً لقلة ثمنهِ والوثوق بفائدتهِ في انقاذ الركاب والبحارة من اية سفينة تجهز بهِ قبل قيامها من فرضها

شجر الحليب اي اللبن النباتي

وفق حديثاً الاستاذ صموئيل ج . ريكورد (احد معلمي مدرسة يال الجامعة بامريكا) الخبير في فن غرس النبات — لاكتشاف اشجار عجيبة تسمى اشجار الحليب اي اللبن النباتي — نبت في اقليم بيورتو باريوس في بلاد جواتيمالا بامريكا الوسطى حيث تدرُّ سائلا مثل حليب البقر واشبه بطعمهِ ويقال انهُ مغذٍّ جداً كاللبن الحيواني . وسكان هاتيك الاصقاع يستدرّون ذلك اللبن بحز اشجاره حزّاً غائراً ويشربون اللبن النباتي ممزوجاً بالقهوة ويستعملونهُ في صنع الحلوى وهو قابل للحموضة كلبن الحيوان . والاستاذ الذي كشف عن هذا النوع الغريب من الشجر هو احد اعضاء البعث الذي اوفد لارتياد تلك الجهات والوقوف على مجاهل نباتها لموافاة متحف التاريخ الطبيعي الامريكي بما يقف عليهِ من المعلومات النفيسة

صورة الغلاف

صورة الغلاف هذا الشهر تمثل شبح حيوان منقرض من جبابرة العصور الغابرة وامامهُ رجال البعثة الاسيوية يبحثون في صحراء غوبي عن آثارها . نقلناهُ عن مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية مع الصور التي نشرناها في مقالة رجال العلم والعمل صفحة ١٣٧

الجزء الثاني من المجلد الخامس والسبعين

صفحة

١٢١ خطبة مطولة للدكتور صرّوف — الله والعالم
١٢٩ لا تزال الاحياء تتحوّل وتتنوّع
١٣٤ كيف تكافئ العلماء (مصوّرة)
١٣٧ رجال العلم والعمل (مصوّرة)
١٤٣ البوهيمية . (قصيدة) للاستاذ ابو شادي (مصوّرة)
١٤٤ بحث في الصحة والزواج
١٥٠ اوراق الورد . للاستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٥٣ اغرب الحقائق الطبيعية
١٥٥ مناظرة الهمذاني و الخوارزمي . لكامل كيلاني افندي
١٦١ مشاهد مصر وفلسطين من الجوّ . للسر الان كوبهام (مصوّرة)
١٦٥ في سبيل العربية . للدكتور احمد زكي ابي شادي
١٧٥ الى الفرد ده موسه . (قصيدة) لسمان الديس افندي
١٧٦ آلة البيش همة وشباب (مصوّرة)
١٨٢ هل تحلّ الحروف محلّ الحركات العربية . لابن ابي سلمى
١٨٨ القرآن والبحر . للاستاذ بارتولد الروسي
١٩٣ سوريا ولبنان في نظر الغرب . لميشيل سليم كيد افندي

١٩٧ باب المراسلة والمناظرة * أعربيات . اداة التعريف في التاريخ . في سبيل العربية
٢١٣ باب شؤون المرأة وتدبير المنزل * مقام العلم في تهذيب المرأة . الاجازة الصيفية (مصورة) مصل جديد . حديث صحي انعاية بالاطفال
٢٢٠ باب الزراعة والاقتصاد * انضاج الثمار بالنار . اصلاح الارض وتحسينها . تمشيق الحر بالكهربه في حاجتين .
٢٢٦ مكتبة المقتطف *
٢٣٤ باب المسائل * وفيه ٧ مسائل
٢٣٧ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٢ نبذة (مصورة)

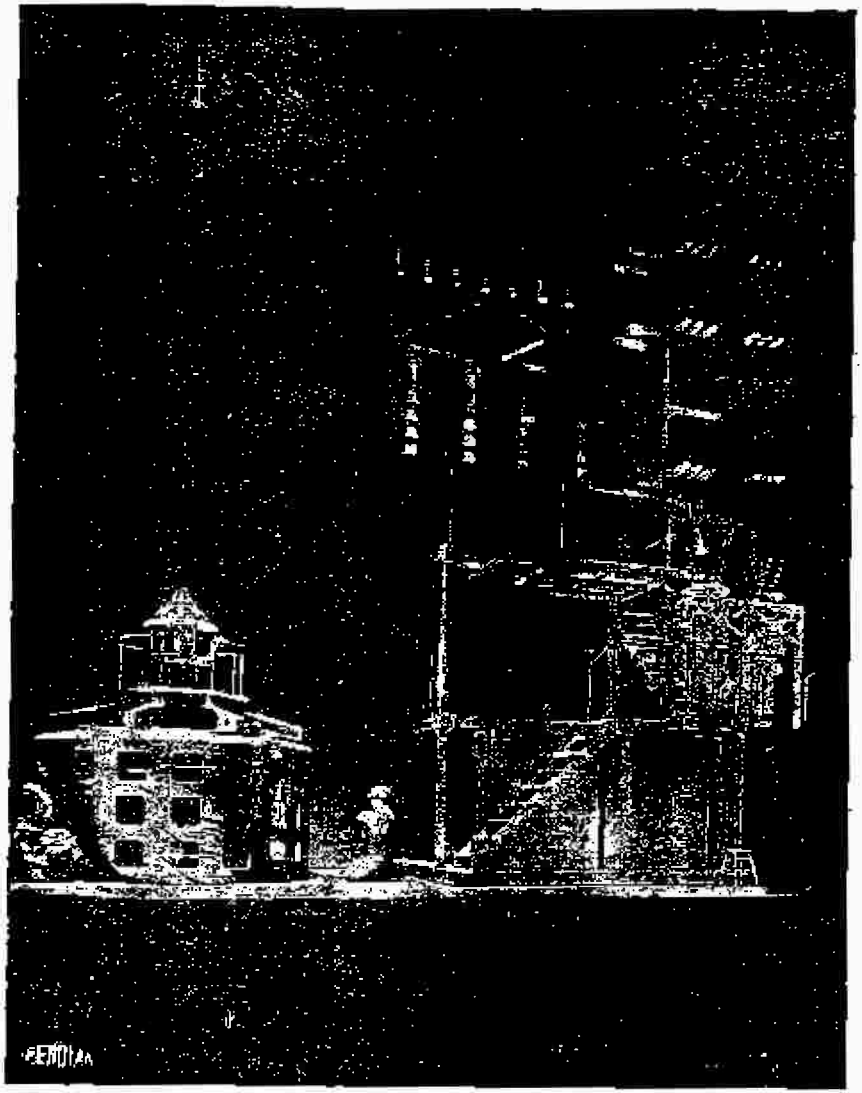

رمز الحضارة الصناعية

ابتهال يرفع الى المولّد الكهربائي (الدينامو) كما ظهر
في تمثيل رواية لاوجين اونيل المؤلف المسرحي الاميركي

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

انظر الصفحة ٣٢٢